الصَّرْخَة

الكتاب: الصرخة

المؤلف: محمد سمير

الغلاف:

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

مدير النشر: عمر عودة: 01111529029

مدير التوزيع: 01153339390

الإشراف العام: محمد المصري



العنوان: 50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: 01111529029 /01221064663 /0225622743

https//www.facebook.com/dar.elrsm.blklema

الصَّرْخَــــة

رواية

محمد سمير



دار الرسم بالكلمات

تحية إجلال وتقدير

إلى أبي الأستاذ/سمير محمد صابر

وإلى أمي السيدة/ميرفت محمود واسأل الله لهما الصحة والعافية وطول العمر فلهما مِنِّي كل التحية والتقدير .

إهداء

إهداء إلى زوجتي ورفيقة عمري الأستاذة/دعاء عبد الرحمن طاحون التي ساعدتني بكل جهدٍ لديها وتحملت كل الأعباء الممكنة حتى تفرِّغ لي الوقت لأقدم لكم هذا العمل الذي أرجو من الله أن يكتب له القبول لدي حضراتكم.

إهداء خاص

إلى ولديَّ عمر وسيف، أجمل ما منَّ الله عليَّ به

أهدي هذا العمل والله اسأل لهما الصحة والعافية والسلامة

والتوفيق في حياتهما المستقبيلة.

شكر خاص

أقدِّم شكرًا خاصًا لكلٍّ مِن :

الدكتورة/ ريهام الجريتلي التي قامت بمراجعة الأحداث التاريخية في الرواية.

أخي وصديقي المهندس/ رامي حمدي لما قدَّم لي من مساعدات أثرت العمل .

المقدمة

"أنا الرب العلي

ستلاحقكم اللعنات

تذكَّروا دومًا أنني الرب الأبدي

وأن لعنتي ستلاحقكم ولو بَعد ألف عامٍ

أنا الفرعون، أنا الإله، أنا ملك مصر، وهذا الجحيم الذي أراه سيكون قطرة في بحر هول ما ستلاقون"

وفي نظرة عجيبة من سدنة المعبد وقضاة المحكمة العليا التي وقف أمامها الفرعون وقد أحيط بأعمدة شاهقة وهو ينظر حوله إلى المجد الذي تطلَّع له يومًا، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم الألم الذي كاد يعتصر أمعاءه وهو يرى أمامه الجحيم وألسنة النيران والأفاعي والحيات تقبل عليه من كل حدب وصوب وهو يصرخ حتى سقط صريعًا وهو يقول "أنا الفرعون" فكانت تلك الصرخة صرخة الفرعون.

- 1 -

يجلس المقدِّم أيمن مستلقيًا على أريكة وثيرة من الجلد مرتديًا "تيشيرت" رماديًا وبنطالًا أسود واللذين يشكّلان" بيجامة" النوم وقد غفلت عينه وبجوراه زوجته الجميلة "نهى" وقد كانا ليلة أمس يشاهدان التلفاز معًا، وقد غلبهما النعاس. وكان بيت أيمن عبارة عن فيلا جميلة في شارع التسعين بالتجمع الخامس، تتكون من حديقة جميلة وحمَّام سباحة صغير والفيلا تتكون من طابقين؛ ففي الطابق الأول قاعة استقبال الزوار وكانت واسعة رحبة فُرِشَت بأجمل الأثاث وأغلاه ومطبخ جميل على الطراز الأمريكي وبار صغير يحوي أنواعًا خاصة من الويسكى الذي اعتاد أن يشربه أيمن، وفي الدور الثاني كانت هناك ثلاث غرف واسعة قد خصص إحداها لنفسه هو وزوجته وخصص الأخرى لابنه "أحمد" الذي كان في الثامنة من عمره والثالثة كانت لابنته "ندا" التي كانت في السادسة من عمرها.

استفاق أيمن على صوت هاتفه وقد صدحت رنته لتوقظه من نومه وإذا هي مديرية الأمن تطلب منه الحضور فورًا؛ فقد جاءهم بلاغ بالعثور على جثة وجدها بعض عُمَّال الحفر الذين كانوا يقومون بأعمال الصيانة الدورية لشبكات الغاز، فقد وجدوا جثة لبنت في العشرينات من عمرها مقتولة بقَطعٍ حادٍ في رقبتها وقد جُرِّدت من ثيابها وطمست معالم وجهها تمامًا كأنما الجاني قد سكب على وجهها ماء النار حتى اختفت تلك الملامح

بصورة بشعة؛ فلم يعرفوا ما حدث لها بالضبط ولا هويّتها ولا لماذا فعل بها هكذا؟

كان الأمر مفزعًا فهرع عُمّال صيانة الغاز إلى الاتصال بالشرطة التي بدورها أرسلت فريقًا من البحث الجنائي، وكان السيد مدير الأمن قد أسند مهمة التحقيق في هذه القضية إلى المقدِّم "أيمن" ذلك الذي شهدوا له طيلة سنين خدمته في جهاز الشرطة بالكفاءة والنزاهة والذكاء المتقد والقوة واللياقة بل والكفاءة العالية في التدريب على جميع أصعدته البدنية والذهنية؛ لذلك أوكل مدير الأمن مهمة الكشف عن ملابسات هذه القضية لضابط يُعَد من أكفأ الضباط لديه في مديرية الأمن.

ارتدى أيمن ملابسه؛ بنطاله الرمادي وقميصه الأبيض ووضع صدرية السلاح أسفل بزته السوداء، وحذاءه الأسود الأنيق وقد صفف شعره وتوجه إلى سيارته "الجيب" ليتوجه إلى مكان معاينة الجثة ليعرف عمَّا سيسفر هذا اليوم الغريب الذي كانت بدايته مكالمة هاتفية فحواها "يا باشا في جريمة قتل حصلت وعايزين حضرتك في المديرية بأسرع وقت".

فردَّ أيمن قائلًا" يا فتّاح يا عليم يا رزاق يا كريم على الصبح حد يصحى حد على تليفون زي ده طيب اقفل اقفل أنا جاي".

كان أيمن وهو في الطريق يسترجع المكالمة ويسأل نفسه تُرى ما الذي حدث ؟

وكيف سيكون مسار هذا اليوم العجيب؟

اتصل أيمن بمساعده وذراعه الأيمن الرائد أمجد، وطلب منه عنوان الحادثة وأنه سيتوجه مباشرة إلى مكان الحادث فلا داعي أن يذهب إلى المديرية أولًا.

بالفعل وصل أيمن إلى مكان الحادث ليجد بنتًا تبدو على جسدها علامات الشباب ولا يظهر من ملامحها شيء، بينما شعرها الأسود منسدل، وجسدها النحيف الذي تظهر عليه علامات المقاومة والعنف والصراع، وكانت الجثة قد دفنت في التراب بطريقة تبدو وكأنما الذي دفنها لم يكن يعنيه تمامًا إخفاء الجثة؛ فقد كان ظاهرًا منها بعض الأجزاء وكأنما قد دفنها على عجالة وفرَّ قبل أن يراه أحدٌ. هذا ما قاله عامل الصيانة الذي وجد الجثة وهو يبحث في الأرض عن مكان ماسورة الغاز التي سوف يجري لها عملية الصيانة .

بدت البنت مقتولة بطريقة وحشية وقد سقط لحم وجهها فصار وجهها مفزعًا، ولكن الغريب في الأمر أن فمها كان مفتوحًا كأنما كانت تستغيث من شيء أو تهرب فزعًا من شيء بدا الفم مفتوحًا كأنما طالعت الشيطان أمامها وبدت أسنانها بارزة والحلق شديد الإحمرار والعينان جاحظتان قد خلتا من الجفنين حيث أذيبا مع الجلد؛ فقد كانت عيناها تنبئ عن فزعٍ لم يطالعه إلا من سقط في قلعة الشيطان.

كان المشهد مفزعًا حقًا، ظل ينظر إليها أيمن محاولًا أن يفهم ما هذا الذي يحدث؟ جثة مشوهة الوجه وقد بدا عليها الرعب وأزهقت روحها بقَطعٍ نافذ بآلة حادة في رقبتها كأنها ذُبِحَت كالدجاجة، ولكن هذا كله ما كان ليشغل بال المقدم أيمن حتى طلب من فريق المعاينة أن يتصل بوكيل النائب العام الذي جاء ليبدأ عملية المعاينة والذي بدت أمامه حالة غريبة جدًا، ولكن الأغرب من ذلك ما رآه الاثنان حينما طلب وكيل النائب العام الأستاذ "أشرف" من الطبيب الشرعي أن يبدأ المعاينة المبدئية للجثة ولموقع الحادث إلى أن يتم نقلها إلى المشرحة؛ حيث سيجرى لها تشريح كامل لمعرفة

سبب الوفاة الحقيقي وما إذا كانت هذه الجثة تحوي أسرارًا مخبأة بين طياتها قد تساعد الشرطة في حل لغز هذه القضية، ولكن العجب العجاب هو ما رآوه جميعًا حينما بدأ الطبيب الشرعي الدكتور مدحت بتحريك الجثة فلمّا قلبها ظهرًا لبطن اتسعت أحداق أعينهم جميعًا وبدا الفزع ممزوجًا بالدهشة يطل من أعينهم حيث رأوا ما لم يكن ليقرع خاطر أحدهم قَط.



- 20 -

هناك في جامعة القاهرة في كلية الآثار وفي أكبر قاعات المحاضرات، يقف الدكتور "عمر سمير" بملبسه الأنيق وشكله الوسيم، حتى إنه كان فتى أحلام جميع بنات الجامعة بل وعضوات هيئة التدريس أيضًا. وقف ببنطاله الأسود وقميصه اللبني وبزته السوداء وهو يشرح لتلاميذه الذين كانوا قد ملأوا القاعة يجلسون في استماعٍ وانبهارٍ غير عاديين وكأن على رؤوسهم الطير، جلسوا في إصغاء تام يستمعون إلى الدكتور عمر والذي كان يحاضرهم عن مصر الفرعونية؛ فقد كان الدكتور عمر من أشهر المتخصصين في التاريخ الفرعوني ليس في مصر وحدها بل في العالم أجمع، كانت مؤلفاته قد تُرجِمَت للعديد من اللغات، ليس هذا فحسب بل كان محاضرًا يجيد العديد من اللغات ويحاضر في كبرى جامعات العالم؛ فقد كان أستاذًا زائرًا في "السربون" في فرنسا ومحاضرًا يلقي العديد من المحاضرات في الندوات العلمية والتاريخية في المتحف البريطاني بإنجلترا؛ فقد كانت مقالاته تجوب الصحف العالمية.

لم يكن الدكتور عمر قد تجاوز الأربعين من عمره، رجل يميل إلى السمرة كعادة أبناء مصر المحروسة وكان طويلًا رشيق القوام معتدل البنية متناسق الجسد، يمارس الرياضة وبخاصة رياضة التنس، وكان من أبطال العالم في لعبة الشطرنج يعشقها ويمارس فيها أعنف الرياضات الذهنية، كان شعره أسود قد خطَّ الشيب عارضيه، يتمتع بنظرات حادة وقدرة

فائقة على استدعاء المعلومة وتحليل الشخصية التي يتحدث معها، حتى إنه بسرعة مذهلة يمكنه أن يقول لأي شخصٍ يقف معه ولو لوقت قليل مَن مِن شخصيات التاريخ يشبهه؟ والعجيب أنه ما فعل ذلك قَط إلا وأذعن له كل من سمعه بنفاذ الرؤية وحدة البصيرة والذكاء المتقد، وقد كان يتكلم مع تلاميذه الذين عشقوا محاضراته فضلًا عن طريقة إلقائه المبهرة، كان يحدثهم عن ملوك الدولة الحديثة الفرعونية وبالتحديد كانت المحاضرة عن ملوك الأسرة العشرين التي حكمت مصر منذ عام 1200 ق.م إلى عام 1085 ق.م أي ما يقرب من مائة وخمس عشرة سنة، والتى عُرِفَ كل حكامها باسم رمسيس؛ فقد كان مؤسسها هو رمسيس الثالث، وكان اسمه أيضًا (وسر ماعت آمون) (مر آمون) والتي كانت تعني باللغة المصرية القديمة القوي بماعت ورع ومحبوب آمون

ثم كان حكم رمسيس الرابع، ثم رمسيس الخامس، ثم رمسيس السادس، ثم رمسيس السابع، ثم رمسيس الثامن، ثم رمسيس التاسع، ثم رمسيس الحادي عشر؛ فكل حُكّام هذه الفتره كانوا من ملوك الرعامسة والتي قد ظهر فيها واضحًا نجم الإله الرع في هذه الأسرة، وكان الطلاب يجلسون فاغريين أفواههم من جمال ما يسمعون من حُسن السرد وجمال الترتيب وأسلوبه الجذاب الأخّاذ ومادته المتدفقة؛ فلم يكن فقط في القاعة يجلس الطلاب بل كان هناك أيضًا يجلس أساتذة كبار جاءوا ليستمعوا إلى محاضرة الدكتور عمر، وكان الموضوع الرئيسي الذي يتناوله الدكتور عمر هو الحديث عن اكتشاف ثلاث برديات تتحدث عن مؤامرة نسائية تمت على الملك رمسيس الثالث، وكانت سببًا في وفاته وكان الدكتور عمر يشرح نصوص البرديات الثلاثة وما حوته هذه البرديات من معلومات بالغة الدقة والأهمية لشرح تفاصيل هذه الفترة العصيبة جدًّا من حكم مصر، وفور أن

انتهى الدكتور من المحاضرة وعلا التسفيق في أرجاء القاعة المكتظة وبدا على أوجه الجلوس حيرة شديدة مع إعجاب بالغ؛ فالعيون جميعها تلمع بشدة من هذا الكم الهائل من المعلومات الجديدة التي أتيحت لهم وما كانت أن تتثنى لهم لولا هذه المحاضرة الشيقة.

وقف الدكتور عمر كعادته بعد كل محاضرة يسلم على الطلبة ويجيب على أسئلتهم بسرعة شديدة ثم ينصرف إلى مكتبه في الكلية في الدور الثالث بجوار مكتب رئيس القسم بكلية الآثار، وما إن وصل مكتبه حتى وجد ثلاثة رجال عليهم علامات الجد والقسوة يسألونه بكل حدة:

- حضرتك الدكتور عمر؟

فأجاب متلعثمًا:

- نعم أنا الدكتور عمر في حاجة؟ مين حضراتكم ؟

أجابوه:

- إحنا من مديرية الأمن، وحضرتك مطلوب فورًا للحضور عند معاون المباحث لسؤالك في أمر في غاية الأهمية والخطورة؟

تصلبت قدما الدكتور عمر في الأرض وبدأ التوتر ينتابه؛ فهو ما اعتاد أبدًا أن يدخل إلى أقسام الشرطة أو المديرية إلا فقط لاستخراج أوراق رسمية أما إنه اليوم مستدعٍ من قِبَل رئيس المباحث كانت المسألة مقلقة جدًّا ومحيِّرة لأبعد حد لم يكن يفهم ما الذي جرى أو ما الذي يحدث بالفعل؟

طلب منهم أن يفهم أو يستوضح الأمر أو فيم يطلبه المعاون، أجابوا ليس عندنا أوامر بأكثر من استدعائك وعدم مغادرة المكان من دونك مهما تكلف الأمر.

هنا خرج معهم الدكتور عمر لكنه طلب منهم أن يسيروا بجواره بطريقة لا تلفت الأنظار إليهم حفاظًا على سمعته في الجامعة التي قضى عمره كله يحافظ عليها حتى صار من أكبر خبراء العالم في التاريخ الفرعوني، ولكن الأسئلة التي كانت تعصف بذهن الدكتور عمر كانت كفيلة بنسف رأسه؛ فقد كانت تجول بخاطره بسرعة وحِدّة فائقتين وهو يمشي معهم زائغة أبصاره يحاول أن يفهم ما الذي يحدث وإلى أي شيء قد تعصف به الأقدار وتطوح به ساعات هذا اليوم؟



- 3 -

نظر المقدم أيمن إلى مساعده الرائد "أمجد" ثم إلى وكيل النيابة والطبيب الشرعي، والذين قد أجمعوا بنظراتهم المستغربة على عجب مايرون؛ فقد كان أمرًا في غاية الغرابة والخطورة فهم اعتادوا أن يروا جريمة قتل أو حتى ذبح أو تشوية لكن العجيب أنهم رأو على ظهر المجني عليها رسوم غريبة؛ أربعة أسطر من الرسوم والنقوش العجيبة مرسومة بمادة لم يستطع الطبيب الشرعي في بادئ الأمر معرفة ما هي لكنها مادة غريبة ويبدو واضحًا جدًّا أنها حديثة الكتابة فقد رجّح الطبيب الشرعي أنها كُتِبَت بعد وفاتها مباشرة، ولكنه طلب أن يأخذ الجثة إلى المشرحة، وهناك سيتمكن من معرفة الكثير من الأسرار والغموض الذي يلف هذه الضحية المسكينة.

كانت السطور الأربعة المكتوبة على ظهر الضحية تبدو وكأنها نُقِشَت بحرفية شديدة لرجلٍ يجيد الرسم ببراعة، ولكن انكماش الجلد وتفاعُل المادة التي كتبت بها الحروف على ظهر الضحية بدا واضحًا أنها تمت بعد خروج الروح مباشرة. أيضًا كان واضحًا أن الجثة حديثة فلم يمر على قتلها ساعات قليلة، بدا ذلك واضحا من شكل الجلد وملمسه ورائحة الجثة نفسها، ولكن الجثة بقت شيئًا مفزعًا أمام الطبيب الشرعي "الدكتور مدحت" فقد بات متحيرًا جدًّا يحاول أن يعرف ما سر الوفاة، وكيف حدثت، هل كان هذا القطع في الرقبة هو سبب الوفاة أم هناك الكثير والكثير لهذه الجثة تريد أن تتحدث به؟ وعلى الفور أمر وكيل النيابة بنقل

الجثة إلى المشرحة ليتم معاينتها وتشريحها تشريحًا كاملًا حتى يتثنى للنيابة معرفة سبب الوفاة.

دخل الدكتور عمر وبدأ يسير في أروقة مديرية الأمن حيث يمر بجواره القتلة والمجرمون وهو يشعر بضيقٍ شديدٍ واحتناقٍ من المكان؛ فحوله مكاتب الضباط ويسير هو بين الثلاثة الذين وُكِّلوا بإحضاره وهو يمشي بينهم زائغًا بصره يمرق هذا المكان الموحش - بالنسبة له على الأقل- حتى وصل إلى مكتب المقدم أيمن.

دخل الدكتور عمر إلى حجرة المقدِّم أيمن، وقد كانت الغرفة تحوى مكتبًا ضخمًا وكرسيًّا مرتفع الظهر وشماعة لتعليق الملابس، وتحوي الحجرة شبَّاكا واحدًا يطل على ساحة مديرية الأمن ومكتبة حوت ملفات لعدة قضايا مختلفة، بينما كانت ألوان الحائط باهتة تعطي قتامة في نفس من يطالعها، ربما كان ذلك مقصودًا للتأثير على المجرمين أثناء عمليات التحقيق.

استقبل أيمن الدكتور عمر استقبالًا باهتًا وهو ينظر إليه نظرات حادة ثاقبة تنم عن شيء غامض يخفيه أيمن في نفسه، ولكن عمر كان يحاول أن يطمئن نفسه. أشار أيمن إلى الدكتور عمر بالجلوس على الكرسي الأيمن من مكتبه، وبدأ في إشعال سيجارة، وقد أشار إلى الرجال الثلاثة بالانصراف، وبعد أن نفسَ دخان السيجارة في ناحية عمر والذي كان صنيعًا مقيتًا بدأ يزيد من توتر عمر، فلم يكن يحب رائحة السجائر، توجه أيمن إلى عمر مستهلًا كلامه ب "نورت يا دكتور آسفين على الطريقة اللي استدعناك بيها، بس انت عارف ظروف شغلنا، إحنا بنشتغل على أعصابنا يا دكتور" بدت تلك الكلمات بنبرة جافة فالصوت والطريقة لا يعبران مطلقًا عن فحوى الكلام، فنظر إليه عمر وهو يبلع ريقه بصعوبة، وقال:

- طبعًا طبعا ربنا يكون في العون بالعكس الرجالة بتوعك كانوا ظراف جدا معايا أنا بس مستعجل شوية عايز اعرف حضرتك عايزني في إيه ؟

كانت نظرات أيمن ثاقبة بدت عليها الريبة وكأنما حُمّلت بسهام فتاكة وألغاز محيِّرة عجز عمر عن فهمها، فعاجله أيمن قائلًا:

- متستعجلش يا دكتور هتعرف كل حاجة في وقتها، إحنا هنحتاجك معانا شوية.

وقعت تلك الكلمات على مسامع عمر كأنما أُسقِط على رأسه دلو ماء ساخن هو يريد أن يفهم ما الذي يحدث، ولا يريد أن يطيل مكوثه في هذا الجو الخانق داخل المديرية، وقد زاد الجو اختناقًا أن أيمن أشعل سيجارة أخرى وهو يحدق إليه من خلف دخانها محاولًا العبث بأعصابه والتسلل إلى نفس الدكتور عمر مع هذا الدخان الذي سيستنشقه. أما عمر فهو رجل عاش طيلة عمره لا يعرف سوى العِلم والتاريخ والدراسة والكتب والتأليف، فهذا ليس مكانه على الإطلاق هو الآن يسال نفسه ألف سؤال ولكن مدارهم جميعًا حول "لماذا أنا هنا ؟"

لم تكن الحالة التي عليها عمر لتخفى على ضابط محنَّك مثل أيمن، فقال له محاوِلًا تهدئته:

- متخافش يا دكتور، الموضوع كله اننا عايزين نستفيد بخبرتك في قضية معانا غريبة أوي، ومش فاهمين إيه اللي بيحصل، وسألنا كل اللي ليهم علاقة بالموضوع فجاءت الردود بالإجماع على إنك انت أحسن واحد يفيدنا في الموضوع ده.

نظر إليه عمر وهو يحاول أن يصرف نظره عن الساعة الرولكس التي كانت في يده؛ فهو يعلم قيمة الوقت جيدًا، ويريد من أيمن أن يدخل في الموضوع مباشرة فتوجه عمر إليه وقد تحول نحوه باهتمام بالغ:

- طيب لو سمحت يا فندم أنا ممكن اعرف اساعدك ازاي عشان أنا مش متعود على جو الأقسام، فهل ممكن اجاوب حضرتك وامشي دا لو أمكن عشان عندي بكرة الصبح طيارة لباريس لإلقاء محاضرة عن مصر الفرعونية، ممكن نبتدي حضرتك محتاجني في ايه؟

نظر إليه أيمن وقد نفثَ ناحيته دخان سيجارته مجددًا قائلًا:

- حالًا يا دكتور هنبدأ وهوريك اللي احنا شفناه في الجثة دي بس من فضلك امسك أعصابك لأننا رايحين دلوقتي حالًا على المشرحة.

هنا وقعت هذه الكلمات على مسامع عمر وهو يقول في نفسه"مشرحة إيه بس أنا مالي ومال الهم ده وكمان جثة هو يوم باين عليه مش فايت " فعاجله أيمن بتتميم كلامه:

- إحنا عمرنا ما هننسى لك المساعدة دي بس أصل الموضوع في غاية الغرابة والخطورة .

وبالفعل علا صوت أيمن وهو ينادي: "يا عسكري جهّز العربية عشان هنتحرك".

نزل الدكتور عمر ومعه المقدم أيمن في رواق مديرية الأمن حتى وصلا إلى السيارة التي كانت تنتظرهما وجلس أيمن بجوار السائق وجلس عمر في المقعد الخلفي وانطلقا في سرعة كبيرة يشقان زحام القاهرة ليصلا إلى مشرحة زينهم.

* * *

- 4 -

يقف الطبيب الشرعي الدكتور مدحت أمام هذه الجثة الغريبة التي ما رأى لها مثيلًا قَط في حياته، كان يقف محيَّرًا، ما كل هذه الأسرار التي تحويها هذه الجثة؟ بل ومَن الذي فعل بها هذا؟ يبدو من حِدة القطع واستقامته أن الذي فعله رجل محترف وماهر جدًّا في استخدام السكين كأن يكون طبيبًا أو محاربًا أو قاتلًا محترفًا، لكن العجيب هو هذا الرسم الذي وجده على ظهر المجني عليها فقد وجد على ظهرها رسمة غريبة من حروف متشابكة لا يعرف ما هي ولا كيف كتبت هكذا فقد كتبت بشيء ذي سِنٍّ رفيع أشبه ما يكون بريشة الطائر ولو سلم جدلًا بهذا فإن سُمك الكتابة تظهر له أنه طائر ذو ريشة متوسطة الحجم كأن يكون غرابًا أو حمامة، أما المادة التي كتبت بها هذه الطلاسم فقد كانت من اللون الأحمر، وقد فحصها بالأجهزة الإلكترونية الدقيقة وأخذ منها عينة لتحليلها ووجد أنها كتبت من مادة صمغية تسمى "صمغ الراتنج " وهي مادة نادرة لم يسبق له أن تعامَل معها إلا مرات قليلة في أثناء دراسته بالجامعة.

وصل أيمن ومعه الدكتور عمر إلى باب مشرحة زينهم وصعدا السلم ليمرّا في ممرٍ طويلٍ مليء بالحجرات؛ فقد كان المكان قاسيًا جدًّا وعمر يمر بين كل هذه الحجرات ويزداد ارتيابه وتوتره مع كل لحظة تمضي عليه حتى وصلا إلى غرفة التشريح التي كان يقف فيها الدكتور مدحت والتي كانت تتألف من منضدة مستطيلة لها حواف مرتفعة من ثلاث جهات وهي من المعدن وترتكز

على قوائم أربع تنتهي بعجلات ليسهل تحريكها، وبجوار المنضدة تقبع منضدة صغيرة أخرى تحوى آلات التشريح من مشارط ومقصات وقواطع ومماسك، وهناك في طريق الغرفة يوجد مكتب صغير يجلس عليه الطبيب ليعدّ التقارير الخاصة بتشريح الجثث، ولم تكن الإضاءة قوية بل كانت خافتة نوعًا ما، والجو معبق برائحة الفورمالين الذي يستخدمه الأطباء في حفظ الأنسجة الحيوية فللفورمالين رائحة نفّاذة فقط يعتاد عليها من يعملون في التشريح.

وبينما الدكتور مدحت في غرفة التشريح يطالع تلك الجثة الغامضة، دخل عليه المقدِّم أيمن ومعه الدكتور عمر فبادره أيمن "مساء الخير يا دكتور" فأجابه "مساء الخير يا فندم" فقال أيمن مردفًا:

- أعرّفك بالدكتور عمر، بعتنا جبناه مخصوص عشان يساعدنا في القضية.

وهنا توجَّه الدكتور مدحت إلى عمر قائلًا:

- هتستحمل اللي هتشوفه ولّا قلبك ضعيف؟

فردَّ عمر وقد بدت عليه علامات ارتباك غلفها بابتسامة باهتة:

- والله دي أول مرة اشوف فيها جثة، لكن هحاول إن شاء الله إني افيدكم بقدر المستطاع.

كشف مدحت الغطاء عن الجثة والتي بدت مشوهة على نحو عجيب؛ الوجة متلاشٍ تمامًا، والرقبة مقطوعة بسكين حاد، الفم مفتوح في ذعر عجيب، والأسنان بارزة، والعينان جاحظتان بلا جفنان، وكان قد بدأ

مدحت في العمل على تشريحها فشق صدرها من منتصفه، وقد تدلا ثدياها على جانبي جسدها وقد أُخرِجَت بعض أحشائها.

كان المنظر مفزعًا لأبعد حد، كاد عمر أن يسقط على الأرض وبدا على وشك أن يتقيأ، لكنه تمالك نفسه والتقط أنفاسه وابتلع ريقه بصعوبة بالغة، ثم توجه إلى أيمن سائلًا:

- طيب أنا دوري إيه في كل ده؟

- متستعجلش يا دكتور.

وطلب من الطبيب الشرعي أن يقلب له الجثة ليرى على ظهرها النحيل هذه الكتابة العجيبة التي ما توقع يومًا أن يراها؛ فقد كان النص الطلسمي المكتوب على ظهر الجثة بهذه الصورة.

ⲥ̀ⲛⲁⲩ ⲟⲩⲁⲓ ⲥⲟⲟⲩ ⲟⲩⲁⲓ ⲥ̀ⲛⲁⲩ
ⲟⲩⲁⲓ ϣⲟⲙⲧ ϣⲟⲙⲧ ⲥ̀ⲛⲁⲩ ⲟⲩⲁⲓ
ⲥ̀ⲛⲁⲩ ⲥ̀ⲛⲁⲩ ⲯⲓⲧ ϥ̀ⲧⲟⲟⲩ ⲟⲩⲁⲓ
ϣⲟⲙⲧ ⲟⲩⲁⲓ ⲙⲏⲧ ⲟⲩⲁⲓ ϣⲟⲙⲧ ⲥ̀ⲛⲁⲩ

وجده مكتوبًا باللون الأحمر وبدت أمامه شبكة من الأحرف التي خبرها جيدًا فهذه الحروف ترجع إلى اللغة القبطية، ولكن لماذا كتبت هكذا ومن الذي كتبها بهذا الشكل وما المعنى الذي تقوله هذه الأحرف، وقف فاغرًا فاه، وهنا أردف الدكتور مدحت معرفًا إياه أن المادة التي كُتِبَت بها هذه الحروف هي من "صمغ الراتنج" وهذه هي المرة الأولى التي يقابل فيها هذه المادة في حياته العملية، وهنا بدت عينا الدكتور عمر تتجولان في المكان بارتباك شديد

وفزعٍ كبير كأنما تنامى إلى علمه شيء لكنه أخفاه حتى يعلم إلى ما ستصير هذه الأمور.

نظر أيمن إلى عمر سائلًا:

- إيه رايك يا دكتور، إحنا عرضنا الكتابة دي على متخصصين كتير لكنهم جميعًا أجمعوا على إن انت أنسب واحد تتعامل مع الموضوع ده، راجل بعالميتك وشهرتك أكيد عنده حل للقضية دي أو أي دليل نمشي وراه يوصلنا للقاتل".

وقف عمر أمام الرسم يحاول أن يجد فك لطلاسم هذا الكلام أو أي وسيلة تفهّمه ما يحدث، نعم الحروف قبطية وهو يعرفها جيدًا لكنها ليست ذات معنى على الإطلاق، هو لا يفهم ما تعنيه هذه الطلاسم ثم ما الذي يدفع قاتلًا إلى أن يكتب هذا الكلام على ظهر ضحيته؟ وهنا نظر عمر إلى المقدم أيمن وقال:

- أنا مش فاهم حاجة من الطلاسم دي هي حروف قبطية، لكن ملهاش بالنسبة لي أي معنى" بدأت نظرة الشك التي كانت في عين أيمن تتغير إلى نظرة شرسة وعاجل دكتور عمر قائلًا:

- من مصلحتك تساعدنا وتتعاون معانا لأن عكس كده مش هيكون في صالحك" ردَّ عمر متعجبًا "ليه أنا مالى أنا مجرد خبير استدعتني في مهمة وفشلت اني اساعدك". قاطعه أيمن بلهجة حادة: يا دكتور عمر إحنا عملنا تحرياتنا وعرفنا إن صمغ الراتنج ده نادر جدًّا ومحدش بيتعامل فيه دلوقتي خالص، لكن لما وصلنا للناس اللي بتشتغل عليه عرفنا ان حضرتك زبون مستديم عندهم وبتشتري منه كميات كبيرة، كما إنك انت من أندر الناس

على مستوى العالم في التعامُل مع المواد دي يكاد يكون في مصر كلها مفيش غيرك...

ردَّ عمر مقاطعًا أيمن :

- أيوة دا صحيح بس دا لأني أنا بجري أبحاث على مسألة التحنيط،* وصمغ الراتنج بيستخدم في التحنيط من أيام الدولة الحديثة (مجلة "بلوس وان" الأمريكية ذكرت أن مادة التحنيط من سنة 2000 ق.م إلى سنة 1600 ق.م هي مادة صمغ الراتنج) وانا بشتغل بيه فعلًا عشان اوصل لأسرار التحنيط وأفاجئ العالم بهذا الاكتشاف ثم أنا إيه مصلحتي أقتل بنت واكتب على ظهرها بلغة معروف إني أنا من أندر الناس في العالم اللي بيجيدوها فبالتالي هيكون كأني بشاور على نفسي على طول"...

قاطعهم صوت الهاتف النقال الذي بحوذة المقدِّم أيمن، فردَّ على الهاتف مشيرًا لعمر أن يسكت قليلًا حتى ينهي المكالمة ثم أنهى المكالمة قائلًا:

- طيب اعرض البصمات دي على خبير البصمات وابعتلي النتيجة فورًا.

نظر أيمن إلى عمر قائلًا:

- يا دكتور الكلام ده تقوله في النيابة، إنت لو مساعدتنيش أنا هضطر أوجّه لك تهمة القتل العمد.

فنظر عمر وكأنما شعر بدوَّارٍ غريب وكأن الأرض تتحرك تحت قدميه وأنه لا يعرف ما الذي يحدث وكيف تتسارع الأحداث حوله هكذا، ثم أردف أيمن ناظرًا إلى عمر:

- إنت مين كان معاك في بيتك امبارح مش إنت مش متجوز وعايش لوحدك؟

"نظر عمر متعجبًا:

- مفيش حد كان معايا، أنا امبارح طول الليل كنت لوحدي قاعد في مكتبتي بقرأ وبجري بعض الأبحاث على مواد التحنيط اللي عندي ؟ عاجله أيمن قائلًا "اومال إيه البصمات اللي وجدناها في بيتك دي وفي أوضة نومك وكمان وجدنا ملابس داخلية حريمي، إحنا أثناء استدعاءك كنا بنفتش البيت عندك وبنرفع البصمات هناك، أنا لو منك أدعي ربنا أن البصمات دي متكونش بصمات المجني عليها.

كانت تلك الكلمات تقع على مسامع عمر كأنما يسقط عليه ماء مغلي، هو لا يفهم أي شيء مما يحدث ولا يعرف ما القصة وإلى ما ستسوقه هذه الأحداث المتصارعة، وهنا تدخل الدكتور مدحت قائلًا:

- لكني يا فندم لسه منتهتش من تقريري النهائي حول الجثة، وكمان مقدرش احدد بالظبط سبب الوفاة غير بعد نهاية الفحص لأن ممكن تكون ماتت بسبب تاني والقطع في الرقبة جه بعد الموت"

كان هذا الكلام كله يدور وعمر ينظر إلى الطلسم على ظهر البنت يحاول أن يجمع شتات نفسه ويربط بينه لعله يعطيه معنى يوقف كل هذا الهراء، كانت الأحرف تلمع أمامه وهو لا يكاد يفهم شيئًا مما يراه، لكن الذي استقرت عليه قناعاته أن الضابط أيمن يريد أن يجد من يتهمه ويحمّله الجريمة بأقل مجهود وتنتهي مهمته ويبقى الأمر في أيدي النيابة والقضاء، وقد يكون يأمل في ترقية جديدة بالكشف عن جريمة قتل كهذه فبات في ذهنه أن أمرًا ما يدبر حوله خاصة هو يعلم جيدًا أنه كان في بيته ليلة أمس وحده، ولم يكن معه أحد، وبات على يقين أن البصمات التي عثروا عليها في بيته حتمًا ستكون بصمات البنت المقتولة والتي لا يعرف إلى الآن كيف دخلت بيته ولما تركت ملابسها هناك أو من وضع له ملابسها، فعلم بلا شك

أن هناك أمرًا يدبر له ومكيدة تحاك له؛ فهناك من دخل بيته ووضع ملابس البنت المقتولة في غرفة نومه فالأمر كله غريب، ولكن ما استقرت له قناعاته أنه خارج من هذا المكان إلى السجن مباشرة، ولو لم يستطع الفرار الآن ومحاولة فك لغز هذه الطلاسم فإنه سيجد نفسه أمام النائب العام في تهمة لا يعرف عنها شيئًا وليس له فيها ناقة ولا جمل.



- 5 -

وقف عمر لا يدري ماذا يفعل بينما شغل المقدم أيمن مع الدكتور مدحت الطبيب الشرعي وبدأ بينهما تهامس غريب، وبدت الفرصة سانحة كما لم تكن من ذي قبل فباب الغرفة لا يقف عليه سوى عسكري واحد فاستطاع في خلسة منهم أن يخرج هاتفه ويأخذ صورة سريعة لظهر البنت، لم تكن واضحة تمامًا فقد كانت سريعة جدًّا ودون فلاش من كاميرا الموبايل. وفي لمح البصر عاجل عمر المقدِّم أيمن بلكمة قوية جدًّا أسفل ذقنه خلّت بتوازنه، وفي سرعة خاطفة كان قد وجَّه ضربات سريعة إلى الطبيب وفتح الباب وقد دفع العسكري أمامه والذي سقط بدوره ووجد الدكتور عمر الطريق أمامه سانحًا إلى بوابة المشرحة قبل أن يفيق أيمن وتكون العواقب وخيمة؛ فقد بات على يقين أنه يجب عليه أن يجد هذا الذي فعل الجريمة ويقدمه للعدالة وإلا فسيجد نفسه أمام قائمة من التهم أقل هذه التهم كفيل أن ينهي حياته العلمية إلى لا رجعة.

وبالفعل استطاع الفرار جريًا على قدميه فاجتاز رواق المشرحة وخرج في سرعة كبيرة ونادى على أحد سائقي التاكسى الذي سأله "على فين يا باشا؟ " فأجاب: "اطلع وانا هقولك بعدين".

وفي هذه الأثناء كان أيمن قد أستفاق بسرعة وخرج يجرى وراء عمر، ولكنه لم يدركه فتكلم في الجهاز ليستدعي وحدات الشرطة الممكنة حتى تحاصر

المنطقة في أسرعِ وقت، لكن في أثناء هذا كان التاكسي قد أقلّ عمر وابتعد بسرعة كبيرة عن محيط مشرحة زينهم.

ظلت الأفكار تتصارعِ في ذهن عمر ما الذي حدث وما الذي يحدث وإلى أين أذهب، بالتاكيد هم سيراقبون منزلي ومنزل كل معارفي ولن يدعوا أحدًا إلا ويسألوه عنّي، وأنا أحتاج إلى وقتٍ أفكر فيه وأحلل ما حدث لعلي أفهم ما الذي يجري بالضبط.

وفجأة وهو في أوجّ ارتباكه ويعلم أنها ما هي إلا دقائق وستكون صورته مع كل الدوريات والأكمنة؛ فليس معه سوى دقائق معدودة ليجد له مكانًا يختبئ فيه. وهنا قفزت في ذهنه فكرة لم يكن يتخيلها يومًا فطردها قائلًا لا لا مستحيل هذه المرأة لا تطيقني، كيف لي أن أذهب إليها؟ ولكنه عاجل نفسه بالرد لهذا السبب لن يفكر أحد أنك عندها.

إنها "الدكتورة فريدة" المنافسة الشرسة له في الكلية والتي أفردت كتبًا ومجلدات للرد على مقالاته التاريخية، وهي تراه شخصًا لا يستحق ما وصل إليه من الشهرة والسمعة، وهي مدافع قوي جدًّا عن المرأة و وترفض نظريته حول المؤامرة التي دبَّرتها النساء لاغتيال رمسيس الثالث، حتى إنها في يومٍ من الأيام وأثناء محاضرة للدكتور عمر عن مثل هذا الأمر قامت وسبَّته بين الطلاب والحاضرين واتهمته بالجهل وقصر النظر ودعته إلى مناظرة كبرى يحضرها المتخصصون من كل أنحاء العالم لتثبت كذب مزاعمه وكيف أن الدكتور عمر هذا لا يفهم شيئًا ولا يستحق شيئًا من هذا النجاح.

أيقن الدكتور عمر أنه عليه فورًا التوجه إلى الدكتورة فريدة ومحاولة إقناعها أن تخفيه وتتستر عليه حتى يجد أمامه متسعًا من الوقت ليتدبر

أمره ويفهم ما الذي يجري من حوله كما أنها خبيرة بعِلم الآثار أيضًا وأستاذة في اللغات القديمة، وهذا قد يساعده جدًّا في فك طلاسم هذا اللغز المحيِّر وفهم الكتابة المنقوشة على ظهر القتيلة، وبالفعل أعطى أوامره لسائق التاكسي "مصر الجديدة يا أسطى ميدان الكوربة" .

وصل التاكسي ونزل عمر متوجهًا إلى عمارة شاهقة تبدو قديمة نوعًا ما لكنها من العمارات المميزة لمصر الجديدة بجمال عمارتها وحُسن الذوق فيها، كان البناء يحمل طابعًا إنجليزيًّا راق إلى حدٍّ كبيرٍ، دخل مسرعًا إلى العمارة واستقل الأسانسير إلى الدور الثالث متوجهًا إلى شقة 31 حيث كانت تقطن الدكتورة فريدة .

كانت الدكتورة فريدة امرأة جميلة جذابة، تغلف جمالها بحدة علمية طاغية، لكنها كانت في الثلاثينات من عمرها حيث اكتمال الأنوثة ونضجها، وكانت شديدة الاعتناء بنفسها، تمارس الرياضة وتحافظ على قوامها ورشاقتها وأناقتها، تنفق كثيرًا على ملابسها، وتضع أغلى العطور، كانت مثالًا للمرأة العصرية الجميلة، وأيضا كانت مثالًا للعالمة الباحثة الجادة التي تطلع على آخر الأبحاث والتقنيات في علوم الآثار والاكتشافات، وكانت قد مات عنها زوجها والذي كان يعمل بمجال التنقيب عن الآثار والبحث التاريخي، وقد لقى مصرعه في إحدى محاولاته الاستكشافية، وكانت تحبه جدًّا؛ لذلك بقت بغير زواج وتفرغت لنفسها وللعِلم والتاريخ، ولم تكن قد رزقت منه بأولاد مما ساعدها على التفرُّغ لنفسها وللعِلم والفهم والتحليل المنطقى لأحداث التاريخ.

وجد عمر نفسه أمام بيت المرأة التي طالما صارعته صراعات فكرية وأدبية، ولم يكن ليدور بخلده يومًا أنه سيقف هكذا أمام بيتها طالبًا منها يدَ العون والحماية بل والمساعدة له في إنقاذ حياته.

دقَّ جرس الباب، فتحت الدكتورة فريدة مرتدية "روب" أبيض وقد بدا عليها علامات النعاس، ولكن أفزعها صوت جرس الباب، فتحت الباب وإذا بالباب الشخص الوحيد الذي ما كانت لتتصور يومًا أن يأتيها، فعاجلته قائلة بلغة حادة وبنبرة منزعجة:

- دكتور عمر إيه اللي جابك هنا " فأجاب: -

طيب ممكن ندخل وهحكيلك كل حاجة بس ندخل من فضلك.

- اتفضل يا دكتور أنا مش من عادتي إني استقبل حد في بيتي، ولذلك أرجو الزيارة تكون قصيرة ولهدف محدد، أنا تعبانة وعايزة ارتاح ولو جاي عشان تكلمني عن المحاضرة واني ازاي اكلمك كده قدام الناس يبقى نخلي النقاش ده في الجامعة أحسن..

عاجلها عمر بكلمات حادة قاطعًا كلامها:

- أنا هربان من جريمة قتل..

جلست على الأريكة فاغرة فاها كأنما سقطت من السماء لا تعرف ما تقول ولا تدري كيف تجيبه، أتم عمر كلامه:

- ومحتاج مساعدتك جدًا في الموضوع اللي أنا فيه لأن القاتل شخص محترف جدًّا وعارف بيعمل إيه، ومش بس كده، دا غالبا عالم في التاريخ ومتخصص جدًّا كمان وهو عايز يورطني في القضية وانا في الحقيقة مش فاهم حاجة ومش عارف إيه اللي بيحصل " قاطعته فريدة:

- من فضلك يا دكتور أنا مليش دعوة بالأمور دي، ومن فضلك خرجني، منها أنا ست وليا سمعتي وعالمة ليا مكانتي العالمية. اتفضل اطلع برة أنا مش ممكن اتستر على متهم في جريمة قتل".

قام الدكتور عمر وقد توجه للباب وقبل أن يفتح الباب قال بصوت علاه الاستعطاف:

- حتى لو عرفتي إن القاتل دبح الضحية وطمس ملامحها وكتب على ظهرها طلاسم باللغة القبطية القديمة "ثم أخرج هاتفه وقد أراها الصورة الموجودة على الهاتف. فغرت الدكتورة فيها واتسع شدقاها ونظرت إلى عمر الذي بدوره أردف قائلًا:

- ناهيكي عن إنه استخدم صمغ الراتنج في الكتابة دي إحنا قدام عالم يا دكتورة مش شخص عادي، والجريمة دي لازم ليها معنى وعلاقة باللي احنا بنقوله في المحاضرات، أنا اشعر أن الجريمة دي استدراج ليا أنا شخصيًا إني ادخل في قصة كبيرة جدًا لا أنا عارف بدايتها ولا نهايتها بس كل اللي عارفه إن رقبتي قرب يتلف حواليها حبل المشنقة، والطريق الوحيد قدامي إني الاقي القاتل اللي من الواضح إنه مش هيكون سهل أبدًا واننا قدام عالم حقيقي مش مجرد قاتل قتل وخلاص دول وصلوا لأوضة نومى يا دكتورة وحطوا فيها ملابس داخلية للبنت اللي لقوها مدبوحة مش كدة وبس، لقوا بصمات غريبة في شقتي وانا متأكد انها هتطلع للبنت دي، وانا مش عارف ولا فاهم أي حاجة من اللي حصل، إنتي عارفانى يا دكتورة أنا مستحيل أقتل مهما كانت نظرتك العلمية ليا لكني مستحيل أقتل.

هنا وقفت الدكتورة تحملق في الموبايل وفي الصورة التي نقشت على ظهر البنت بشكل بشع وبهذه المادة الغريبة ثم قالت: " شوف يا دكتور أنا عندي

استعداد أساعدك واصدقك بس لو للحظة واحدة حسيت انك بتكذب عليا أو بتخدعني أنا مش هبلّغ البوليس أنا هقتلك بإيدي وانت عارف اني أقدر اعمل كده " قال بنبرة حملت كل معاني الشكر:"شكرًا لكرمك ده وجميلك ده عمري ما هنساه قبل أي حاجة من فضلك عايز كوباية مية، أنا هموت من العطش وريقي ناشف جدًّا ". دخلت مسرعة وعادت حاملة معها كوب من الماء وضعته أمامه على المنضدة وقد جلس هو ينظر إلى هذه الصورة محاوِلًا أن يحل لغز هذا الطلسم العجيب، طلب من الدكتورة قلمًا وورقة وجلس يحاول أن ينقل النص الطلسمي الذي وجده على ظهر البنت، وما إن فرغ منه حتى قال لها " انتي مش شايفة في الرسمة دي حاجة غريبة " أجابته "طبعًا، المشكلة اني بحاول افك رموز اللغة واحط الحروف جنب بعضها بس للأسف مفيش أي معنى للكلام، طيب نحاول نقراها من فوق لتحت بردو مفيش فايدة بحاول بكل الطرق إني اوصل لطريقة أفهم بيها الكلام مش قادرة " وظل الدكتور عمر يحاول بكل الطرق الممكنة أن يفهم هذا الطلسم، إلى أن لمعت عينه بنظرة كأنما انفرجت له انفراجة من السماء أو سقط عليه سهم الوحي الإلهي ليخرجه مما هو فيه ويضع يده على أول الطريق في فهم هذه الطلاسم المعقدة.

* * *

- 6 -

كان المقدِّم أيمن قد أبلغ كل الوحدات الشرطية المحيطة وأعطاهم جميعًا مواصفات الدكتور عمر وجاءته تعليمات من المديرية بضرورة القبض عليه فورًا بعد أن ثبت أن البصمات الموجودة عنده في بيته، وفي غرفة نومه هي تطابق بصمات البنت المقتولة؛ فصار لزامًا على أيمن أن يقبض على عمر بأي ثمن، بدأ أيمن بتتبع كل الطرق التي قد توصله إلى عمر فأمر بمراقبة بيته وأقاربه وحتى أصدقائه الذين من الممكن أن يحتمي بهم، كما أنه أعطى التعليمات إلى شركة المحمول التي يتبع لها رقم هاتفه بتتبع الرقم وتحديد المكان الذي تصدر منه مكالمة إما إرسالًا أو استقبالًا، بل وأرسل إلى شبكات الإنترنت أن تتتبع الإيميل الشخصي الخاص به حتى إذا فتح الإيميل من أي كمبيوتر يستطيعون التعرف على موقع الجهاز الذي فتح منه الإيميل، وبدأ يبذل هو ورجاله كل ما هو ممكن أو محتمل للوصول إليه بأي ثمن ومهما كلفهم هذا الأمر.

عاد أيمن إلى المديرية ودخل مكتبه وهو في غضب شديد يتوعد عمر في نفسه وينفث غضبه مع دخان السجائر التي يوقدها واحدة تلو الأخرى وهو يصدر تعليماته إلى قادة الفرق البحثية التي وُكِّلت لمساعدته.

وبينما هو على ذلك أصدر هاتفه رنة يعرفها جيدًا، فأجاب "أيوة يا حبيبتي في إيه " وكان الموبايل قد أعلمه أن المتصل زوجته، فجاءه الرد بفزعٍ غير

مسبوق؛ فزوجته تصرخ: "إلحقني يا أيمن في قتيل في الجنينة عندنا أحمد ابنك شافه وهو بيلعب في الجنينة والواد عنده صدمة عصبية إلحقني".

نزل أيمن مسرعًا، وقد أخذ معه رجاله وقد بدا عليه الفزع والهلع لما يحدث.. ما هذا اليوم الغريب إلى ما ستقودنا أحداث هذا اليوم ووصلت والمسألة إلى بيتي وإلى داري.

وصل أيمن في سرعة البرق، ودخل إلى زوجته واحتضنها وهو يقول "متخافيش يا حبيبتي، إهدي بس" أشارت إليه وإلى فريق البحث معه إلى الجثة الملقاة في حديقة الفيلا، اقترب أيمن من الجثة ليجد أمامه رجلًا مقتولًا قد جاوز الخمسين من عمره، بدا ذلك واضح من علامات الشيب على رأسه وقد خطته كله تقريبًا وبنفس الطريقة التي قُتِلَت بها البنت: قطع حاد في الرقبة ووجه مشوَّه كأنما أذيب بماء النار، فالوجه من البشاعة بمكان أسنان بارزة والعين جاحظة بلا أجفان لها، بينما تقف زوجته في ذهول وقد اغرورقت عيناها بالدموع والولد في حالة من التشنج العصبي.

اقترب أيمن من الجثة بنفسه هذه المرة كأنما كان واثقًا أن ثمة شيء ما قد سُطِرَ على ظهر هذه الضحية الجديدة، وإذا بالذهول يجتاحه؛ حيث وجد ما كان قد توقع، ولكن هذه المرة برموز مغايرة أشبه ما تكون برموز هيروغليفية، بالله ما الذي يحدث؟ كل هذا يقع في يومٍ واحدٍ، تنزل الصواعق على رأسه بلا هوادة، لكنه توجَّه إلى امرأته أن تصعد إلى غرفة ولدها لتكون بجواره بينما سيتولى هو هذا الأمر بعد أن حاول أن يهدئها ويطمئنها ثم طلب استدعاء النيابة، ومن ثم الطب الشرعي، قدِمَ إليه الدكتور مدحت منزعجًا لأبعد حد، وقد بدا له أن تشريح هذه الجثة لن يختلف كثيرًا عن تشريح الجثة السابقة، بيد أننا أمام قاتل متسلسل، ولكن إذا وقد عجزنا عن فهم ما جاء على ظهر الجثة السابقة فكيف لنا أن نفهم

ما كتب على ظهر هذه الجثة؟ وقف مدحت بجوار المقدم أيمن في ذهول.. ما كل هذا الذي يحدث في يوم واحد؟ فالجثة بشعة وتشريح الجثة الأولى لم ينتهِ منه بعد حتى تضاف إليها جثة جديدة ويبدو واضحًا جدًّا أنها أيضًا جثة حديثة قُتِلَت منذ ساعات قليلة، كأن الحادثتين وقعتا في وقت متقارب منذ ساعات وليس أكثر.. ترى ماذا تخبئ لنا الساعات القليلة المقبلة؟

أرسل أيمن إلى المديرية لاستدعاء خبير في اللغة الفرعونية حتى يفهم ما هذا الذي كتب على ظهر ضحية اليوم، وقد كان الوقت قُرب الغروب حيث أوشكت الشمس على المغيب ، ولما أرسلت المديرية إلى كلية الآثار تطلب خبيرًا يمكنه ترجمة النص المكتوب على ظهر القتيل باللغة الهيروغليفية جاء الرد غدًا نرسل لكم متخصصًا في اللغة الهيروغليفية ليتولى المهمة الموكَّلة إليه من قبلكم.

كانت النيابة قد حضرت وعاينت الجثة وموقع الدفن في حديقة فيلا المقدِّم أيمن الذي كان قلبه يعتصر خوفًا على ولده، فأمرت النيابة بنقل الجثة إلى المشرحة بعد المعاينة وكلفت المباحث بملاحقة الجاني وتتبُّعه والقبض عليه.

صار لزامًا على أيمن الآن وأكثر من أي وقت مضى أن يقبض على الدكتور عمر أو القاتل أيًّا كان من هو؟ حتى يحافظ على وظيفته وهيبته في الداخلية فضلًا عن إنه قد يجد نفسه في موقف لا يُحسَد عليه حيث وجد القتيل في حديقة بيته؛ فقد تتفاقم الأمور إذا لم يسرع أيمن بالقبض على عمر كما أنه يخشى على ولده ولا يعرف ما حدث له لكنه مضطر إلى نقل أسرته خارج الفيلا إلى مكان آمن.

* * *

- 7 -

في بيت الدكتورة فريدة في ميدان الكوربة بمصر الجديدة حيث شقتها الجميلة التي تتكون من ردهة واسعة قد وضعت فيها أثاثًا حديثًا على النسق الأمريكي وزينت الشقة بديكورات عصرية جميلة تتناسب مع الذوق العالي الذي تتمتع به الدكتورة فريدة، أيضًا تتكون الشقة من ثلاث غرف خصصت إحداها للنوم والثانية جعلتها مكتبًا ومكتبة لها تحوي العديد من كتب الآثار والتاريخ، بينما كانت هي وزوجها الأسبق قد أعدّا الغرفة الثالثة للطفل المنتظر ولكن لم يشأ لها الله أن تحمل به من زوجها القديم فباتت مغلقة لا تستغلها وخصوصًا بعد وفاة زوجها وعزوفها عن الزواج.

لمعت عين الدكتور عمر الذي أخذ يقطع الحروف في السطر الواحد إلى كلمات لعلها تعطيه معنى، ولكنه كان يفشل في كل مرة حتى كانت المفاجأة فإذا به يصيح قائلًا للدكتورة فريدة:

- أنا حاسس إن الكتابة دي لطريقة نطق مش حروف في ذاتها.

ردت فريدة بتعجب:

- تقصد إيه؟

أجابها عمر وهو يحملق في الكتابة التي أمامه وهو يقول:

- أقصد أن هذا الكلام يعني طريقة أو أصوات لكلمات تانية، يعني الجملة مش هي اللي أودامنا دي.

- وضّح كلامك أكتر.

فردَّ عمر بتهلل في وجهه:

- يا فريدة الحروف اللي قدامنا دي هي طريقة نُطق حاجة تانية، أرقام مثلًا.
- تقصد إنه بدل ما يكتب 1 بوضوح هكذا مثلًا يكتبها واحد.

- بالظبط وبالتالي لو رصينا الحروف دي جنب بعض مش هتدي معنى، لكن لو قطعناها مقاطع بيحث كل مقطع منهم يكون طريقة نطق رقم ممكن يكون عندنا شبكة من الأرقام ". نظرت إليه فريدة في إعجاب حاولت بكل الطرق أن تخفيه، ولكن فضحتها عيناها فقالت:

- لو سلمنا بوجهة نظرك تفتكر هيبقى معناها إيه.

رد عليها عمر في تلهف:

- بصي معايا كدة أنا وانتي من القليلين في البلد دي اللي نعرف اللغة القبطية القديمة ونجيدها إجادة كاملة، ركزي معايا هتلاقي أول أربع رموز مثلًا هي طريقة نطق الرقم 2 ⲟⲩⲁⲓ في اللغة القبطية القديمة،وكذلك الأربعة رموز التالية هي طريقة نطق الرقم 1 في القبطية القديمة، وبالطريقة دي لو حللنا هذا الكلام هنوصل لشبكة من الأرقام شكلها كده.

أخذ عمر يحلل الرموز ويحولها إلى أرقام بما يكافئ نطقها في المصرية القديمة القبطية حتى كانت الشبكة هكذا:

2	1	6	1	2
1	3	3	2	1
2	2	9	4	1
3	1	11	3	2

وقفت الدكتورة فريدة وهي تنظر إلى هذه الشبكة الرقمية التي ما باتت تعطي معنى محددًا إلى أي شيء وكأنما هم أمام أحجية جديدة من أحاجي الفراعنة القدامى، وخلف هذا الباب الذي ظنوا أنه قد فُتِح يقبع باب آخر موصد يحتاج إلى مفاتيح كثيرة لتمكنهما من فك هذه الشفرة المعقدة، باتت آمال الدكتور عمر في مهب الريح، وأمله في أن يجد لنفسه مخرجًا، ضعيفًا جدًّا وضئيلًا إلى قدر لم يعد يستطيع أن يتمالك معه أعصابه التي بدأت في الانهيار كلما تذكر أنه قد يفقد كل ما وصل إليه بل وأكثر؛ فقد يفقد حياته ذاتها.

وبينما هما على هذا الحال صدح صوت هاتفها برنة مفزعة جاءت من رئيس القسم في الكلية قائلًا "دكتورة فريدة عايزينك بكرة في مديرية الأمن ضروري جدًّا، متتأخريش عليهم.." فردت مقاطعة:

- خير يا دكتور؟

- أنا معرفش الحقيقة، بس هم طلبوا مني ترشيخ خبير في اللغات القديمة يساعدهم على حل لغز قضية عندهم وانا رشحتك ليهم ربنا يوفقك شدى حيلك وبيّضي وشنا" أجابت بهدوء مصطنع ونبرة تخفي داخلها قلقًا بالغًا: "أكيد أكيد يا دكتور إن شاء الله بكرة هكون في الميعاد .

أغلقت الهاتف وتلت على مسامع الدكتور عمر كل ما دار في المكالمة وأردفت قائلة:

- أنا بفكر بكرة مروحش، أنا خايفة وحاسة أن الموضوع ده هيويدنا في داهية كلنا، إنت متأكد أن محدش شافك وانت طالع عندي ولا حد كان مراقبك؟"

ردَّ عليها عمر قائلًا:

- متخافيش يا دكتورة لو في أي ضرر عليكي أنا ممكن امشى فورًا أو حتى أسلِّم نفسى بس انتي ميحصلكيش حاجة، بس أنا أعتقد إن الموضوع مفيهوش حاجة لأن الدكتور اللي كلمك وهو اللي رشحك والموضوع مش هيزيد على سؤالين عن نفس القضية دي، يمكن تعرفى تساعديهم وانتي متقوليش على حاجة من اللي وصلنالها دي وقولي الرموز غامضة وملهاش معنى وخلاص وانا هنتظرك هنا.

صمت كلاهما وقد تعاصف ذهناهما وتشابكت أفكارهما لمحاولة فك رموز هذه الأحجية وهذه الخريطة الرقمية التي نجمت عن الطلسم المكتوب على ظهر الفتاة.

كان الليل قد حلَّ وحل على جسد الدكتور عمر تعبٌ بالغ وألمٌ شديدٌ وإرهاق كبير من هذا اليوم العاصف، فقالت الدكتورة فريدة في نبرة جادة:

- تحب اعملّك حاجة تاكلها انت شكلك مكلتش من الصبح؟

رد عليها عمر:

- لا أنا عايز غطا بس انام على الكنبة هنا لأن جسمي تعبان جدًّا ومحتاج اريّح عقلى عشان اعرف افكر.

أحضرت له فريدة وسادة وغطاء؛ فقد كانت متحرجة إلى أبعد حد.. كيف ينام في بيتها رجل غريب لا تعرفه ولا تربطه بها صلة؟ ثم لماذا قبلت أن تقحم نفسها في أمرٍ كهذا فهى لا تجد مبررًا أمام نفسها تبرر به قبولها مساعدته، ولكنه بيد أن حياتها التي ليس فيها سوى العلم والمطالعة باتت رتيبة إلى حد جعلها بحاجة إلى مغامرة قد تكون مغامرة مجنونة، ولكنه أمر يجعل

لحياتها معنى وهدفًا، ولكن العقل والمنطق يقولان ضد ذلك إذ يتعين عليها أن تحافظ على مركزها في عالم الآثار والتاريخ، ولكن كثيرًا ما نتصرف بدافع من حماقاتنا بدلًا من عقولنا، ولعل كثيرًا ممن غيروا شكل العالم وغيروا التاريخ رجال ونساء تتبعوا حدث حماقاتهم فغلبوها على صوت العقل لديهم.

تركت له الوسادة والغطاء وقد نظرت له نظرة بدا عليها الشفقة لكنها انصرفت عائدة إلى غرفتها حيث أغلقت الباب خلفها جيدًا واستقبلت سريرها تحاول أن تنام ولكن دون جدوى، الأفكار تعصف برأسها والتساؤلات التي أهمها ترى هل ما فعلته كان صوابًا أم أني أقحمت نفسي فيما لا داعي له؟ وهل يا ترى الدكتور عمر بريء أم أنه مجرم فعلًا واستطاع خداعي بنظراته الحانية ونبرته الاستعطافية ؟

حدسي يقول لي إنه بريء وأن ثمة شخص يريد أن يوقعه في هذا كله، ولكن لعل الأيام القليلة المقبلة تكشف عن أمور كثيرة .

حاولت النوم لكنه لم يداعب جفنيها بسهولة؛ فقد قضت طيلة الليل تفكر فيما يجري حتى أجفلت أخيرًا وغلبها النعاس.

بينما كانت فريدة تفكر فيما يجري كان عمر يعصر ذهنه في تصور هذه المصفوفة ومحاولة فهم ما فيها ومراجعة ما دار خلال اليوم؛ فقد أخذ يعيد ترتيب أوراقه وأفكاره محاوِلًا أن يصل إلى أي خيط يعينه على فهم ما يجري إلا أنه وجد نفسه أمام تلك المصفوفة التي لا تنم سوى عن أرقام جوفاء ترى ما معناها أو إلى ما تشير، ثم أنه أخذ يفكر في موقف الدكتورة فريدة معه وكيف أنها قبلت أن تساعده وتعينه في محنته وسمحت له أن ينام في بيتها ولا صلة بينهما، إنها إنسانة رائعة قل أن يقابل الإنسان مثيلًا لها.

أخذ عمر يفكر فيما قد يسفر عنه اليوم التالي وما سيحدث لفريدة في مديرية الأمن هل ثمة خطر عليها ؟

كل هذه الأفكار تعصف بذهنه ولا يكاد يجد له تفسيرًا لها، أخذ يحدِّث نفسه ببحر من علامات الاستفهام، لكن أهمها كان ترى هل ينتهي هذا الأمر أم أجد نفسي وقد خسرت كل شيء حتى حياتي في جريمة أنا لم أقترف منها شيئًا؟ فبات عمر يردد أبيات شعر حفظها قديمًا:

نامت أعين واستيقظت عيون في أمورٍ تكون أو لا تكون

إن ربًّا كفاك ما كان بالأمس سيكفيك في غدٍ ما سيكون

* * *

- 8 -

في صبيحة اليوم التالي استيقظت الدكتورة فريدة والتي من الأصل قد نامت نومًا متقطعًا لا قرار فيه لجفن ولا راحة فيه لبدن. استيقظت وهي تتساءل ماذا ستفعل عند دخولها المديرية، وماذا ستقول، وكيف يمكنها أن تحافظ على هدوئها؛ فلا يبدو عليها أي علامة من علامات الارتياب والقلق أو أنها تخفي شيئًا.. كيف تبدو طبيعية بلا مخاوف؟!

دخلت إلى حمامها بمبي اللون وقد خلعت ثيابها وجلست في البانيو الذي ملأته بالماء الساخن لتسترخي قليلًا حتى تواجه هذا اليوم الذي بدا عصيبًا منذ ليلته.

أنعشت جسدها برغوات الصابون المنعشة ودلكت جسدها حتى ترجع إليه حيويته ونشاطه وهي تفكر طيلة الوقت فيما يحدث، حتى إنها باتت تتساءل هل هذه الشبكة الرقمية لها معنى أم أننا أمام حائط من أحجار الجرانيت.

خرجت الدكتورة من الحمام وارتدت ثيابها؛ بنطال من الجينز و"تيشرت" أبيض جميل يبرز جسدها المتناسق وفوقه جاكيت أسود فقد كانت تحب تلك النوعية من الملابس رغم كونها دكتورة في الجامعة، إلا أنها كانت تحب هذه النوعية من الملابس والتى تتفق مع طبيعة عملها أحيانا في البحث والتنقيب. خرجت من غرفة نومها لتجد الدكتور عمر قد استفاق وجلس على الأريكة وقد أعدَّ لنفسه كوبًا من النسكافية الذي اعتاد أن يشربه حتى يستطيع أن يعيد عقله إلى عمله الطبيعي، وكان قد أعد لها كوبًا من القهوة

الأمريكية التي تحبها الدكتورة فريدة؛ فلما رأت القهوة وقبل أن تتكلم عاجلها عمر قائلًا:

- أنا آسف جدًّا إني سمحت لنفسي ادخل مطبخك، بس فعلًا كنت محتاج مج نسكافية أنا مقدرش اركز من غير ما استقبل اليوم بيه.

سألته وقد أقرت صنيعه برأسها:

- لا ولا أي حاجة يا دكتور البيت بيتك بس انت عرفت منين إني بحب القهوة الأمريكية؟ فأجابها بسرعة كأنما قد توقع السؤال:

- سمعت مرة من زميلتك الدكتورة ابتهال إنك بتحبي القهوة الأمريكية". تناولَتْ الدكتورة فريدة الفنجان، وأخذت ترشف منه في عجالة فقال لها:

- على مهلك يا دكتورة، إهدي شوية بلاش يبان عليكي التوتر دا ممكن يسبب لك أذى وبالطبع يوديني أنا في ستين داهية.

طأطأت رأسها كأنما تريد أن تقول أعرف هذا جيدًا. ثم قالت: ربنا يستر ويعدّي الموقف دا على خير.

أنهت فريدة فنجان القهوة ووضعته على المنضدة وتوجهت إلى عمر:

- البيت بيتك لو احتجت حاجة الفطار في التلاجة، أنا في الحقيقة مبفطرش وانا هحاول متأخرش. رمقها عمر بنظرة مزج فيها الإعجاب بالأمل أن توفق في زيارتها هذه ورد في حنوٍّ بالغ وتوتر:

- ربنا معاكي، أنا مستنيكي.

نزلت الدكتورة فريدة وقد ركبت سيارتها الفولكس وانطلقت في طريقها إلى مديرية الأمن، وفي الطريق جاءها تليفون من رقمٍ لا تعرفه فأجابت:

- آلو..

جاءها صوت عميق:

-دكتورة فريدة؟

- أيوة مين حضرتك؟

أجابها الصوت:

- أنا المقدم أيمن، وكنت أخدت رقم تليفونك من رئيسك المباشر، عند حضرتك مانع يا دكتورة إنك تجيلنا المشرحة مباشرة مش على المديرية ؟

قالت كأنما بدا عليها التعجب:

- مشرحة إيه؟ وإيه المطلوب منِّي؟!

- مشرحة زينهم، عايزين نورّي حضرتك حاجة يمكن تقدري تساعدينا في شغلنا، ولما تيجي هتفهمي كل حاجة.

أجابت بصوت بدا عليه القلق:

- مفيش مشكلة يا فندم، أنا في الطريق جاية، واتشرفت بسماع صوت حضرتك.

- الشرف لينا احنا يا دكتورة مستنى حضرتك في مشرحة زينهم.

أغلقت الهاتف وهي تقول في نفسها أي يوم هذا بالله "ربنا يعدي اليوم ده على خير". توجهت إلى المشرحة مباشرة وهناك أوقفت سيارتها ونزلت وهي تسأل أمن البوابة:

- أنا عندي ميعاد مع الظابط أيمن، ممكن حد يبلّغه أو تعرفونى هو في أنهي أوضة.

فاتصلوا بحجرة الدكتور مدحت الطبيب الشرعي الذي كان يجلس عنده أيمن منتظرًا قدوم الدكتورة فريدة .

وما إن صعدت فريدة إلى غرفة الدكتور مدحت حتى استقبلاها بترحاب شديد وقال لها أيمن:

- أهلًا بيكي يا دكتورة آسفين أزعجناكي.

ردت فريدة وقد هزت رأسها:

- لا تعب ولا حاجة يا فندم.

أشار إليها أيمن بالجلوس ثم عاجلها قائلًا:

- إحنا محتاجينك جدًّا يا دكتورة، هنوريكي حاجة غريبة جدًّا ومحتاجين مساعدة حضرتك عشان نفهم اللي بيحصل.

ردَّت في صوت خافت:

- أكيد يا فندم أي حاجة في استطاعتي مش هتأخر.

جلست فريدة لبرهة ثم توجهت إلى أيمن قائلة:

- ياريت نبتدي عشان أنا عندي محاضرات كتير في الجامعة.

أجابها أيمن بكل سرور:

- إتفضلي يا فندم.

وأثناء هذا الحديث كان يجلس الدكتور مدحت شاردًا يفكر في هاتين الجثتين اللتين ما رأى مثيلًا لهما قَط حتى إن هذا شغله عن الترحيب اللائق بفريدة بالرغم أنها في مكتبه.

قام الدكتور مدحت وقد أشار إلى المقدِّم أيمن والدكتورة فريدة أن يذهبا معه إلى حجرة التشريح، فخرجا من مكتبه، ولم تكن غرفة التشريح بعيدة عن مكتبه، تحركوا ثلاثتهم صوب غرفة التشريح التي كانت في نفس الدور.

دخل مدحت وأوقد المصباح ثم أشار إلى أيمن بالدخول، ثم دخلت فريدة إلى حجرة التشريح وبدا أمامها الدكتور مدحت يقف على رأس طاولة التشريح مدَّ يده وكشف عن جثة الرجل المقتول الذي وجدوه في حديقة فيلا المقدِّم أيمن. نظرت فريدة إلى ظهر الجثة، وقالت بفلتة لسان:

- إيه ده دا ظهر راجل مش ست. هنا نظر إليها أيمن نظرة مرتابة قليلًا وقال:
- أيوة يا دكتورة هي جثة راجل مش ست بس انتي ليه توقعتي انها جثة ست؟

لملمت فريدة أفكارها وحاولت أن تبدو ثابتة وأن تظهر أن ماحدث كان تخمينًا عابرًا ليس له أصل من الواقع، وحاولت أن تبدو متماسكة وتحافظ على ثبات أعصابها أمام أيمن الذي بات في نفسه ريبة منها، فردت هي بهدوء:
- لا يا فندم دا توقع بس مش أكتر، ثم إني انزعجت لما شفت ظهر راجل عريان وانا محبتش المنظر يعني." فقال:

- مفهوم مفهوم.

بينما بدت نظراته أكثر ريبة وتوجُّسًا منها فقال لها:

- إيه رأيك يا دكتورة في اللي مكتوب ده ومعناه إيه؟

وجدت ظهر الرجل الذي قد جاوز الخمسين من عمره على ظهره طلسم جديد مكتوب باللون الأحمر، ولكن هذه المرة بدت الكتابة باللغة *الهيراطيقية (الهيراطيقية نوع من الكتابة المصرية القديمة كتبت برموز مبسطة للرموز الهيروغليفية، واشتقت كلمة "هيراطيقي"من الكلمة اليونانية (غراماطا هيراطيكا) وإشارة إلى أن الكهنة كانوا أكثر الناس استخدامًا لهذا الخط حيث أن نسبة كبيرة من النصوص الهيراطيقية الكهنوتية وخاصة في العصور المتاخرة هي نصوص دينية، وكتب معظمها بواسطة الكهنة وغلب ذلك جدًّا على عصر رمسيس الثالث أي في مطالع الأسرة العشرين).

حملقت الدكتورة فريدة بظهر الرجل بشدة وأخذت تتحرك حول الجثة تدور حولها من كل الجهات كأنما هي تقف أمام بردية جديدة تكتشف لأول مرة ولم تكتب هذه المرة على ورق البردي بل كتبت على ظهر رجل ميت كأنما أعيدت إلى الدنيا فكرة القربان البشري شعرت وهي تنظر أنها رجعت إلى زمان سحيق حيث بدت لها ترجمة بعض ما جاء على ظهر الرجل لكنها كانت بحاجة إلى العودة إلى مراجعها وكتبها حتى تعطي ترجمة حقيقية كاملة للنص المكتوب بصمغ الراتنج على ظهر الرجل المذبوح .

نظرت فريدة إلى المقدِّم أيمن وقالت:

- أنا مش هقدر أدّي لحضرتك ترجمة كاملة للنص المكتوب ده دلوقتي أنا هحتاج شوية وقت عشان اقدر ادّي لحضرتك الترجمة المطلوبة. قاطعها أيمن بنبرة حادة :

- وقت أد إيه يعني؟

- بكرة الصبح هيكون عند حضرتك نص كامل بترجمة الطلسم ده بس هحتاج أخد صورة ليه بالموبايل عشان أقدر اراجع النص واطابقه وفق المراجع اللي عندي.

نظر لها أيمن كأنما يأس من أن يجد عندها أكثر من هذا وتوجه إليها قائلًا:
- بس مش أكتر من 9 الصبح تكون الترجمة على مكتبي.

انزعجت الدكتورة فريدة من طريقته التي بدا عليه فيها أنه يعطي الأوامر لجندى عنده في القسم فقالت "هحاول " وأخرجت هاتفها والتقطت صورة لظهر القتيل بما تحويه من نص في غاية الغرابة والغموض للغة لا يعرف أبجديتها الآن سوى القليل، فضلًا عن أن هذا النص بدا لها كأنما طالعته يومًا ما، ولكنها ليست على يقين.

استأذنت بالانصراف فتحرك معها المقدم أيمن إلى باب المشرحة مودعا إياها وكانت آخر كلماته"مش هوصيكى يا دكتورة على سرية اللي شفتيه وعلى اهميته وخطورته في نفس الوقت" قالت وهى تهز رأسها كأنما تأمل في إنهاء اللقاء "مفهوم مفهوم" وانصرفت عائدة إلى سيارتها الفولكس وقد استقلتها وتوجهت في طريقها مبتعدة عن المشرحة، وفى أثناء ذلك كان أيمن قد أصدر الأوامر لرجاله بضرورة مراقبة الدكتورة فريدة وبدا له أن عندها الكثير الذي تخفيه وزادت شكوكه نحوها لما تلعثمت وهي متعجبة من أن الجثة التي استدعيت من أجلها جثة رجل وليست جثة امرأة وأيضًا رغبتها في تصوير ظهر القاتل كأنما هي تريد أن تطلع أحدًا آخر على ما رأت وتخشى ألا تسعفها ذاكرتها لنقل ما رأته حرفيًا، الأمر كله بدا مريبًا لدى المقدم أيمن لذلك وبحسه الأمني كانت أوامره قد صدرت إلى رجاله بضرورة مراقبة الدكتورة فريدة مراقبة كاملها فقد تقودهم إلى بغيتهم ويجد عندها حلًّا لكل ما يجري.

* * *

- 9 -

وهناك في ميدان الكوربة في مصر الجديدة حيث يقبع الدكتور عمر يحاول أن يجد حلًّا لهذه المصفوفة الرقمية التي لا تبدي أمامه أي معنى حتى سمع كالون الباب يتحرك آذانًا بوصول الدكتور فريدة التي كانت في غاية الاضطراب وتحاول أن تجمع شتات أفكارها، سألها بصوت مرتاب:

- إيه اللي حصل؟

فردَّت بصوت يمزجه الخوف بالقلق:

- الموضوع كبر أوي ومبقتش قضية قتل واحدة دول بقوا اتنين.

سقط عمر على كرسي خلفه وقال:

- إزاي ده؟ إيه اللي حصل؟

- الظابط أيمن استدعاني عشان اشوف جثة راجل لقوه مقتول امبارح بنفس الطريقة اللي حكيتلى عنها في مقتل البنت، ومكتوب على ظهره بصمغ الراتنج النص ده.. وأخرجت هاتفها وفتحت الصورة لتريها إلى الدكتور عمر الذي ما لبث أن قرأها حتى انتابته حالة من الذهول والانزعاج الشديدين، فقال بصوت متعجل:

- أنا عارف النص ده كويس بس في زيادة عليه مكنتش في النص الأصلي.

- الحمد لله إن تخميني طلع صح وانك أكدت المعلومة عندي . عاجلها أيمن قائلًا:

- لكن مين اللي بيعمل كده وازاي يقدر يحصل على النصوص النادرة دي، إحنا قدام عالم كبير هو اللي بيقتل مش شخص عادي، إحنا قدام قاتل محترف لكن أنا عايز اطابق النص ده على النص الأصلي اللي نعرفه.

- المرجع الأصلي عندي في مكتبة الكلية ممكن نلجأ للإنترنت.

وعندها وقعت تلك الكلمة على عمر كالصاعقة، تذكر أنه من الممكن ملاحقته لو استعمل الإنترنت بل أن تليفونه هذا قد يمثل وسيلة لتتبعه وأردف قائلًا:

- ما اعتقدش نصوص بالسرية دي ممكن تكون على الإنترنت ولو فتحت الإيميل الخاص بي هيكون من السهل عليهم معرفة مكاني وتتبعي وعشان كده احنا لازم نروح على بيتي، وهناك هنلاقي كل النصوص التي هنحتاجها عندي في مكتبة جدي أقدم باحثي المصريات في العصر الحديث الدكتور كامل الأسيوطي. وهنا نظرت إليه فريدة بتعجب شديد:

- إنت حفيد كامل الأسيوطي؟

- طبعًا، وعايش في بيته اللي بناه بنفسه من أكتر من 120 سنة، قصر كبير يعتبر من آثار العصر الحديث، وهناك هنعرف الرد على حاجات كتير أوي من اللي محيرانا هنا.

توجهت فريدة نحو النافذة تلتقط أنفاسها وإذا بها تصرخ حيث لاحظت شخصًا حول العمارة التي تسكن بها بدا شكله مريبًا وتصرفاته غريبة على نحو جعلها تشك أنها مراقبة خاصة وأنها لمحته في مرآة سيارتها وهي عائدة

من المشرحة إلى بيتها، بيد أنها تورطت في هذا الأمر شاءت أم أبت وبات لزامًا عليها أن تساعد الدكتور عمر حتى تخرج من قضايا كثيرة تنتظرها أقلها التستر على مجرم وتضليل العدالة .

نظرت للدكتور عمر وقالت:

- على فكرة واضح ان أنا متراقبة الراجل اللي تحت ده أنا لمحته في مراية العربية بتاعتي وانا جاية على البيت، إحنا لازم نمشي فورًا من هنا بس هننزل ازاي والأهم هندخل بيتك ازاي؟ وقف عمر بجوارها يتطلع من النافذة من خلف الستار وعاين الرجل الذي أشارت إليه ثم قال في سرعة:

- هل في مخرج تاني للعمارة غير الباب الرئيسي؟

أجابت كأنما تحاول أن تتذكر شيئًا:

- أيوة، في باب الخدامين، دي عمارة قديمة وانت عارف العمارات القديمة هنا كانوا دايمًا بيعملوا فيها سلم للخدامين.. وهنا بادرها عمر قائلًا:

- يبقى يلا نمشي فورًا وهاتي الورق اللي اشتغلنا عليه كله معانا متسبيش أي حاجة عشان لو اقتحموا الشقة ميعرفوش احنا فين لأن هي بالظبط مسألة وقت وهتلاقي البوليس هنا فورًا.

بالفعل كانت قد تحركت قوة من المديرية على رأسها المقدِّم أيمن متوجهة إلى بيت الدكتورة فريدة لتفتيشه بعد أن بات شِبه متأكد أن عمر في بيتها الآن بعد أن أخبره المخبر المنوط بمراقبتها أن حارس العمارة قد لمح رجلًا قد أتى إلى العمارة أمس بدت مواصفاته تطابق بشكل شبه كامل لمواصفات الدكتور عمر، وأنه كان مسرعا ومرتبكا ولم يخرج من العمارة إلى الآن حسبما يظن الحارس.

بدأ عمر وفريدة في النزول على سلم العمارة الخلفي مسرعين ومتوجهين إلى الأدوار السفلية حتى استطاعا أن يصلا إلى الشارع من الجهة الأخرى من العمارة، وعندها فوجئا بثلاثة رجال مقبلين من أماكن متفرقة نحوهما بسرعة شديدة للإمساك بهما، يبدو أن الشرطة كانت تعلم أن العمارة لها سلم خلفي وقد تجهزت عنده لتراقب ما سيحدث. أخذ عمر يد فريدة وأسرعا بالجري بسرعة كبيرة حتى اقتربت من سيارتها التي اضطرت في هذا اليوم بالصدفة البحتة أن تصفها بعيدًا قليلًا عن العمارة فلم تجد مكانًا لسيارتها تحت العمارة مباشرة.

فتحت السيارة وقفزت فيها هي والدكتور عمر ثم تحركت بسرعة كبيرة بعد أن كاد رجال الشرطة أن يلحقوا بهما. انطلقت بسرعة فائقة مبتعدة عن الرجال الثلاثة، لكن أحدهم تكلم في الجهاز الخاص به ليعلم المقدم أيمن أن السيارة هربت وفيها المتهمان وأعطاه مواصفات السيارة وأرقامها وحينها قام أيمن بتبليغ كل الوحدات والأكمنة لإيقاف هذه السيارة متى رآوها.

كان عمر على علم كامل أنهما لا يمكنهما أن يظلا في السيارة لوقتٍ طويل لأن الشرطة حتمًا ستتابع السيارة بمواصفاتها؛ فعلى بعد دقائق من بيت فريدة نزلا كلاهما واستوقفا تاكسي وأخبراه عن المنطقة التي يقع فيها القصر الذي يعيش فيه عمر قصر جده الدكتور كامل الأسيوطي.

تحرك التاكسي وهو يشق الطرقات مسرعًا حيث أخبراه أنهما على عجلة من أمرهما وسيعطياه كل ما يريد لو أوصلهما في أقصر وقت ومن أقصر طريق. وعلى مقربة 200 متر من القصر طلب عمر من سائق التاكسي أن يقف قائلًا "متشكرين يا اسطى هننزل هنا" نظرت إليه فريدة في تعجب

وقالت "البيت لسه فاضل عليه" قال لها مقاطعًا" أنا اعرف طريق يدخلنى البيت من غير ما حد من القوة اللي بتراقب البيت يشوفنا ".

كانت أرض القصر وأسواره مربعة الشكل؛ فمساحتة 100 متر طول في 100 متر عرض بينما كانت أبنية القصر دائرية بنيت على طراز فرنسي كان قد أغرم به الدكتور كامل حين كان يدرس في فرنسا في أواسط القرن التاسع عشر؛ فالقصر شاهق الأسوار حتى إنه بات يشبه القلاع القديمة، ولكن في آخر أطراف السور كان يوجد باب من الحديد الصدئ، عليه قفل كبير باب صغير يبلغ ارتفاعه متر ونصف المتر وعرضه 80 سنتيمتر، كان الدكتور كامل قد أعد هذا الباب لسبب لم يكن يعلمه عمر، ولكن الباب كان قد غطي بالأشجار القديمة ولا يكاد يظهر لأحد إلا من كانت له دراية وصِلة بالقصر وإلا فمهما بحث عنه من لا خبرة له بالقصر فلن يعثر عليه.

وصل عنده الدكتور عمر ومعه فريدة وبدأ في تحريك القفل، فلم يكن من السهل أبدًا فتحه، كما أن عمر كان يعرف هذا الباب عندما كان يلعب وهو صغير في حديقة القصر، لكن لم يحاول قَط أن يخرج أو يدخل منه؛ لذلك بقى الباب مغلقًا منذ زمن بعيد فلم يجد عمر أمامه سوى استخدام حديدة كانت ملقاة في الشارع لكسر هذا القفل القديم.

وبالفعل فتح عمر الباب ودخل هو والدكتورة فريدة وأغلقا خلفهما الباب وتوجها في حركة خفيفة متخفيين بين الأشجار متوجهين صوب القصر الذي كان على شكل عجيب جدًّا من العمارة والبناء فقد كان قصرًا كأنما بناه أصحابه كقلاع القرون الوسطى.

* * *

- 10 -

كان قصر الدكتور كامل عبارة عن قصر دائري يشبه إلى حدٍّ كبير القلاع التي بنيت في العصور الوسطى في أوروبا؛ فقد كانت الحديقة دائرية الشكل تحيط بالقصر من كل جانب وقد زرعت بأشجار لها عمر طويل وتاريخ سحيق، وفي وسط هذه الغابة من الأشجار يقبع حمام سباحة يبدو أنه قد حُفِر حديثًا ليس من قِدَم القصر كان قد حفره والد الدكتور عمر الدكتور سمير وقد جعله على طراز إنجليزي راقٍ بحيث كان إضافة جميلة للقصر أشبه ما يكون ببركة جميلة زيّنت تلك الغابة الموحشة، وهناك في الوسط تمامًا يقف القصر شامخًا بشكله الدائري وبنائه الأثري العجيب؛ فباب القصر من الحديد والزجاج المزخرف وله مصراعان، يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار بينما العرض متران ونصف، وبالداخل بهو كبير به ثماني أعمدة من الرخام المكسيكي، يبلغ طول العمود ستة أمتار في شكل دائري تحوى في وسطها ردهة كبيرة دائرية الشكل بها باب لغرفة كبيرة كانت مكتبًا ومكتبة للدكتور كامل وكانت هي أيضًا كذلك للدكتور عمر ثم غرفة كبيرة خصصها الدكتور عمر لأبحاثه في مجال التحنيط، وغرفتين أخريين كانتا تحويان أثاثا من عصر محمد على باشا، وطنافس نفيسة مزركشة كان الخديوى إسماعيل قد أهداها إلى الدكتور كامل الذي كان يُعَد من نجوم العلماء في ذلك الوقت وقت تخرَّج في السوربون ثم حضر الماجستير في المصريات ثم رسالة الدكتوراه وعمل مدرسًا في جامعة السوربون فقضى في فرنسا زمنًا طويلًا، وقد كان الدكتور كامل أحد أبناء البعثات التي أرسلها محمد على باشا

في أواخر زمانه إلى فرنسا لتعلم لغة المصريين القدماء. أما عن البهو، فقد كان يزهو بمجموعة من اللوحات النفيسة التي رسمها رسامو أوروبا في أواسط القرن التاسع عشر والتي كانت على قدرٍ عالٍ جدًّا من الذوق الرفيع والحرفية المتناهية، وفي سط كل هذا يقبع سُلّم دائري يوصل إلى الأدوار العليا التي كانت ثلاثة طوابق فوق الطابق الأرضى وتحتهم الطابق السفلي الذي كان يحوي في القديم مساكن الخدم والمطبخ الكبير الذي لم يعد يدخله الآن الدكتور عمر مطلقًا، بل بات يعتمد على الوجبات السريعة في أغلب طعامه؛ فهو يعيش وحده في هذا القصر العملاق. أما عن الطوابق العليا فهي ثلاثة طوابق في كل طابق منها خمسة غرف في شكل دائري، والغرف في داخلها مستطيلة الشكل أبوابها عالية ترجع إلى طررز معماري نادر وشكل فني فريد بيد أن الدكتور كامل كان قد استعان بمهندس فرنسي ليصمم البيت وينفذه على طراز العمارة في باريس؛ فقد كان الدكتور كامل مولعًا بالحضارة الفرنسية التي تعلَّم فيها وفى أكنافها؛ حيث أروقة السوربون وكيف أنه من أنجب تلامذة تلك الجامعة العريقة. كان الدكتور كامل قد زيَّن حوائط بهو القصر بلوحات لرسامين عظام عاشوا في القرن التاسع عشر، ولكن من أجمل ما كان يقتنى كانت لوحة للفنان الهولندي "فنسنت فان كوخ" والتي كان حصل على نسخة أصلية من فان كوخ نفسه وهي لوحة" ليلة مرصّعة بالنجوم "التي رسمها في عام 1889 م والتي تعد أحد أهم إنجازات الفن المعاصر في القرن التاسع عشر والتي كان قد وضعها في بهو القصر العملاق فضلًا عن لوحة كبيرة للمبدع الرائع بير أوغست كوت ذلك الفرنسي المعجزة الذي رسم لوحة الربيع في عام 1873 م وغيرها من لوحات لمبدعي القرن التاسع عشر أمثال الإنجليزي فريدريك لورد ليتون ورائعته الخالدة "يونيو الملتهب" وغيرهم؛ حيث جعل بيته تحفة

فنية نادرة الوجود ليس في مصر فقط بل في العالم أجمع، ولكن من أعظم ما كان في بيت الدكتور كامل الأسيوطي هي لوحة رسمت له هو شخصيًّا رسمها له المبدع الألماني "ماسبار ديفيد فريدريش" صاحب اللوحة الخالدة "مسافر فوق بحر من الضباب" كان قد التقاه الدكتور كامل في باريس في زيارة له، ونشأت بينهما صداقة طلب الدكتور كامل على إثرها من ديفيد أن يرسم له لوحه وأن ينقش في أسفل الجانب الأيسر من اللوحة تاريخ ميلاد الدكتور كامل 1820-10-12 ووضع الدكتور كامل هذه الصورة الخالدة في مكتبه فوق كرسيه مباشرة، وكان هذا الكرسى الأثرى هو نفس الكرسى الذي كان يجلس عليه حفيده الدكتور عمر ليقرأ في مكتبة جده التي أضاف هو نفسه لها الكثير والكثير، ولعلَّ هذا الجو التاريخى المفعم بعبق الحضارة والفن كان سببًا مباشرًا لعِشق الدكتور عمر للتاريخ وولعه به بل وتفرده عن أقرانه في كثير من الأبحاث؛ حيث كان يجد من المخطوطات التي خطها الدكتور كامل ولم تطبع بعد حلولا لأحاجي وألغاز غمرت التاريخ، وقد كان ينتظر أن يأتي الوقت حتى يستطيع أن يقدم جده الدكتور كامل إلى الأجيال القادمة بالطريقة اللائقة وعلى ذِكر مكتب الدكتور كامل؛ فقد كان أهم غرف الطابق الأرضي وأكبرها وأوسعها، يحوي مكتبة ضخمة في علوم شتى قسّمت بحسب الموضوع، لكن أكبر قِسم فيها كان للتاريخ الفرعوني والذي كان يعشقه ويتفرد فيه الدكتور كامل الجد الأكبر للدكتور عمر، وكان هناك مكتب من خشب الأرز اللبنان قد نُحِتَ على طراز فرنسي جميل وراقٍ لم يؤثر فيه الزمن ولم يعبث به التاريخ فعمره في هذه اللحظة التي نتكلم فيها يزيد عن المائة وخمسين عامًا، كانت حجرة المكتب بها شرفة كبيرة تطل على حديقة واسعة كانت تزرع بأفضل وأندر الورود التي كان يجلبها الدكتور كامل من أوروبا في القديم، أما الآن فلا تعدو أن تطل على حشائش

وبعض الورود وزهور الفل فلم يكن للدكتور عمر ما للجد الأكبر الدكتور كامل من حُبٍّ الزهور والولع بها والتفنن في اقتنائها.

كانت علامات الانبهار والدهشة تكسو وجه فريدة فبادرت عمر بسؤال:

- إنت ازاي بتقول إن الدكتور كامل جدك وهو مولود في أوائل القرن التاسع عشر. رد عمر في ابتسامة خفية كأنما توقع السؤال:

- أيوة فعلًا دا صحيح، بس الدكتور كامل مش جدي المباشر هو جدي الأكبر يعني جد جدي، أنا اسمي عمر محمد سمير أحمد كامل الأسيوطي، وانا اخترت إن الناس تعرفني عمر سمير عشان محدش يعاملني بطريقة مختلفة بس عشان خاطر جدي إنما يعاملونني بالطريقة اللي انا استحقها.

أخفت فريدة نظرة الإعجاب التي بات من العسير عليها إخفاؤها وهي تقف الآن في متحف للفنون لم يسبق أن طالعت مثله إلا في إيطاليا في فلورنسا أو في قصر الإليزيه في باريس ونظر كلاهما إلى باب المكتب وقد دخلاه بسرعة وخفة كبيرة، وأوقد عمر المصباح فلم يكن يخشى أن يراه أحد من خارج القصر لأن القصر كان في وسط الحديقة وحوله أشجار عالية. وهنا جلس عمر على كرسي جده الدكتور كامل ووضع أمامه المصفوفة الرقمية التي كان قد عثر عليها حين حول الطلسم الموجود على ظهر القتيلة إلى أرقام.

وضع المصفوفة الرقمية أمامه ووضع الصورة التي التقطتها الدكتورة فريدة من المشرحة لظهر جثة الرجل المقتول وبدأ في قراءة النَّص المكتوب على ظهر القتيل والذي كان قد كتب باللغة الهيراطيقية والتي كان يستخدمها الكهنة في المعابد وبدت أمامه مادة صمغ الراتنج التي كتب بها هذا النص على ظهر القتيل ولما بدأ في قراءة النص والذي كانت ترجمته تحوي العبارات الآتية:

" أنا الرب العلي

ستلاحقكم اللعنات

تذكروا دومًا أنني الرب الأبدي

وأن لعنتي ستلاحقكم ولو بعد ألف عام

أنا الفرعون أنا الإله، أنا ملك مصر وهذا الجحيم الذي أراه سيكون قطرة في بحر هول ما ستلاقون... "

إلى هنا توقف عمر عن ترجمة النص، بينما فغرت فريده فاها حينما قالت:
- النص ده أنا عارفاه كويس بس انت لسه مخلصتش الترجمة.

أكمل الدكتور عمر ترجمة النص على ظهر القتيل حيث بدت فيه جملة واحدة تزيد عن النص الأسبق وهي:

" وها أنا أعود إليكم الآن.. فالجحيم قادم.

قال عمر:

- النص اللي فوق ده هو نص الكلام اللي قاله الفرعون "نيتاؤور ابن رمسيس الثالث" لحظة وفاته وتآمره على أبيه وبردية "تيد " اللي اكتشفها جدي كان فيها النص ده وهو وضعها في كتاب من كتبه اللي اتكلم فيها عن رمسيس الثالث" وأردف قائلًا : أنا عارف الكتاب ده فين بالظبط وللأسف أنا مقدرتش اطبع الكتاب ده لغاية دلوقتي لكن قريب جدًّا هيخرج للنور.

قام عمر مسرعًا إلى مكتبة جده الضخمة الهائلة ليغوص بين الكتب فيها حتى عثر على المخطوطة الذي كان قد صاغه الدكتور كامل بنفسه وبدأ يبحث بداخلها حتى وجد نص البردية التي حوت هذا الكلام ومن حُسن حظ

الدكتور كامل أنه كان من أعضاء البعثة التي استطاعت العثور على هذه البردية واستطاع أن يفك طلاسم ترجمتها من اللغة الهيراطيقية والتي كان لا يجيدونها في زمنه سوى أشخاص لا يتخطى عددهم أصابع اليد الواحدة.

أتى عمر بالنص وترجمته التي بدت مطابقة تمامًا للرسم الذي وجدوه على ظهر القتيل، ولكن وجدا هذه الزيادة الأخيرة التي بدت محيرة جدًّا لكليهما مع وجود هذه المصفوفة العجيبة التي لا يعرف إلى ما يمكن أن تقوده، ولكن من أعجب ما كان قد وضعه الدكتور كامل في مكتبه صورة لفنان إسباني شاب ظهر في آخر حياة الدكتور كامل ألا وهو الرائع خالد الذِّكر "بابلو بيكاسو" (1881-1973) كان الدكتور كامل قد اختار من بين لوحاته لوحة كان قد أطلق عليها بيكاسو اسم" إفطار الرجل الأعمى" كان قد وضعها على الحائط المقابل أمامه مباشرة، وكان لا يفهم عمر ما سر وجود هذه اللوحة هنا بالذات ولماذا لم يختر جده لوحة مبهجة مثلًا أو شيئًا من هذا القبيل، وبدأ عمر وفريدة يفكران في كل ما يعرفان من نصوص لعلّه يجد رابطًا بين المصفوفة الرقمية وبين نص بردية "تيد " مع هذه الزيادة التي باتت مرعبة فلا يعرفان من يواجهان حتى لمعت عين الدكتور عمر بفكرة طاش معها حلمه وقال أعتقد أنني قد بدأت أفهم قليلًا.



- 11 -

هناك في مديرية الأمن كان يجلس المقدم أيمن ومعه مساعده الرائد أمجد على طاولة الاجتماعات مع مدير الأمن وأعضاء من القيادات الكبرى في الداخلية، وكانت كلمات السيد مدير الأمن في غاية الحسم والحَزم مع أيمن ما بين تعنيف وتوبيخ، وما بين أوامر صريحة بسرعة القبض على الدكتور عمر والدكتورة فريدة؛ إذ بات جليًّا لهم الآن أنهما وراء كل ما يحدث وكان كلام السيد مدير الأمن واضحًا لأيمن "أرجو يا أيمن القضية دي متكونش سبب في إحالتك للاستيداع ".

كانت الكلمات تقع على الضابط الأيمن الذي بدا في موقف غريب لا يُحسَد عليه؛ فالقاتل لم يفعل جريمة قتل واحدة فحسب بل فعل جريمة أخرى واستهان بالمقدِّم أيمن لدرجة أنه دخل بيته ووضع الجثة في حديقته وكأنما يريد أن يقول لو أردت أن أقتلك أنت وكل من في البيت لفعلت فاستباحة بيت أيمن كان أمرًا تعلَّق بكرامته وسبة استوجبت الرد بحسم.

كان الشعور بالتحدي ممزوجًا بالشعور بالإهانة؛ فأيمن ضابط كفء حصل على ترقية استثنائية لقيامه بعمليات خطرة في مطاردة مجموعة من مهربي المخدرات في العام الماضي، وجعل له وسام الشرف من الدرجة الأولى فضلًا عن مهارته الفائقة في العمل الشرطي بين أقرانه الآن يضيع هذا كله سدى وتنتهي حياته وهو من كان يطمح يومًا أن يجلس على كرسي مدير الأمن بل وطمح فيما هو أكبر؛ أن يصبح يومًا وزيرا للداخلية.

خرج أيمن ومعه الرائد أمجد في حالة عصبية شديدة وشعور برغبة في الانتقام غير مسبوق، وفي أثناء توجهه إلى مكتبه ليتابع سير التحريات صدح هاتفه برنة من زوجته تطلب منه الحضور فورًا؛ لأن ولده أحمد أصيب بحالة من التشنج والانهيار العصبي الحاد من هول منظر الجثة التي رآها والتي كانت فاغرة فاها من الرعب الذي لاقته قبل موتها ووجهها المزال تمامًا بماء النار والرقبة المذبوحة، فلم تحتمل أعصاب الولد هذا الذي رآه، وكانت الأم تحاول طيلة الليلة السابقة أن تهدئ الولد وتسكنه، ولكنه لم يحتمل هذا الذي يحدث فقد بات يراه في منامه ولا يستطيع أن يخرج إلى الحديقة، بات في فزع شديد حتى وجدته يصرخ وسقط في حالة من الانهيار العصبي.

أسرع أيمن إلى بيته يشق الطريق شقًا، وكان قد اتصل بصديقه الدكتور طارق الذي قد حصل على دكتوراه في الطب النفسي من الأكاديمية الملكية في لندن.

اتصل أيمن بالدكتور طارق "إلحقنى يا طارق أحمد ابني جاله انهيار عصبي من فضلك تعالالي على الفيلا فورًا" ردَّ طارق بلهفة "خير متخافش أنا جاي فورًا ".

وصل أيمن إلى البيت ليجد ولده في حالة من الإغماء لا يتحرك، أخذه بين ذراعيه وهو يكتم دمعات كادت تخرج من عينه منفجرة وهو يقول "أحمد، أحمد فوق يا حبيبي فوق" لكن الولد كان في غيبوبة تامة وأمامه زوجته نهى في حالة من الفزع والهلع كبيرين تبكي ولا تعرف ما تقول.

وصل الدكتور طارق وصعد إلى غرفة نوم أحمد فدخل متلهفًا:

- خير يا جماعة إيه اللي حصل؟

ردت الأم بحنوٍّ بالغ ولهفة ممزوجة بالخوف والفزع على ولدها:

أبدًا يا دكتور، هو كان امبارح اكتشف وجود قتيل في الجنينة وصرخ بأعلى صوته وانا نزلت وكلمت أيمن وجت الشرطة وأخدت القتيل وانا كنت طلبت من أيمن إنه ينقلنا من الفيلا دي لكنه قال لي أنا مشغول جدًّا دلوقتي ومش هقدر اني ادوّر على مكان اوديكوا فيه... قاطعها أيمن قائلًا:

- أنا اللي ماسك القضية دي يا طارق والقضية دي بتهدد مستقبلي كله في الداخلية لازم الاقي القاتل ومعنديش وقت ادوّر على مكان تاني نعيش فيه دلوقتي وانت عارف النقل في منتهى الصعوبة وعايز ترتيبات وانا محتاج كل ثانية من وقتي للقضية.. ثم أردف صارخًا: أنا مستقبلي بيضيع يا جماعة اقفوا جنبي" ردت نهى بحدة بالغة:

- وانا ابني بيضيع وحياتي بتدمّر والبيت كله بينهار وأهو أول القصيدة الولد مبينطقش " استغرق هذا الحوار لحظات حتى جلس الدكتور طارق بجوار أحمد وأمسك بيده يقيس النبض فوجد نبض القلب منتظمًا، ولكن الولد في حالة من الصدمة العصبية التي أفقدته الوعي ويجب أن يُنقَل إلى المستشفى الآن ليوضع تحت الرعاية المركزة فترة 48 ساعة مقبلة حيث سيعلق له مجموعة من المهدئات حتى يفيق.

بالفعل اتصل الدكتور طارق بالإسعاف التي أرسلت سيارة من توها لتقل الدكتور طارق والطفل أحمد وأمه بينما ذهب أيمن مصطحبًا ابنته ندا إلى جدتها ليبتعد بها قليلًا عن هذا الجو المختنق وسوف يلحقهم إلى المستشفى ليرى ماذا سيحدث لولده.

أوصل البنت إلى جدتها وتوجه راجعًا إلى المستشفى ليطمئن على ولده. وبينما هو في سيارته عائدًا إلى المستشفى شرد ذهنه فبدا كمن سقط بين

شقي رحى إما مطرقة عمله أو سندان فقد ولده وتدمير أسرته لذلك كان يشعر أنه يسير على صفيح ساخن؛ فقد بدا كأنما يدور في عقله حلبة من صراع الأفكار والتساؤلات لا يعرف ماذا يفعل ولا يدري إلى ما سيقوده كل هذا ثم هل فعلًا الدكتور عمر هو القاتل أم لا؟ ولو كان هو فماذا يريد بفعلته هذه؟ ثم ما معنى الطلاسم التي وجدها على ظهر البنت؟ ولماذا ماتت مفزوعة كأنما رأت الجحيم قبل موتها؟ وما قصة هذا الرجل المقتول والملقى في حديقة فيلته؟ وكيف دخل إلى هناك كل هذا يحتاج إلى إجابات، وكل هذه الأسئلة تكاد تعصف بعقله وتفتك بذهنه. وفي أثناء استغراقه في تفكيره يسمع جرس الهاتف فإذا هو الطبيب الشرعي الدكتور مدحت يطلب منه الحضور فورًا فقد ظهرت في الجثث التي يعمل عليها أسرارٌ جديدة لعلها تفيده في سير القضية.

هنا أغلق الهاتف وتوجه مغيرًا وجهته بعد أن أوصل ابنته إلى بيت جدتها لأمها لترعاها وبدلًا من الذهاب إلى المستشفى ليتابع حالة ابنه أحمد، توجه مسرعًا إلى الدكتور مدحت الطبيب الشرعي في المشرحة.

* * *

- 12 -

هناك في جوٍّ معبأ بالفورمالين الخانق الذي يستخدم في حفظ الجثث في المشرحة، يقف الدكتور مدحت بين جثتين هما الأغرب في حياته العلمية كاملة؛ فالظروف التي ماتت فيها الجثتين واحدة تقريبًا حتى أداة القطع في الرقبة بدت واحدة حتى تفاعل الجلد مع المادة المستخدمة في إذابة ملامح الوجه يكاد يكون واحدًا، والغريب أنَّ كلتا الجثتين رأت الجحيم قبل موتها فإن نظرة الفزع والرعب وفتحة الفم بطريقة بدت وكأنهم أبصروا ما لم يبصره أحد، لكن ثمة شعور غريب يدفع الدكتور مدحت في الاستمرار في فتح كل عضو في أجزاء هاتين الجثتين حتى كانت المفاجأة التي بسببها اتصل فورًا بالمقدم أيمن ليأتيه مسرعًا ليخبره بها.

وجد الدكتور مدحت فور فتح معدة القتيلة الأولى أن بها مادة غريبة ولم تتحلل ولم تهضم ولم يمتصها الجسم ولما أقبل ليفتح معدة القتيل التالي وجد نفس المادة وبنفس المقدار تقريبًا، وعندما أخذ هذه المادة وشرع في محاولة تحليلها بأجهزة التحليل الكمّية في المشرحة، كانت تُطفَأ الأجهزة ويبدأ نور الغرفة في التلاعب بينما يسمع في كل مرة هامس يأتيه من يساره بجملة محددة " الجحيم هو الموت الأسود ".

كان لا يعرف مصدر هذا الهامس أو الهاتف، ولكنه وهو الذي اعتاد على التعامل مع الجثث بدأ الخوف يدب في أوصاله وعلم أنه أمام أمرٍ غريبٍ لم يسبق أن تعامل معه من قبل، لكنه أكمل عمله في الجثة ليكتشف من

معاينة الرقبة ومكان القطع أن السكين قد قطع الرقبة بعد أن فارقتها الحياة وليس قبل ذلك، وجد أن الذبح لم يكن هو سبب الوفاة إنما رجّح أن تكون تلك المادة هي سبب الوفاة، ولكن ما هذه المادة ومن أين أتت ومما تتركب.

وصل المقدم أيمن وفور أن قص عليه الدكتور مدحت ما رأى أظلمت الدنيا في عينيه وكأنما خرّ من السماء فتلقفه الطير أو هوت به الريح من مكان سحيق.. كأنما يريد أن يقول أي قضية هذه ما هذا الذي يحدث من وراء كل هذا.. بدا الدكتور مدحت مشفقًا على صديقه الذي بدا على كتفيه أحمال تنوء بها الجبال، فالقضية تزداد تعقيدًا وهو إلى الآن لم يعثر على الدكتور عمر ولا الدكتورة فريدة ثم توجه أيمن إلى الدكتور مدحت قائلًا:

- يعني المادة دي ملهاش حل مفيش طريقة نقدر نعرف مكوناتها؟

ردَّ عليه مدحت وعلامات الاستغراب تملأ وجهه:

- والله يا أيمن أنا فعلًا مش عارف إيه المادة دي، هي تشبه المواد اللي كانوا بيلاقوها في المقابر الفرعونية، أنا كنت شفت زيها مرة في برنامج وثائقي على "ناشيونال جيوجرافي" بس انا فعلًا مش عارف إيه المادة دي إلا إذا...

وسكت الدكتور مدحت كأنما أراد أن يتدارك كلامه، بينما قفز أيمن بكلمات حادة:

- إلا إذا إيه يا مدحت؟ قال مدحت في نبرة المتردد:

- لا أرى أمامي سوى استخدام الطرق البدائية القديمة في تحليل المواد الكيميائية والتي لا تعتمد على الأجهزة الحديثة مطلقًا وأعمل على تحليلها كيميائيًّا كأنما عدنا إلى أيام الكيميائين الأوائل في معابد التحنيط.

عاجله أيمن:

- إنت ليه بتكلمني بالنحوي؟!

- والله يا صديقي حاسس إني هحتاج ابص على مراجع العرب الأقدمين في النوع ده من التحليل، سيبلى شوية وقت وهتصل بيك لو ظهرت حاجة جديدة.

هنا انصرف مدحت متوجهًا إلى المستشفى ليعرف ما الذي جرى لولده الذي كان بين الحياة والموت مفزوعًا لا يعلم ما الذي قد يحدث لهذا الطفل المسكين وكأنما لسان حاله يؤنب نفسه.. هل بالفعل عملي كضابط شرطة هو السبب في فقدان ولدي؟ كان يقود السيارة في سرعة جنونية يحاول أن يصل إلى المستشفى في أسرع وقت ليطمئن على ولده وينصرف إلى المديرية ليتابع سير التحقيقات والتحريات هناك

وهو يستعرض شريط ما مرَّ في هذين اليومين العصيبين.

ترى هل لهذه الطامة من فواق؟

* * *

-13-

كان الدكتور عمر يجلس وقد وضع أمامه المصفوفة الرقمية التي بدت هكذا

2	1	6	1	2
1	3	3	2	1
2	2	9	4	1
3	1	11	3	2

وأمامه أيضًا النص الذي عثر عليه على ظهر القتيل والذي يقول "

أنا الرب العلي

ستلاحقكم اللعنات

تذكروا دومًا أنني الرب الأبدي

وأن لعنتي ستلاحقكم ولو بعد ألف عام

أنا الفرعون، أنا الإله، أنا ملك مصر، وهذا الجحيم الذي أراه سيكون قطرة في بحر هول ما ستلاقون.

وها أنا أعود إليكم الآن.. الجحيم قادم "

وفي لحظة خاطفة كأنما ألقي إليه شهاب قبس من النور الإلهي قال صارخًا:

- بصي يا دكتورة، إحنا لو جمعنا الأرقام الموجودة في كل صف هتطلع 20 18 10 12،تفتكرى الرقم ده ممكن يعبّر عن إيه، أكيد ليه معنى، دا زي ما يكون علامة لمكان محدد أو إحداثيات أو ربما ... وقام يفكر بعمق فما كاد يتم دورة حول نفسه حتى وقعت عينه على اللوحة التي رُسِمَت لجده لوحة المبدع الألماني ماسبار ديفيد فريدريش التي رسمها للدكتور كامل في أواخر القرن التاسع عشر ونظر إليها فوجد تاريخ الميلاد قد حفر على اللوحة في أقصى أسفل الناحية اليسرى فيها اسم الدكتور كامل ووجد أيضًا تاريخ الميلاد التالى 1820-10-12

أكمل قائلًا: أو ربما تاريخ ميلاد جدي نفسه، بصي معايا كده يا فريدة تاريخ الميلاد اللي على اللوحة هو نفسه مجموع أرقام كل صف في المصفوفة: " قالها وقد لمعت عينه وتهللت أساريره "المصفوفة دي لها علاقة بجدي، أنا فاكر كويس إني قريت له مرة كتاب عن تاريخ الأرقام ودلالاتها وتطور الترقيم في الشرق الأدنى".

نظرت إليه فريدة وقد بدت عليها علامات الذهول مما ترى وتسمع ثم عقبت قائلة:

- أعتقد إن المصفوفة دي ليها علاقة بجدك وغالبًا إحنا هنلاقي في المكتبة دي إجابات كتيرة جدًّا عن كل اللي احنا فيه .

رد عمر بحماس شديد:

- طيب وإيه علاقة جدي باللي بيحصل دا كله، ومين اللي عمل المصفوفة دي، وليه عملها تشاور على تاريخ ميلاد جدي؟

ردت فريدة في ذكاء بدا يلمع من عينها:

- لما نربط كل الخيوط ببعضها هتكتشف أن الموضوع ليه علاقة بجدك بس يمكن احنا أمام لغز بنجمع ملامحه وتفاصيله حتة حتة.

ثم أردفت قائلة: أولًا الطلسم الموجود على ضهر البنت المدبوحة مكتوب بصمغ الراتنج وانت عارف إن ده نوع الصمغ المستخدم في تحنيط الفراعنة في أيام رمسيس الثالث " فرد عمر وهو يهز رأسه موافقًا:"أيوة صح" قالت متابعة حديثها:" ثانيًا إنت عارف إن أول من وضع قواعد للترقيم في البرديات الدينية والكهنوتية كانت في زمن رمسيس الثالث، ولذلك حط كل تفاصيل ممتلكاته ومساحات المعابد والأفدنة بالأرقام في بردية *هاريس قاطعها عمر قائلًا:

- أضيفي لمعلوماتك إن جدي كان شاب في الوقت ده، وكان من ضمن البعثة اللي اكتشفت هذه البردية ومن أول من فك رموز كتير من تفاصيلها." قالت له:

- أيوة، إنت بدأت تفكر معايا بنفس الطريقة، ثم أردفت قائلة: ولما نحط جنبها النص اللي لقيناه على ظهر القتيل واللي هو بردو لبردية جدك اشترك في اكتشافها وهي بردية "تيد" واللي بتتكلم عن محاكمة الفرعون نيتاؤر وآخر كلماته قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه يبقى احنا قدام قضية بيلعب فيها جدك دور مهم جدًا حتى بعد موته بأكتر من 100 سنة .

نظر إليها عمر وقد بدا عليه علامات التعجب قائلًا:

(أطول بردية في التاريخ ترجع إلى حُكم رمسيس الثالث حيث بلغ طولها 42 متر وقد عثروا عليها عام 1855 واشتراها انطوني هاريس ولذلك سميت باسمه) "

- طيب مين اللي بيعمل كده ومصلحته إيه وجاب المعلومات دي منين لدرجة إنه يعرف تفاصيل الرسمة اللي في أوضة مكتبي؟ أنا مخي هيتشل"

نظر إليها وكأنما جاءته فكرة أراد أن يطردها بفزعٍ بالغٍ:

- أنا خايف لحسن يكون كل ده ليه علاقة ب... وسكت كأنما أراد أن يطرد الشيطان الذي قذف في رأسه هذه الفكرة فبادرته قائلة:

- تقصد إيه؟ قال مترددًا:

- انتي عارفة بنتاؤر اسمه إيه في التاريخ؟

ردت وقد وضعت يدها على فمها فزعًا:

- إنت تقصد المؤمياء الصارخة؟!

* * *

- 14 -

مكث الدكتور مدحت في معمله يحاول أن يحلل هذه المادة بكل الطرق الممكنة مما جعله على يقين أن هذه المادة تحتاج في تحليلها إلى كيمياء كتلك التي استخدمها علماء المسلمين في مكتبة بغداد في عهد الخليفة المأمون حين أمر بتشكيل بعثة أثرية تخرج إلى بَر مصر لاكتشاف الهرم الأكبر وفك طلاسم الكتابة حوله، وكما هو معلوم فإن المأمون كان من أشد المولعين بالعِلم والعلماء حتى ألَّف بنفسه هو كتابًا في الكيمياء، وكان عصره في بغداد هو عصر العِلم، وكان مما أمر به البحث في حقيقة أيام الفراعنة وفك طلاسم لغتهم ومعانيها وللعرب المسلمين في هذا الباب باع كبير في فك رموز المصرية القديمة وليس الأمر كما روَّج له أن شامبليون هو أول من فك رموز المصرية القديمة بل المتحف البريطاني يزخر بمخطوطات من عصر الخليفة المأمون بها شروح لطلاسم الفراعنة كما كانوا يطلقون عليهم في عهد المأمون.

أما البعثة التي وصلت إلى الأهرامات وتوجهت إليه واستطاعت أن تكسر الباب وتعبد الطريق داخل الأهرامات كانت قد وجدت داخل الأهرامات في حجرات الدفن أشياءً كثيرة من مقتنيات الفرعون لكنها ما وجدت أيضًا مواد كيميائية لم يستطعوا وقتها العثور على تفاصيل هذه المواد أو فهم حقيقتها فرجعوا بها إلى الخليفة المأمون الذي شكَّل بدوره مجموعة من الكيميائين القدامى الذين قد عملوا على تحليل هذه المواد إلى جزئياتها

الأساسية ولكن بطرق كانت في غاية التعقيد، وكان على رأس هذه المجموعة هو شيخ الكيميائين جابر بن حيان الذي لم يمهله القدر أن يتم عمله على هذا البحث الضخم فعهد به إلى تلاميذه الذين ألّفوا فيه مجلدات ضاع منها الكثير وقت اقتحام بغداد على أيدي المغول وبقى منها القليل مما يشرح أسرار هذه المواد وكيف برع الفراعنة الكبار الأوائل في علوم الكيمياء والتحنيط.

كل هذه المعلومات كانت تدور بخُلد الدكتور مدحت وهو يتخيل أن هذه المادة تشبه كثيرًا ما قرأ عنه أو ما رآه في "ناشيونال جيوجرافي" لذلك قرر فورًا النزول إلى دار الكتب للعصور على صور من مخطوطات كيميائية قديمة ترجع إلى عصر المأمون، وأول ما بحث عنه هو مخطوطة لكتاب "السر السار" لجابر بن حيان(والذي لايزال لم يطبع إلى الآن) والذي حوى من علوم الكيمياء القديمة ما لم يحوِه غيره وبقى مرجعًا ألف سنة لكل جامعات أوروبا، وكان الدكتور مدحت يحاول أن يجمع شتات عقله ليصل إلى مراجع عربية قديمة تعينه على فك طلاسم هذه المادة المعجزة، ففكر في كتاب آخر للرازي المتوفي 311هـ والذى أسماه "سر الأسرار " ويحتوي على زيادات لما جاء به بن حيان وتعقب عليه في كثير من المواد توجه مسرعًا إلى دار الكتب والمخطوطات المصرية فصعد السلم في خفة شديدة ليصل إلى الطابق الأول فوجد امرأة سمينة تجلس على مكتب قد امتدت بطنها أمامها فقد كانت في شهرها الأخير قبل الوضع، سألها عن مخطوطة "السر السار " لجابر بن حيان و"سر الأسرار" للرازي أجابته ببطء كاد يقتله فالوقت يمر وكل لحظة تجري تزيد الأمر تعقيدًا فقالت بصوت متهدج "في الدور اللي فوق عند الأستاذ مسعد" صعد مدحت بسرعة كبيرة وسأل عامل البوفية عن مكتب الأستاذ مسعد الذي أشار إليه فذهب إليه مسرعًا ليجد رجلًا

حسر الشعر عن مقدمة رأسه، يجلس أمامه ساندوتشات فول وطعمية، سأله مدحت عما سأل عنه الموظفة السابقة فأجاب أنه يجب أن يدفع الرسوم في الخزينة حتى يتمكن هو من تصوير صورة له من المخطوطات. قضى مدحت في ذلك وقتًا مر عليه كالجبال، ولكنه في نهاية المطاف أخذ المخطوتين ونزل مسرعًا إلى بيته وكان قد وضع المادة معه في أنبوب محكم وضعها في سيارته وانطلق إلى بيته حيث معمله الخاص الذي من الممكن أن يجرى فيه هذه التجارب على تلك المادة ليفهم ماهية هذه المادة وكيف يمكن لأحد في زماننا هذا أن يصنع مادة بهذا التعقيد. وفي أثناء سيره كان الهاجس يأتي إليه من حينٍ لآخر من أذنه اليسرى ويكرر عليه " الجحيم هو الموت الأسود"

وصل مدحت إلى بيته وفتح الباب وكان الدكتور مدحت يعيش وحيدًا في شقته في المهندسين، وقد خصص منها غرفة واسعة لأبحاثه الكيميائية ودراساته الخاصة في علم التشريح، ولكنه كان يشعر أنه لا يستطيع أن ينتظر حتى يخلع ملابسه. دخل مسرعًا إلى معمله وارتدى قفازه المعملي وأخذ المادة من الأنبوب وبدأ في أخذ عينات منها يضعها في أنابيب الاختبار الخاصة به حتى يتمكن من بدء الأبحاث والتجارب وبدأ يفتح المخطوطات التي حصل عليها من دار الكتب، وبينما هو يبحث في الكتاب ويقلب صفحاته واحدة تلو الأخرى عن مادة تشبه لهذه التي وجدها في أمعاء الجثتين إذ هاله ما رأى حتى كادت أن تسقط منه الأنبوب وارتجف وبدأ العرق يتصبب من جبينه وهو يردد:"مستحيل مستحيل".

* * *

- 15 -

كان المقدم أيمن قد ذهب إلى المستشفى وهناك علم أن حالة ولده حرجة جدًّا ويحتاج إلى وقت في العناية والملاحظة حتى يفيق من الغيبوبة التي قد عصفت به. لم تكن زوجته على حال يسمح لها أن تربت على كتفه أو تواسيه بل كانت في داخلها ترى أنه يتحمل جزءًا كبيرًا من مسئولية ما حدث لولدها فلطالما طلبت إليه أن يترك عمله في الشرطة ويتفرغ لإدارة مشروع استثماري؛ فقد كانت تعلم أنه ميسور الحال ومن عائلة ثرية، وكان كثيرًا ما ينشب خلاف بينهما يصل إلى حد المشاحنة والخصام وهي تصر على طلبها أن يترك وظيفته ويتفرغ لها ولأولادها فهي تخشى عليه؛ ففى كل يوم وهو يخرج من البيت كانت تودعه وهي تعلم أنه قد يعود إليها محمولًا على خشبة الموت.

كانت تنظر إلى زوجها نظرة قد ملأها الأسى والحنق، وكان يقف الدكتور طارق الطبيب النفسي وهو يريد أن يلطف الجو بينهما فيقول:

- يا جماعة خير إن شاء الله متخافوش ربنا كبير.

فقال أيمن مقاطعًا إياه:

- أنا ممكن انقله أي مستشفى برة مصر بس يخف أنا معنديش غيره دا الولد الوحيد معنديش غير أخته ندى وانا عايش عشانهم هم بس...

قاطعه طارق قائلًا:

- لو الموضوع يستاهل كنت أنا بنفسي طلبت منك كده، الموضوع كله إن الولد محتاج هدوء وسكينة وكل حاجة هتمشي كويس إن شاء الله وأمه هتفضل هنا جنبه وانت هنا ملكش لزمة روح شوف شغلك.

نظرت نهى إلى أيمن وقالت:

- اتفضل يا حضرة الظابط، أنا مش محتاجة حاجة أنا هدعي ربنا بس انه ينجيلي إبني وانت روح حافظ على النجوم اللي على كتفك.

لم يعقب أيمن على كلام زوجته وإنما انصرف وقد انبجست من مقلتيه دموع حارة خرجت من القلب نزيفًا على ولده وألمًا لما ألمَّ به وكأن لسان حاله يقول هل بالفعل أنا السبب فيما ألمَّ بولدي؟

طلب أيمن قبل أن يخرج أن يلقى نظرة على الولد الذي كان طريح الفراش ورمقه من خارج الغرفة فقد كان هناك طاقة زجاجة تسمح له برؤية الولد حيث لا يسمح لأحد أن يمكث معه في الغرفة نزلت الدموع على وجهه وقد صرف عيناه عن ولده وهو يكتم آهات وزفرات داخل نفسه.

توجه أيمن خارجًا من المستشفى مقبلًا على سيارته الجيب وقد أقلها وانصرف متوجهًا إلى مديرية الأمن، وبينما هو في الطريق يفكر في ترتيب ما حدث ويحاول أن يجعل الأمور في نصابها صدعت رأسه فكرة وتساءل أين من الممكن أن يكون الدكتور عمر والدكتورة فريدة الآن؟ كل تقارير التحريات التي تأتيني تنفي وجودهما عند أيٍّ من الأقارب أو المعارف أو حتى الأصدقاء أليس من الممكن أن يكونا قد تسللا إلى بيته فهذا هو المكان الذي يمكنه فيه أن يختبئ ولا يشعر به أحد؛ فالبيت يشبه القلعة والمراقبة تقبع خارج البيت، أليس من الجائز أن يكون قد تسلل إلى داخله؟.. أخذ جهاز اللاسلكي وأمر القوات بالتوجه فورًا صوب بيت الدكتور عمر فهو في

الطريق إليهم الآن. بدأ أيمن يتجاوز السيارات في سرعة كبيرة جدًّا محاوِلًا تفاديها فقد بدا له أن تحليله منطقيًا وأن بيت الدكتور عمر مكان ملائم جدًّا للاختباء والاختفاء، وكان يطرد عن رأسه دائمًا منظر ابنه وهو طريح الفراش فاقد للوعي، كان يحاول أن يهرب من نظرات اللوم والاتهام التي كانت ترشقه بها زوجته من غير ما رحمة، كان يحاول أن يقول لنفسه اهدأ فكل هذا الذي يحدث إنما هو لهدف أكبر، أما عن زوجتي فستعلم يومًا لماذا فعلتُ كل هذا.



- 16 -

عصفت الأفكار بذهن الدكتور عمر وبدت على فريدة علامات الرعب والفزع التي أطلت عليهما لمجرد ذِكر اسم الفرعون "نيتاؤر" أو كما لُقِّب في التاريخ "بالمومياء الصارخة "

كانت ولا تزال المومياء الصارخة أحد الأسرار العجيبة التي خبأها التاريخ محتفظًا بها بين طيات أيامه وبراثن عقوده لم يكشف عنها إلا منذ عهد قريب جدًّا.

وقفت الدكتوره فريدة بحياز عمر وهي تقول: "إحنا لازم نعرف الأرقام دي عايزة تقول إيه مستحيل يكون معناها هو إنها تشاور على تاريخ ميلاد جدك، أكيد في حاجة غريبة إحنا لازم نحل شفرة الأرقام دي " وبينما هي تتكلم وتحاول أن تجد سبيلًا للخروج من هذه الأزمة نظر عمر إلى الأرقام التي لمعت أمام عينيه بفكرة جريئة، فقال مسرعًا:

- بصي معايا كده يا فريدة، إنتي شايفة الأرقام اللي في العمود الثالث؟

- أيوة شايفاها..

- دي كأنها بتشاور على الجهات الأربعة، لو استخدمنا الترقيم الموجود في الساعة هتلاحظي ان 6 بيشاور على الجنوب و3 بيشاور على الشرق و9 بيشاور على الغرب و11 بيشاور على الشمال بانحراف قليل صح؟ - صح، انت عبقري.

ردَّ عليها بعجالة:

- يبقى الأرقام دي ممكن تكون خريطة رقمية لمكان ما ولو الموضوع كله بيرجع لرمسيس الثالث فهو كان أول من استخدم هذا النوع من الخرائط ليحدد موقع المعبد الجنائزي اللي بناه لنفسه يبقى الأرقام دي بتعبر عن خريطة لمكان معين " ردت هنا فريدة بسرعة لافتة وقد نظرت في عينيه:

- وإذا كانت الأرقام بتشاور على صورة جدك تبقى الخريطة دي لمكان في البيت هنا.

بدا كلامها محتملًا، بينما الفكرة مجنونة لكنها قائمة فإذا ضاع اليقين صار كل احتمال إلى اليقين أقرب.

وهنا بدأ الدكتور عمر يحاول أن ينظر إلى هذه الخريطة على نحوٍ مختلف؛ هل هي تشير إلى مكان واحد أم أنها تشير إلى عدة أماكن مختلفة ثم ما معنى أعمدة الأرقام الأخرى، هل تشير لشيء هم بالتاكيد يشيرون لشيء ولكن ما هو؟ كيف لي أن أصل إلى المعنى الخفي وراء هذه الأرقام؟ وإذا كان الأمر هكذا يبقى السؤال المحيِّر من الذي كتب هذه الخريطة أو رسم هذه الطلاسم ؟؟

وبينما هما على ذلك ويكاد الفكر أن يعتصر رأسيهما سمعا صوتًا بالخارج كان حينها قد وصل المقدم أيمن ومعه القوات التي بدت متأهبة وتستعد لاقتحام البيت والبحث عن عمر وفريدة.

كانت القوات تسير في تشكيلاتها المعتادة في حالات مطاردة المجرمين واقتحام المنازل المريبة وكانت تسير في هدوء شديد، ولكن الدكتور عمر كان قد اعتاد أن يعيش في صمت هذا القصر الفسيح وكانت له حاسة سمع

حادة جدًّا مكنته من الشعور أن هناك حركة ما خارج القصر؛ لذلك توجه بسرعة وخوف إلى فريدة قائلًا " في حد برة يالا من هنا بسرعة " أخذ يدها وخرجا مسرعين وقد تناولا كل ما كان على المكتب من خريطة رقمية، وتناولت فريدة الورقة التي فيها فك الطلسم الذي كان مكتوبًا على ظهر الرجل المقتول وتوجها في سرعة خاطفة إلى السلم المؤدي إلى الدور السفلي تحت الأرض الذي فيه المطبخ ومساكن الخدم، كان المطبخ على طراز القصور القديمة، وكان من المفترض أن يكون فيه باب يؤدي إلى الحديقة وفي أثناء ذلك خرجا وقد تركا نور غرفة المكتب موقدًا كان حينها أيمن قد اقتحم الباب هو ورجاله وأمرهم بتقسيم أنفسهم وشكّلهم جماعات تتوجه كل جماعة منهم لناحية في القصر، ودخل أيمن بنفسه غرفة المكتب فوجد المصباح متقدًا فعلم أن ظنه قد صدق وأنهما كانا هنا، ولكن منذ وقت قليل تصور هذا من رائحة البيرفيوم المميزة الذي كانت تضعها الدكتورة فريدة ولفتت نظره لما كانت معه في المشرحة فرغم رائحة الفورمالين المنفّرة التي كانت في المشرحة طغت عليها رائحة العطر الفرنسي الذي كانت تضعه الدكتورة فريدة؛ فقد كانت قوية ونفاذة وتبقى في الثياب فترة طويلة.

ظل يبحث في المكتبة في كل مكان ثم خرج إلى الردهة ونزل الجنود من الأدوار العليا ولم يعثروا على شيء وبينما هم على ذلك لاحت منه التفاتة إلى السلم المؤدى إلى الطابق السفلي.

نزل مسرعًا ومتوجهًا إلى الطابق السفلي ومعه مساعده أمجد وقد أشهَر مسدسه واستعد لإطلاق النار متى استدعى الأمر ذلك.

كان عمر وفريدة يحاولان فتح الباب الذي لم يفتح منذ سنين أو قل عشرات السنين، فحاول عمر بكل ما أوتي من قوة وكان أيمن على بُعد خطوات قليلة

منهما لو دخل المطبخ سيبصرهما وقد تيقنا من ذلك فسمعا وقع أقدامه فبدا لزما أن يجدا مخرجًا مهما كلفهما الأمر.

وقبل أن يفتح أيمن باب المطبخ الذي كانا قد أوصداه خلفهما كان قد استطاع عمر أن يفتح الباب المؤدي إلى الحديقة فتحة تكاد تسمح لهما بالمرور وانطلقا إلى رحابة الحديقة التي تشبه الغابة.

استطاع أيمن كسر الباب ودخل في خفة وسرعة إلى المطبخ الذي بدا وكأنه فتح ومر منه أحد، فخرج منه ومعه مساعده.

كان عمر وفريدة يجريان في سرعة كبيرة وخفة بالغة فهما يعلمان المصير الذي ينتظرهما، ولكن بدا لهما أنهما يبتعدان عن أي فتحة تخرجهما من القصر فهما يتوجهان إلى آخر القصر حيث السور العملاق.

كان أيمن يتبعهما بسرعة كبيرة وهو يحاول أن يقتفي أثرهما بكل طريقة ممكنة، كان يجري بسرعة تصل إلى الجنون ولما وصل عمر وفريدة إلى الصور أيقنا أنهما على مقربة جدًّا من أن يوقع بهما، فبدا لهما أن يختفيا بين الأشجار فقد كان هناك تجمُّع شجري كثيف يحيط بحوض كان في القديم نافورة رائعة على الطراز الإيطالي، كانت عبارة عن حوض مستدير واسع قد حف بتسعة تماثيل جميلة لنساء عاريات يحملن على أكتافهمن جرارًا وقد بدت أجسادهن متمايلة كأنما يسكبن الماء من الجرار، كانت النافورة بديعة تشبه نافورة "تريفى" في روما حيث صيغت من قطعة من الرخام الإيطالي كما كانت نافورة تريفي تحمل في طياتها الأسطورة والجمال والسحر والروعة المستمدة من عصور روما والمجد السحيق، كانت النافورة في بيت الدكتور كامل على نفس النسق البديع من الذوق، فلم يكن الدكتور كامل باحثًا في التاريخ فقط أو عالم للأثريات بقدر ما كان يعيش

هذا التاريخ ويجسّده حوله في كل مكان ويضع كل لمسة حوله كأنما تنقله إلى عصر من العصور التي صنعت فيها هذه التحف الفنية.

كان من المفترض أن ينزل الماء من الجرار إلى الحوض فتملأه حال ما كانت تعمل النافورة، أما الآن فقد بقيت التماثيل تقف وقد أحاطت بها الأعشاب والشجيرات وامتدت لها يد العبث و الإهمال مع تطاول العقود، وهنا اختبأ عمر خلف تمثال وحوله شجيرات بينما اختفت فريدة خلف تمثال آخر.

أقبل المقدم أيمن شاهرًا مسدسه ممسكًا إياه بقبضتيه على أهبة الاستعداد للتعامل مع الهدف حال بدا له أو استعصى على الاستسلام، كان يقف على بُعدِ أقدامٍ قليلة جدًا من عمر وهو بالكاد يحبس أنفاسه خلف التمثال وبين الأشجار، وبينما هو على ذلك اقترب أكثر من التمثال الذي تقف خلفه فريدة، ولكن رائحة العطر في الجاكيت الذي ترتديه كانت قد داعبت أنف أيمن مما أكد له أنه يقف على مقربة جدًّا من هدفه، بدت عليه علامات الهدوء قليلًا لظنه أن هدفه قد قارب على الوقوع في شركه فنادى بصوت عالٍ" اخرجي يا دكتورة أنا عارف انك هنا ريحة البرفا الفرنساوي فضَّاحة يا دكتورة"

كان في هذه اللحظة قد بدا أيمن وحده من دون مساعده الذي اتخذ طريقًا آخر في رحب الحديقة الواسعة للبحث عنهما في اتجاه آخر.

وهنا تنبهت فريدة إلى أنها ترتدي الجاكيت المعبأ برائحة البيرفيوم الذي اعتادت أن تضعه وهي لم تكن قد أخذت في حسابها أنه قد يكون وسيلة لتعقبهما فقد كانت تعلم أن هذا البيرفيوم ذا رائحة جميلة نفاذة ويبقى كثيرًا على الثياب .

خرجت فريدة من خلف التمثال وقد بدا عليها الاستسلام رافعة يديها وبينما توجه هو ناحيتها لم يكن يدرك أن ظهره بات في قبالة عمر.

وجَّه أيمن كلامه لفريدة: "بتهربي ليه يا دكتورة ؟فين عمر؟ "وبينما كانت نبرته عالية حادة أردف كلامه قائلًا: "انزلي على ركبك " وقد أشاح نظرة متلفتًا في المكان وصاح بصوت عالٍ: "اخرج يا دكتور وإلا هخلص على الدكتورة وأقول انها قاومتني وانا بطاردكوا "

وفى لمح البصر كان قد تناول عمر قضيبًا من الخشب ملقى بجواره، وفي سرعة خاطفة اهوى به على رأس أيمن فسقط من يده المسدس وسقط أيمن على ركبتيه، هنا قامت فريدة مسرعة متوجهة صوب عمر الذي أخذها وجرى بأقسى سرعة في الاتجاة الذي يبتعدان فيه عن أيمن، ولكن لم يكن الحظ حليفهما بالقدر الذي تمنياه فقد ظهر أمامهما على حين غرة الضابط أمجد مساعد أيمن في القضية والذي أطلق بدوره النار عليهما وهما يجريان في سرعة خاطفة حتى اقتربا من الفتحة الصغيرة التي كانا قد دخلا منها، لكن بدت على مسافة 100 متر وفي خطب غير متوقع بدا أمامهما كلب ضخم من كلاب الشرطة المستخدمة في التعقب بدأ يجرى خلفهما بسرعة كبيرة مما جعلهما على يقين أنهما سيقعان بين فكيه لا محالة.

جرى عمر وفريدة إلى أن اختبآ خلف السور الشجيري الذي كان يحيط القصر من الداخل، بينما الكلب يتبعهما بلهث غريب وسرعة فائقة، هنا نبهها عمر أن الكلب يتبع رائحة الجاكيت فخلعته ليبدو من تحته تيشرت أبيض انحصرت أكمامه عن ذراعين جميلين لامرأة في الثلاثين من عمرها بجسدها المتناسق المفعم بالحيوية والأنوثة.

تركت فريدة الجاكيت خلف شجيرة وانصرفت هي وعمر مبتعدين عنها فوقف الكلب خلف الشجرة يصيح معطيًا تنبيهًا لرجال الشرطة أن فريسته تقبع خلف هذه الشجيرة بينما على ذلك كان عمر وفريدة قد جريا إلى الباب الذي بدا الطريق إليه خاليًا الآن حتى خرجا من تلك الفتحة التي دخلا منها إلى الشارع الواسع.

وهنا أقبل أيمن الذي استفاق من الضربة بعد لحظات وتوجه إلى جهة صياح الكلب ومعه أمجد وبعض رجال الشرطة وظنوا جميعًا أنهم عثروا على ضالتهم، ولكنهم لم يجدوا شيئًا خلف الشجيرة سوى الجاكيت .

أمسك أيمن الجاكيت وتفحصه جيدًا ليجد في جيبه ترجمة الطلسم الذي كان قد كتب على ظهر الرجل المقتول والتي كانت قد وضعتها فيه فريدة حينما خرجا مسرعين من المكتب، ولكنها نسيت الترجمة في جيب الجاكيت والتى عثر عليها الآن أيمن وبدأ يقرا الكلام.

فغر أيمن فمه من هول ما يقرأ و صرخ قائلًا: "الراجل ده مجنون هو يقصد إيه بالكلام ده؟ لازم نبلغ الإدارة فورًا الموضوع مبقاش قضية قتل عادية في ايه بيحصل بالظبط؟"

ثم أردف أيمن أوامره بحسمٍ بالغ ورعب بدا يكاد يخفيه "دوروا عليهم في كل مكان، إحنا لازم نفهم إيه اللي بيحصل بالظبط"

* * *

- 17 -

وفي رحابة الشارع الذي يطل على جهة القصر الخلفية انطلق عمر ومعه فريدة وقد سارا مسرعين إلى حد كبير حتى رأيا تاكسي فأوقفاه واستقلاه إلى فندق "هيلتون رمسيس".

وهناك في بهو الفندق الشهير دخل الدكتور عمر وقد كان معروفًا لدى طاقم العمل في الفندق فكم من محاضرات عقدها في قاعة الاجتماعات الكبرى في الفندق فاستُقبِل بترحاب شديد وحفاوة بالغة فطلب غرفة لنفسه وغرفة للدكتورة وتعذر عن الأوراق الشخصية الخاصة بالدكتورة أنها سقطت منها في الطريق وهو يضمنها لدى إدارة الفندق.

بالفعل أخذ عمر مفتاح غرفة 304 وأعطي فريدة مفتاح غرفة 305 وصعدا إلى غرفتيهما ليتفكرا ترى ما سيحل بهما عما قريب؟

صعدا عمر وفريدة إلى الغرفة المخصصة لهما، ولكنهما اجتمعا في غرفة عمر الذي جلس يفكر ويقول لفريدة:

- أنا حاسس أن حل اللغز اللي احنا فيه ده في القصر بس ازاي ممكن نرجعله تاني...؟ قاطعته فريدة:

- أنا عندي نفس الشعور بس مش عارفة احنا كنا محتاجين وقت أكتر. ثم اردفت قائلة: لكن أعتقد إن مستحيل ندخل القصر تاني بسهولة، أنا وانت لازم واحد فينا بس يدخل القصر..

قاطعها عمر في لهفة:

- تقصدي إيه؟

أجابت بهدوء بدا عليه حذر شديد:

- أقصد أن انت بس اللي ممكن يفك رموز الخريطة دي ولازم انت اللي تدخل القصر بأي تمن.

بينما كانت تتكلم فريدة بجدية وحسم شارحة وجهة نظرها والخطة التي تراها قد تصلح حلًا للأزمة التي ألمت بهما وبينما هي منهمكة في شرح ما تراه وسيلة فعالة لدخوله القصر، كان عمر قد بدت له دكتورة فريدة بشكل مختلف، بدت له فريدة وليست الدكتورة فريدة التي كانت تخوض معه المعارك التاريخية الطاحنة في أروقة جامعة القاهرة والتي كانت تقف بين تلاميذها في قاعة المحاضرات مثلما يقف القائد بين جنوده .

كانت فريدة في عملها وأبحاثها في غاية الصرامة، تلك الصرامة التي طغت في أحيانٍ كثيرة على جمالها وأنوثتها الطاغية وملامح جسدها التي لا يكاد يثبت لها رجل طبيعي فطيلة الوقت كانت فريدة تحافظ على أناقتها، ولكن في إطارٍ من الجد والصرامة، الآن يراها عمر بعين مختلفة وقد ارتدت تيشرت أبيض ممسكًا بجسدها وقد انحصر عن ذراعيها بدت امرأة جميلة على نحو مما يتنمناه أي رجل مهما علت مكانته وارتفع شأنه.

وجد فيها الدكتور عمر ضالته في امرأة تقاسمه حياته وتمنى أن لو كانت الظروف أفضل من هذا فما كان ليتردد لحظة في أن يخطبها بل ويتزوجها في أسرع وقت ممكن ففيها كل ما يتمناه كل رجال العالم.

فينما هي تتكلم كان قد شرد عمر فيها هي شخصيًّا يتأملها ويشعر بها كاد يحس بأنفاسها وهي تتكلم وحماستها التي كانت تقطع هذه الكلمات وهي تخرج منها، بدت عيناها النجلاوين واللتين كانت قد كحلتهما لتبدو كأميرة أتت من بيت الخليفة العباسي قدمت من بغداد عبر آلة الزمن لتقف أمامه، فأي تناسق هذا الذي في وجة هذه المرأة بين أنف جميل منتصب صغير وفم أشبه بقطع الكريز الأحمر ووجنتين بدا كما لو أنهما قد شربا حمارهما من قشرة التفاح فكل ما فيها يجعلها المرأة المثالية للدكتور عمر وبينما هو على هذا إذ حدَّث نفسه قائلًا "كانت غايبة عني فين دي بس ؟ هو انت هتفضل كده تقابل الناس الصح في الوقت الغلط "ثم عقب قائلًا "يارب المحنة دي تنتهي عشان اطلبها فورًا ."

لم يكن الأمر عند الدكتور عمر فقط يقف عند وصفها الحسي أو حتى قدراتها الذهنية الخارقة لكنه امتد إلى ما هو ابعد من هذا امتد إلى روحها التي باتت تطير من وجهها تعانق السماء، بدت أمامه كأنها ملاك أتى من أساطير الإغريق أو أنها فينوس بعثت من رقادها لتثبت للعالم صدق أسطورتها، شعر برعشة سرت في جسده وخفقان قلبه بدا له صوت مسموع وشعر أن هذا دبيب نمل الحب بين لحمه وعظمه.

وكما أن للبيرفيوم رائحة تنفذ إلى العالم وتشعر بها الأنف كان أيضًا للحب رائحة تنفذ إلى العالم فتشعر بها القلوب وتستشعرها قرون الاستشعار الأنثوية الممنوحة للمرأة منذ حواء.

شعرت فريدة بما جال في خاطر عمر كأنما الذي قاله في نفسه سمعته هي في نفسها تسرَّب إكسير الرغبة والحب من جسد عمر ليصل إلى أجهزة الاستقبال المهيأة في جسد فريدة، وكأنما ردت عليه في نفسها "فعلًا ياريت

اللي احنا فيه دا يخلص وانا اوافق اتجوزك على طول" لم تكن فريدة لتغفل عن عمر بعد أن قرَّبت بينهما الأزمة لتغير نظرتها فيه؛ فهو ليس ذلك الدكتور المشهور المتعجرف الذي تحبه البنات في الكلية ويسعد هو بالتفافهن حوله، إنما رأت له جوهرًا أغلى بكثير من المظهر الذي ظنته مزيفًا بدا أمامها كأنما هو رجل يحمل على كتفيه هم العالم بأسره، رأت فيه الرجل الذي يثبر غور أنوثتها ويكمل نقص الخلقة فيها لتكمل هي فيه روحًا بدت معذبة وقلبًا بدا فارغًا وحياة مهترئة فكلاهما كان تمام الآخر.

ما أجمل التقاء الأرواح قبل الأبدان، وإن أعظم ما يسعد الإنسان ويطرب للعثور عليه هو قلب محب وبدن متناغم مع روح طاغية تأسر الألباب، ولذا فقد وجد كل منهما ضالته في الآخر .

وبينما الدكتور عمر على هذا قاطعته فريدة قائلة:

- إنت معايا؟ ولّا سرحت في إيه؟

ردّ عليها عمر بصوت متهدهد:

- أيوة أيوة معاكي، أنا بس كنت بفكر في المصيبة اللي احنا فيها .

أكملت فريدة قائلة:

- تعرف يا عمر انت غير ما كنت متخيلاك خالص.

قال عمر وقد بدت عليه ابتسامة عمد إلى إخفائها:

- ليه كنتي فاكراني إيه؟ قالت بحماس:

- كنت فاكراك شخص تافه فرحان بلمة البنات حواليك، منكرش انك عالم حقيقي، بس كنت بقول لنفسي شهرة فاضية لشخص محظوظ مش أكتر.

رد عليها وقد غلبته البسمة عن إخفائها:

- طيب ودلوقتي؟

قالت بصوت هادئ كساه الحنو وعلته الرقة:

- لا طبعًا شايفاك إنسان حقيقي قلبه حي وعالم بجد تستحق اللي انت فيه وأكتر، بس قولّي صحيح ...

قاطعها قائلًا:

- نعم..

أردفت:

- انت ليه متجوزتش لغاية دلوقتي؟ رد عليها في صوت علته تنهيدة اليأس:

- مكنتش لقيت الإنسانة اللي ممكن اكمّل معاها بقية عمري.

قالت بفرحة بنت صغيرة لكن مع وقار الأنثى البالغة:

- وياترى لقيتها ولا لسه؟

ردَّ عليها وقد بدت اللمعة في عينيه والابتسامة تنطق من بين شفتيه:

- لقيتها وكانت أبعد إنسانة عن خيالي بس لقيتها ونفسي اعترف لها إني لقتها وأقولها كلمة واحدة بس هي كل اللي حاسس بيه. قالت بصوت غلبته الأنثى وخرجت المرأة من بين صدر العالمة فقالت:

- عايز تقولها إيه؟

قال وقد اقترب منها أكثر حتى اختطلت أنفاسهما:

- بحبك. بحبك يا فريدة.

وقعت الكلمة على فريدة وقعًا لم تكن هي تتوقعه ثم عاجلها عمر بكلمة أخرى خارت معها كل مقاومة العالمة للأنثى بداخلها: " تتجوزيني؟" أجابت وقد عقدت الفرحة لسانها بهزة خفيفة من رأسها فأكمل عمر قائلًا:

- لو ربنا قدر لنا ونجينا من اللي احنا فيه هتجوزك فورًا.

ردت فريدة بعناقٍ شديدٍ جذبت به عمر إليها وجعلت رأسه على كتفها وكأنما احتضنته لتلملم به حرمان سنون مضت عليها ولم يداعب قلبها إكسير الحب الذي يدب الحياة في الأرواح قبل الأبدان كانت الدموع التي قفزت من عينيها لتنزل حارة على وجنتيها أكبر دليل على سخونة القلب فقد كانت دموع الفرح بأنها الآن تعانق نصفها الآخر.

احتضنته كأنما أرادت أن تدخله داخلها لتخبئه في صدرها وتخفيه عن العالم لم يكن العناق بينهما بالأبدان فقط بل كان بالأرواح أيضًا، سكنت روح كل واحد منهما للآخر واطمأنت إليه وشعر كل منهما أن الآخر عمره وحياته فقد كانت كلمة الحب الصادقة بينهما عقد زواج لروحيهما في عالم الخلود الأبدي.

هنا استفاقت فريدة قبل أن تستسلم لهذه اللحظات التي كثيرًا ما حرمت منها وقالت:

- بس لازم نعمل اللي قلت لك عليه.

قال لها بصوت مرتجف:

-مستحيل اوافق على الخطة دي بعد ما عرفت أد إيه بتحبيبني وانا كمان بحبك، أنا مستحيل افرط فيكي بالسهولة دي.

قاطعته وقد وضعت يدها على فهمه في رقة وعذوبة:

- لازم نعمل كده عشان تقدر تدخل القصر وتلاقي حل لطلاسم الخريطة دي ودا بس اللي هيساعدنا نعرف مين اللي بيعمل كل ده ونخرج من اللي احنا فيه" سكت عمر وقد نظر إليها نظرة المتأمل الخائف على كنزٍ قد وجده وهو يخشى الآن أن يضيعه ثانية بينما أجابت عينه بكلمات عجزت كل لغات الدنيا أن تسطرها إنما فهمتها فريدة.

* * *

- 18 -

عاد المقدم أيمن إلى المديرية وقد علت رأسه أكاليل الخيبة وبدا محطم الأمل في أن يجد ضالته، وكان قد أعطى الأوامر للقوات بمحاصرة القصر والمكوث حوله حتى تأتي تعليمات جديدة. وبينما هو يسير في رواق مديرية الأمن متجهًا إلى مكتبه، عاجله أمين الشرطة المكلَّف بحراسة المكتب قائلًا "في حد مستني حضرتك في المكتب يا فندم وعايز يقابل سيادتك ضروري " رد أيمن بشعور بالملل البالغ: "متعرفش مين" أجاب الأمين "لا يا فندم هي مستنية حضرتك في المكتب " قال في دهشة "ست كمان مش راجل؟ طيب اعملّي قهوة ومتدخلش عليا حد لغاية ما اعرف الست دي عايزة إيه" فتح الباب ليجد امرأة جالسة على الكرسي الأيمن لمكتبه، وقد بدا ظهرها وشعرها مسدل على ظهر الكرسي فبدت عليه كل علامات الارتياب كأنما شك في أمر بدت كل الوقائع حوله تكذبه، ولما اقترب منها علم أنها الدكتورة فريدة.

جلس أيمن على الكرسي ناظرًا إلى فريدة بنظرات يملأها الحنق والاتهام، ولكنها أيضًا مُزِجَت بالاستغراب والتساؤل الذي ما تمالك نفسه أن يوجهه إليها مباشرة:

- انتي جاية تسلّمي نفسك؟

أجابت فريدة في ثبات عجيب:

- بالطبع لا " ثم أردفت قائلة: هل عندك أي اتهام ضدي؟

رد عليها أيمن في حنق شديد:

- إنتي هتستعبطي؟

قاطعته بنبرة حادة:

- حافظ على اسلوبك في الكلام معايا، أنا هنا عشان مصلحتك.

أخرج أيمن سيجارة من علبة السجائر الخاصة به وأشعلها ونفخ مع دخان النفس الأول جام غضب وحنق كاد أن يفتك به، فقال متابعًا:

- مصلحتي ازاي بقى ان شاء الله؟

قالت بثقة عجيبة وقد حاولت طرد الدخان المنبعث من فمه تجاهها:

- أنا هنا عشان ابلّغ عن الدكتور عمر.

انتفض أيمن متجهًا نحوها بصدره قائلًا:

- وإيه المقابل ؟

أجابت بهدوء:

- إسمي ميجيش في القضية ولا التحريات غير بصفتي شاهدة فقط لأن أنا بالفعل كده، أنا اللي حطني في اللعبة دي كلها هو عمر وانا فعلًا مكنتش اعرف ايه اللي وراه، هو جالي البيت وطلب مني اساعده في اني احل معاه لغز غريب مصوره على موبايله لظهر جثة بنت مقتولة وانكم طلبتم منه انه يساعدكوا في حل اللغز ده.

رد عليها عاجلًا:

- طب مقلتيش ليه في المشرحة أن الدكتور عمر عندك؟

أجابت في ثقة بالغة:

- لأنك مسألتنيش أصلًا..

فبادرها بسؤال آخر:

- طب ولما انتي معلكيش حاجة هربتي ليه من الناس اللي كانت بتراقبك وتحت بيتك؟

- عمر كان مهددني اني لو وقفت أو حاولت استعين بيهم إنه هيخلص عليا، فلذلك هربت معاه وحاولت ادور على الفرصة المناسبة اللي اقدر اهرب فيها منه واجيلكوا، وكمان أنا اصريت في القصر اني اكمل جري معاه عشان يفضل تحت عيني طول الوقت واعرف هو هيروح فين واجي ابلغك أول ما الفرصة تجيلي.

رد عليها أيمن بصوت بدت فيه ألف علامة استفهام احتبست جميعها لتخرج في سؤال واحد:

- طيب وهل الفرصة دي سنحت دلوقتي؟

- طبعًا، وهقولك هو فين بس بعد ما توعدني ان إسمي ميجيش في القضية انت عارف مكانتي العلمية وإسمي وسمعتى محبش حد يقرّب منهم.

أخذ أيمن عدة أنفاس متلاحقة من السيجارة التي قاربت على الانتهاء وكان العسكري قد طرق الباب ليُدخِل فنجان القهوة، أشار له أن يضعها على المكتب ثم قال له "استنى " وتوجه بنظره إلى الدكتورة فريدة قائلًا بهدوء مصطنع:

- تشربي إيه يا دكتورة" قالت:"لا شكرًا أنا مش عايزة أي حاجة " نظر إلى العسكري، وقال: "هات ليمون وماتدخلش حد عليا زي ما قولتلك." رشف أيمن رشفة كبيرة من فنجان القهوة كأنما يتعطش جسده إلى كل منبهات الأرض ثم قام من مكانه وتوجه إلى شرفة في مكتبه تطل على ساحة المديرية ثم نظر إليها قائلًا: "موافق يا دكتورة، أوعدك بس بشرط هاتيجي معايا وانا بقبض عليه.

- موافقة..

سألها مسرعًا:

- طيب هو فين؟"

- أنا سايباه نايم في غرفة 304 في هيلتون رمسيس، وانا كنت طلبت من إدارة الفندق انهم يجيبولي منوّم لأني عندي أرق شديد ومش عارفة انام وانتهزت فرصة انشغالة في قراءة الطلاسم اللي في الورق وحطيت له المنوم في الشاي وسيبته وهو نايم.

قال أيمن وقد أخرج شيئًا من جيبه بدا كالورقة التي كانت تحوي فك شفرة الكلمات الموجودة على ظهر القتيل:

- زي دي مثلًا.

قالت وقد بدا عليها ارتباك لأمر لم تكن قد وضعته في الحسبان:

- أيوة الورقة دي كانت معايا في الجاكيت، وانا لما قلعت الجاكيت في جنينة القصر سبتها فيه عشان انتوا تلاقوا الورقة وابقى كده بعتّلك ترجمة النص اللي كنت سألتني عليه وعملت نفسي قُدَّام عمر اني نسيت الورقة جوة الجاكيت بس في الحقيقة أنا سبتهالك بالقصد.

بدا على أيمن بوادر اقتناع إذ يبدو كلامها منطقيًّا نوعًا ما ولكنه يشعر أن ثمة شيء ما وباتت الريبة تختلط بكل ذَرَّة في فكره ثم قال:

- طيب يالا يا دكتورة عشان نلحقه قبل ما يصحى."

قاما معًا في سرعة وخفة متوجهين إلى سيارة أيمن ثم أصدر الأوامر إلى كل الوحدات المحاصرة للقصر أن تتحرك فورًا صوب هيلتون رمسيس للإيقاع بالدكتور عمر هناك.

* * *

- 19 -

كان هناك على بُعد أمتار من البيت يقبع الدكتور عمر مختبئًا في مكانٍ يبعد عن القصر يراقب سير الأحداث ثم لما جاءت الأوامر إلى الوحدات بالتحرك انفضت كل القوات من أمام القصر وبدا القصر سانحًا أن يدخل عمر إليه بنفس الطريقة التي كان قد دخل بها مسبقًا، فالتفَّ حول السور وهو يعلم كم أن الوقت لن يسعفه كثيرًا فيجب عليه أن يدخل القصر ويخرج بكل ما قد تحويه تلك المصفوفة العجيبة أو على الأقل بمعنى لهذه الخريطة الرقمية.

اندفع نحو الباب الخفي متوجهًا إلى مبنى القصر في سرعة واستخفاء خشية أن يكون هناك من يراقب داخل الحديقة أو على مقربة منها، ولما تأكد من خلو المكان تمامًا بدت له الفرصة سانحة دخل القصر الذي كان قد وضع على بابه الشمع الأحمر حيث تسلق على شجرة بجوار شُرفة نومه في الدور الأول فوق الطابق الأرضي مباشرة وفوقها طابقان آخرين، ولما صعد إلى هناك فتح باب الشرفة ودخل إلى الغرفة وبينما هو يلتفت ليتوجه مسرعًا إلى باب الغرفة التي كانت قد طغى عليها البناء الحجري الذي زُيِّن بديكورات عصرية جميلة فيها سرير مودرن و"كومود" ودولاب من الطراز الحديث، ولكنه ولأول مرة يلحظ هذا الشيء؛ فقد لمعت عينه واتسعت حدقتها إذ لاحظ أن أشعة الغروب الداخلة إلى الغرفة من شرفة القصر قد عكست كلمة بدت تلمع في طرف في الغرفة من ناحية الجهة الشرقية في

الحائط الشرقى رأى كلمة محفورة على حجر منهم بطريقة عجيبة لم ترعِ انتباهه من قبل ولا انتبه لها ولا خطرت على قلبه قط، رأى كلمة "إفطار" وقف أمام الكلمة التي بدت عجيبة وبلا معنى ولماذا كتبت هكذا ثم أخذ يبحث حوله في كل أركان الغرفة لم يلحظ سوى هذه الكلمة في هذا المكان الغريب في الحائط الشرقى ولكنه على الفور أخرج المصفوفة الرقمية من جيبه والتي بدت أمامه هكذا

2	1	6	1	2
1	3	3	2	1
2	2	9	4	1
3	1	11	3	2

قال وهو يحاول أن يستنطق الأرقام لتعبّر له عن أسرارها ومكنونها إذا كان العمود الأوسط يعبر عن اتجاهات متباينة وهي الاتجاهات الأربعة، وإذا كان مجموع هذه الصفوف يعطي تاريخ ميلاد جدي فحتمًا هذه الأرقام تعبِّر عن شيء مخبأ هنا في هذا القصر ولو تأملت الصف الثاني 1 2 3 3 1 فسأجد أن الاتجاة الذي يعبر عنه هو اتجاه الشرق متمثّلًا في الرقم 3 فهي تشير إلى الحائط الشرقى في الغرفة ويبدو لي واضحًا من موقع الكلمة التي نُقِشَت على هذا الحجر أن الرقم التالي مباشرة وهو الرقم 2 يعبر عن البُعد الأفقي للكلمة من طرف الحائط بينما ارتفاعها يبدو مترًا واحدًا وهو الرقم الموجود في آخر الصف 1 إذا بدا تخمينه يخبره أن الرقم الأوسط يشير إلى اتجاه الحائط داخل الغرفة على طريقة عقارب الساعة والرقم التالي له مباشرة هو البُعد الأفقي للكلمة عن طرف الحائط والرقم الأخير هو البعد الرأسي للكلمة عن الأرض، وهنا قفز في الهواء حيث قال لنفسه كيف غاب عني هذا

طيلة الوقت، إن هذه الطريقة التي كتبت بها الخريطة كانت متبعة في أواسط القرن التاسع عشر بين علماء البعثات الإنجليزية التي أقبلت لاكتشاف آثار مصر القديمة، وكانوا يفعلون ذلك بأن يصفوا موضع أي كشف في معبد من المعابد أو في أي بناء هرمي باستخدام نفس الطريقة، وكانت خرائطهم على هذا النحو حتى يتعذر على لصوص الآثار الذين كانوا يطاردونهم أن يفهموا شيئًا إذا وقعت خريطة من هذه في أيدي أحدهم فإنه يقف لا يفهم شيئًا أو إلى ماذا تشير هذه الخريطة، ولكن هذه الخرائط كانت كل سطر فيها يعبر عن مكان مختلف فهذه المصفوفة لا تعبر عن مكان واحد بل تعبر عن أربعة أماكن متباينة في القصر، وكانوا يجعلون المصفوفة من أربعة أعمدة فقط يعبِّر العمود الأول عن رقم الغرفة ثم يعبِّر العمود الثاني عن الاتجاه داخلها وِفق الاتجاهات الأربعة ثم يعبر العمود الثالث عن البُعد الأفقى، ثم العمود الرابع عن البعد الرأسى، وهنا بدت حيرته كبيرة جدًّا؛ إذ بدت المصفوفة معه من خمسة أعمدة فماذا يعني الرقم الأول ؟؟؟؟

فكر قليلًا ثم قال أنا هنا الآن في الطابق الأول ربما أراد من صنع الخريطة أن يقول أن الصف الأول يعني رقم الطابق والصف الثاني يعني رقم الغرفة والصف الثالث يعني الاتجاه الذي أنظر إليه وِفق عقارب الساعة والصف الرابع هو البُعد الأفقي للشيء عن طرف الحائط بينما الصف الأخير هو البُعد الرأسي، وبالتالى يكون التحديد في غاية الدقة والوضوح إذا ترجمة الصف الأول من المصفوفة ليس في هذه الغرفة بل في الطابق الثاني، فخرج مسرعًا وفتح الباب وصعد في خفة كأنما يلمس السلم لمسًا بطرف أصابعه، ثم وقف أمام حجرات الطابق الثاني، وبدت حيرة جديدة من أين يبدأ عدّ الغرف ليصل إلى الغرفة الأولى؛ لأن الرقم الموجود في الصف الأول هو 1،

فقال في نفسه لما كانت غرفتي رقم 3 فالغرفة التي فوقها مباشرة هي أيضًا الغرفة رقم 3 في الطابق الثانى ولكى اصل للغرفة رقم 1 فهناك احتمالين اثنين إما أن أرجع غرفتين لليمين أو أتقدم غرفتين إلى اليسار. وبالفعل توجه جهة اليمين أولًا وفتح الباب في عنف شديد وإلى جهة الرقم 6 في عقارب الساعة والتي تعني الجهة الجنوبية وتفحص الحائط جيدًا لكنه لم يرَ شيئًا، أخذ يبحث بكل ما أوتي من قوة لكن لا نتيجة ولا طائل مما يبحث عنه، أخذ يحاول إدخال الضوء بكل الطرق لكن لم يفلح الأمر فخرج وقد بدت عليه الخيبة واليأس ثم توجه إلى الغرفة العمودية فوق غرفته مباشرة وتوجة جهة اليسار هذه المرة فالقصر مستديرًا أصلًا وقد كسيت جدرانه بلوحات في غاية الروعة والجمال فلما توجه جهة اليسار من الغرفة التي بحياز غرفته ودخلها ونظر إلى جهة 6 من عقارب الساعة أي جهة الجنوب وفي هذه الحائط على بُعد مترٍ واحدٍ من حافة الحائط حيث الرقم الموجود في المصفوفة في الصف الأول في العمود قبل الأخير 1، وعلى ارتفاع مترين حيث الرقم الأخير 2 وجد شيئًا غريبًا لكلمة بدت أمامه ما كان يلتفت لها قَط طيلة حياته؛ فكم كان يلعب ويلهو في غرف القصر وكان يتحرك فيها جميعها، ولكنه لم يرَ هذه الأشياء من ذي قبل كأنما ينظر إلى القصر الذي عاش فيه طيلة عمره نظرة مغايرة تمامًا فبدا هذا القصر أمامه الآن متاهة من اللغاز والأحاجي وبقى السؤال الذي يعصف بذهنه طوال الوقت من الذي رسم هذه الخريطة وكيف له أن يدخل ويكتب هذه الكلمات في غرف القصر وبهذا الشكل ولما أحضر كرسي كان داخل الغرفة المهجورة التي لم يفتحها أحد منذ سنين فقد كان عمر قد تخلى عن جميع الخدم ماعدا امرأة كانت تأتي لتنظيف بهو القصر وغرف الطابق الأرضي وتنظف أيضًا غرفة نومه فقط، أما هذه الغرف باتت مهجورة موحشة يكاد النور يطل

فيها بالكاد فلما صعد على الكرسي الذي علاه العنكبوت ليقرأ هذا الشيء اللامع، وجد كلمة نقشت على الحجر بطريقة غريبة جدًّا وخفية في ذات الوقت، وجد كلمه "أحضر" فبدا واضحًا أمامه أن هذه المصفوفة ستعطي له جملة أول كلمتين فيها " أحضر إفطار" بدا الأمر ساذجًا سخيفًا، ما هذا الهراء ثم إفطار من هذا؟ ولِم أحضره؟ ما هذا العبث؟ ولكن بدا لابد أمامه من أن يكمل الجملة بأي ثمن كلفه هذا.

نظر إلى الصف الثالث الذي بدا أمامه هكذا 1 4 9 2 2 فعلم أن الكلمة الجديدة ستكون في الغرفة التالية لهذه الغرفة مباشرة في نفس اتجاه العد الذي بدا له واضحًا الآن: فالغرفة التي كان يقف فيها غرفة رقم 1 والغرفة رقم 3 هي الغرفة التي بحياز غرفته مباشرة في الطابق الأسفل فكانت الغرفة الثانية هي التي تقع بينهما، فتوجه إليها في سرعة كبيرة يحاول أن يرى إلى ما سيقوده حدسه هذا.

وبالفعل لما وصل إلى الغرفة الثانية في الطابق الثاني، توجه إلى جهة 9 في عقارب الساعة أي إلى الحائط الغربي وعلى بُعد أربعة أمتار تقريبًا من حافة الحائط وعلى ارتفاع متر واحد وجد الكلمة مخبأة وقد نحتت على الحجر بطريقة يصعب على الإنسان العادي ملاحظتها، ظل يحاول أن يبذل قصارى جهده ليبصرها فإذا هي كلمة "الرجل" وبوضعها بجوار سابقتها تكون الجملة التي تكونت معه إلى الآن هي "أحضر إفطار الرجل" بقيت الجملة بلا معنى والحيرة تزداد داخله لكنه يشعر أنه يسير في الاتجاه الصحيح وأن شيئًا ما ينتظره في الصف الأخير والذي كان على هذا النحو 2 3 1 11 3 والذي بات يُعلِمه أن ضالته في الدور المقبل أي في الطابق الثالث وفي الغرفة رقم 1 وقد بدا عليه الأمر سهلًا الآن أن يعرف أي غرفة هذه التي

يبحث عنها ليجد نفسه في غرفة دائرية وليست مربعة كتلك التي سبقتها، بدا الأمر أشد صعوبة من الغرف السابقة فهو لا يدري إلى ما يريد أن يشير الرقم 11 لكنه قال ولنتبع نفس الاستراتيجية فلعلي إذا وقفت في منصف الغرفة وأشرت إلى الجهة 11 في عقارب الساعة تكون هذه النقطة مجالًا جيدًا لبداية البحث. وبالفعل وقف في منتصف الغرفة ونظر في ساعته "الرولكس" إلى اتجاة الساعة التي أشارت على الرقم 11 فذهب إلى الحائط المستدير أمامه وأخذ يبحث ويحاول أن يجد شكلًا غريبًا أو كلمة مخفية أو مخبأة حتى قال كأن الرقم 3 يشير إلى بُعدٍ أفقي من هذه النقطة والرقم 2 يشير إلى الاتجاه الرأسي، ولكن السؤال الآن: الثلاثة أمتار تبعد يمينًا أم شمالًا؟ لكنه تذكَّر أن طريقة الخريطة في ترتيب الغرف وترقيمها تسير في ناحية اليمين فبات عنده يقين أنه على بُعد ثلاثة أمتار من هذه النقطة على محيط الحائط الدائري وعلى ارتفاع مترين سيجد ضالته، وبالفعل فعل ذلك في خفة عالية وسرعة حتى أتى بمنضدة قديمة يقف عليها داخل الغرفة المهجورة حاول بكل الطرق قراءة الكلمة التي باتت باهتة بحيث عجز عن تحديد تفاصيلها إلا بشق الأنفس، فبدت له كلمة لم يكن ليتوقعها قَط فوضع يده على رأسه كأنما أصابه الدوار؛ فقد كانت الكلمة التي قرأها هي آخر ما كان ليخطر بباله.

* * *

- 20 -

توجَّه المقدم أيمن ومعه الرائد أمجد وبقية القوات إلى فندق هيلتون رمسيس في منطقة التحرير التي تشتهر بالازدحام الشديد حتى وصلت القوات إلى الفندق، وهناك دخل أيمن إلى بهو الفندق الفخم رخامي الشكل، وقد توجَّه إلى موظف الاستقبال قائلًا " فين أوضة الدكتور عمر؟" ارتبك عامل الاستقبال كثيرًا ونظر إلى الحاسوب الخاص به وقال "304 يافندم بس ممكن نفهم في إيه ؟" ردَّ أيمن بنبرة حادة أسكتته: "إحنا جايين نقبض عليه من غير شوشرة على الفندق بهدوء كده."

وقبل أن يتوجه إلى المصعد ليستقله إلى الدور الثالث عاجله عامل الاستقبال قائلًا: "بس هو لسه عامل تشيك أوت من ربع ساعة يا فندم " ردَّ أيمن في حنق شديد: "بتقول إيه" أجاب: "يا فندم دا اللي حصل ودفع حساب غرفته وغرفة الدكتور فريدة".

بدت كل علامات الغيظ والحنق على وجه أيمن الذي أيقن أن ثمة شيء ما يدبر ثم إذا كان هو قد انصرف من ربع ساعة فهذا معناه صِدق رواية الدكتورة فريدة لكن أين ذهب وما الذي حدث؟

نظر أيمن إلى فريدة قائلًا "واضح يا دكتورة انك هتشرفينا شوية لغاية ما نلاقي الدكتور عمر" وبينما شرعوا جميعًا في التوجه إلى باب الفندق وكانت فريدة تسير بجوار أيمن بغير الأساور الحديدية في يدها فقد كان حريصًا كما طلبت منه ألا تبدو المسألة أنها مقبوض عليها، وبينما هم يتحركون في

اتجاة باب الفندق دخل وفد سياحي كبير من روسيا مكوَّن من أكثر من 60 سائحة في غاية الجمال. نزلت السائحات من الحافلة التي كانت تقلهن وبدأ الزحام الشديد عند بوابة دخول الفندق، وبينما شغل بعض رجال أيمن بالنظر إلى هؤلاء الروسيات متفجرات الأنوثة سنحت الفرصة للدكتورة فريدة لتدفع أيمن في صدره وتخترق جموع السائحات متوجهة بسرعة كبيرة إلى منطقة بولاق التي تحيط بالفندق والتي هي شديدة الزحام إلى قدرٍ كبيرٍ؛ حيث يقبع هناك سوق للباعة على جانبي الطريق، كما أنه يوجد بجوار هيلتون رمسيس الشركة المنوطة بنقل الركاب إلى محافظات مصر، بالإضافة إلى أنها لا تبعد كثيرًا عن ميدان التحرير ومجمّع التحرير فكانت المنطقة تعج بالناس، والزحام شديد، وتوجهت بسرعة وخفة حيث حاول المقدم أيمن والرائد أمجد ملاحقتها فتابعاها بسرعة كبيرة، ولكنها دخلت في السوق المجاور للهيلتون ثم المؤدي إلى مبنى3 للإذاعة والتليفزيون، وهناك يقبع جرّاج كبير خاص بالعاملين في مبنى الإذاعة والتليفزيون تدخل إليه السيارات وتخرج منه بأعداد كبيرة.

في خفة ورشاقة عالية تجاوزت السيارات والزحام الشديد لتجد نفسها أمام مبنى الإذاعة والتليفزيون على كورنيش النيل وجدت تاكسي يُنزِل إحدى مزيعات التليفزيون أمام المبنى قفزت داخل التاكسي وقالت "اتحرك بسرعة وهديك اللي انت عايزة" تحرك التاكسى بسرعة كبيرة على شارع الكورنيش ليتوه بين الزحام ولم يتمكن أيمن أو أيٌّ من فريقه اللحاق بها، ولم يكن من السهل أبدًا إطلاق النار عليها لإيقافها فالمنطقة مكتظة بالناس والمارة وهذه مسألة في غاية الخطورة.

وقف أيمن في حنقٍ وغيظ لو خرجا من صدره لغطى العالم كآبة وحنقًا. وعلى الفور أعطى أوامره لكل الوحدات الشرطية والأكمنة بسرعة العثور

على دكتورة فريدة؛ فهي في طريق الكورنيش الآن، فيجب العثور عليها بأي ثمن.

كانت فريدة على عِلمٍ كاملٍ أنها ستقابل العديد من الأكمنة على طريق الكورنيش وسيعثرون عليها مهما طال الوقت أو قصر، ولكنها نزلت عند محطة الأتوبيس النهري في سرعة شديدة حتى إنها حجزت مقعدًا، وجلست في صفوف الأتوبيس النهري الذي لم يكن مزدحمًا بالقدر الكافي، وبالتالي فقد حوَّلت وجهتها لتتوجة الآن إلى الضفة الأخرى لنهر النيل، وبينما يشق الأتوبيس عباب النيل الرحب وتداعب آلاته صفحة النهر الخالد عابرة من ضفة إلى ضفة، تذكرت فريدة ما كان بينها وبين الدكتور عمر من مشاعر صادقة تفجرت فجأة داخلها كأنما خرجت الأنثى التي كانت قد كبحت جماحها في داخلها لسنين كثيرة.

تساءلت في دهشة: لماذا أضع نفسي في كل هذه الأهوال من أجله وأنا لم أقترب منه سوى منذ يومين وما كان بيني وبينه قبل ذلك سوى الشجار والخلاف والمنازلات الفكرية والعلمية ؟أم أن كل هذه المنازلات والمناظرات كانت وسيلة اصطنعها عقلي الباطن لكي ألفِت انتباهه دون أن يشعر عقلى الواعي أني أحبه ؟

ربما كان هو كامن في مكنون نفسي، ولكني كنت أناطحه بل وأتطاول عليه أحيانًا لجذب انتباهه إليَّ؟ ومع هذا فإدراكي لم يكن ليتحمل تلك الصورة أمامه والتي أبدو فيها كفتاة تحاول لفت انتباه زميل لها في المدرسة بمناطحته أمام الأساتذة.

إن هذا الحب الذي خرج من داخلي لم يكن أبدًا وليد اللحظة وقرين الصدفة بل كامن داخلي منذ رأيت الدكتور عمر في أول مرة عندما قدِمَ عائدًا من السربون بعد أن أنهى رسالة الدكتوراه، وكيف كانت الجامعة في

حالة حفاوة بالغة به وكيف أن اهتمامهم هذا ومظاهر الترقب لقدومه جعلتني في لهفة شديدة أن أرى هذا الدكتور القادم من السوربون ليلقي أول محاضرة عن تاريخ الفراعنة.

قلت في نفسي: من هذا؟ وماذا لديه ليقدمه في عالم الآثار المصرية ؟ ثم ماذا ستكون فحوى تلك المحاضرة المرتقبة ؟

كانت أول مرة أنظر فيها إليه وقد كان شديد التناسق والأناقة في منظر مبهر جذاب وقوة حضور طاغية، كان يملك من الكاريزما ما أخضعنى أنا لسلطان حديثه فلا تملك وأنت تستمع إلى الدكتور عمر سوى الإصغاء والإصغاء التام، كانت عباراته أنيقة مرتبة وأفكاره جذلة كأنما تخرج من سيل هادر وكانت حججه منطقية إلى درجة قد تعطي لك قناعة أنه عاش هذه الحجج لا ينقلها من الكتب، وكان يجيد الوصف إلى حد أنك حين تسمعه تشعر أنك تقرأ رائعة من روائع نجيب محفوظ.

وكانت أول محاضرة له عن تاريخ رمسيس الثالث والأسرة العشرين، وبدأ في ذِكر أمور كثيرًا منها معلوم لدى الباحثين عن تاريخ رمسيس الثالث كملك من أعظم ملوك مصر القديمة وبقي هذا الإعجاب بالمحاضرة حتى تكلم عن المؤامرة النسائية التي حيكت ضد رمسيس الثالث وعلاقة الملكة "تيا "بهذا الشأن ثم استطرد ليفجِّر لنا قنبلة علمية كانت مذهلة إلى حد أني عجزت عن تصديقها وهي أن الفرعون نيتاؤر هو "المومياء الصارخة" فما إن صدعت الكلمة في عقلها حتى حركت وجهها بعنف بالغ كأنما أرادت أن تطرد هذه الاسم الشيطاني الموحش.

* * *

- 21 -

وهناك في حي المهندسين حيث كان يسكن الدكتور مدحت الطبيب الشرعي الذي مكث طيلة الوقت السابق يحاول أن يفك سر تركيبة المادة التي عثر عليها في بطن البنت المذبوحة وفي بطن الرجل المذبوح والذي بات على يقين أنهما ماتا قبل عملية الذبح وعلى الأرجح فهذه المادة هي السبب الرئيسي في الوفاة، وكان يطالع "السر السار " لجابر بن حيان المتوفي سنة 200هـ ومعه كتاب تلميذه الأشهر الرازي والذي ألَّف كتابًا على غرار نفس التسمية وهو "سر الأسرار".

كان يقرأ في شغف بالغ هذه المخطوطات وهو يبذل في سبيل ذلك العناء الكبير حتى يتسنى له فهم المصطلحات القديمة وكيف صاغ هؤلاء العلماء تلك المراجع القيمة وكيف كانوا يتلون النصوص القرآنية على كل مادة حال إضافة مادة أخرى لها فقد كانوا يرون أن الكيمياء هي علم الأسرار وأن هذه الأسرار لن تفتح إلا بتوفيق الله لهم، كانوا يضعون المواد الكيميائية وهم يرددون القرآن وينظرون إلى التفاعل في شغف بالغ وإلى ما قد يسفر هذا التفاعل وكان جابر بن حيان قد كُلِّف من قبل المأمون بفك طلاسم تراكيب مواد وجدت في غرف الموتى في الأهرام وأيضًا وُجِدَت في مقابر عثر عليها العرب بل والمصريون وكانت توضع في يد الدولة وتخضع لسلطان الخلافة.

وبينما كان الدكتور مدحت مستغرقًا في قراءة هذه المخطوطات التي عثر على صور منها من دار الكتب المصرية وأثناء تصفحه للمخطوطة وقع نظره

على مركب جعله يفغر فاه خوفًا وفزعًا بدت على عينيه علامات الرعب المحدق وعدم التصديق لما يرى اقفهر وجهه وبدأ يطرد هذه الأفكار بكل قوة يمتلكها؛ فقد وجد صورة مرسومة وبجوارها خواص مركب تنطبق تمامًا مع هذا الذي في يده ولما أبحر في قراءة تفاصيل سلوك المركَّب وجدها مطابقة تمامًا للأبحاث المبدئية التي أجراها على المُركَّب، ولكن الذي هاله هو الاسم الموجود والذي أطلقه جابر بن حيان على هذا المركَّب فقد سمَّاه "جحيم الشيطان"

والذي زاد من فزعه هذه العبارة التي صدر بها بن حيان الفصل الخاص بذِكر هذه المادة فقد قال" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون. كذب من قال إن الشيطان لا يرى فها أنا قد عاينته وعاينت صنيعه".

وقعت الكلمات على مسمع الدكتور مدحت الذي بدا يرجف وبدت دقات قلبه تتصارع بدا في خوف وفزع كبيرين وبدأ يسمع في أذنه اليسرى نفس الجملة" الجحيم هو الموت الأسود" .

أكمل الدكتور مدحت قراءة وهو يحاول أن يطرد وحي الشيطان من رأسه ليرى تعليق بن حيان على أصل هذه المادة فوجده يقول" وبيد أن هذه المساحيق قد صيغت من قبل خدمة الشياطين وأحيطت بالسحر الأسود الممقوت شرعًا وقد بدا لي أنها صُنِعَت للموت"

وبدأ بن حيان في ذِكر المواد التي استخدمها في تحليل هذه المواد وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، ولكنه كتب ملاحظة "إذا ما شرعت في تحليل هذه المساحيق فليبقَ كتاب الله بجوارك"

علم مدحت أنه مقبل على أمر جلل ومادة قد لا يكون أتيح لكل علماء العصر الحديث اكتشافها أو حتى التعامل معها، ولكن الخوف والفزع جعلا الأدرينالين في جسده يسبب له رعشة كبيرة وتوتر في المفاصل. قام مسرعًا إلى غرفة المكتب وأحضر منها المصحف الشريف وجعله بجوار كتاب بن حيان، وقد بدأ يكمل قراءة وبدأ هنا في إحضار المواد التي استخدمها بن حيان في تحليل هذا المركَّب وبدأ بإضافتها وهو يتمتم بآيات ذكرها بن حيان كحصنٍ لمن يريد أن يشرع في هذا الأمر حتى كان مالم يكن في حسبانه قَط وبدا له ما لم يكن يحتسب.

* * *

- 22 -

وقف الدكتور عمر في غرفة قصره الأولى الكائنة في الطابق الثالث وفق الترتيب الذي صنعته المصفوفة ليجد نفسه أمام كلمة جديدة تتم الجملة التي تعبِّر عنها هذه المصفوفة الرقيمة أو الخريطة التي صيغت على طريقة المستكشفين الإنجليز الذين أتوا إلى مصر لاكتشاف كنوزها ونهبها وإرسال الكثير منها إلى بلادهم بقوة الجبر والقهر فقد شرعوا في سرقة تاريخ الإنسانية جميعًا وجعلوه في متاحفهم ومزاراتهم وهذا كله فضلًا عن لصوص الآثار الذين اقتنوا عندهم تحفًا لا تُقدَّر بثمن وآثارًا لا يعرف العالم لها نظيرًا؛ فقد تعرضت الآثار المصرية إلى سرقة ممنهجة عن طريق البعثات الإنجليزية التي جاءت للاسكتشاف ودراسة المقابر وفهم حضارة الفراعنة وتعرضت أيضًا لسرقة غير ممنهجة عن طريق لصوص المقابر من المصريين وغيرهم الذين كانوا يبيعون ما يجدون لمن يدفع من الإنجليز أو الفرنسيين مقابل أموال في أحيان كثيرة كانت أموال زهيدة.

وكانت الخريطة بصفوفها الأربعة تعبِّر عن أربعة مواقع في القصر؛ فقد كان الرقم الأول في الصف يعبر عن رقم الطابق ثم الرقم الثاني يعبِّر عن رقم الغرفة في الطابق ثم الرقم الثالث يعبِّر عن اتجاة الحائط الذي ينظر إليه وفق ترتيب الأرقام في عقارب الساعة ثم الرقم الرابع يعبِّر عن البعد الأفقي من طرف الحائط من جهة اليمين ثم الرقم الأخير يعبِّر عن الارتفاع الرأسي للكلمة المنحوتة على الحجر المكون لغرف القصر.

كانت الكلمة الأخيرة التي بدت له هي كلمة " الأعمى" وبذلك تكون الجملة التي ظهرت له"أحضِر إفطار الرجل الأعمى"

وقف أمامها عمر فاغرًا فاه لا يفهم شيئًا من هذا الكلام ولا يعرف ما معنى هذه الجملة ولا من كتبها وإلى ماذا تشير. كانت الجملة في غاية الغموض عسيرة على الفهم؛ فما هو إفطار الرجل الأعمى؟ ومن أين أحضره وما علاقة هذا كله بما نحن فيه؟ ولماذا سطرت هذه العبارة بخريطة قبطية عجيبة على ظهر البنت المقتولة ؟

الأفكار تعتصرني وأراني اوشكت على الهاوية، هل الحل هو أن أسلم نفسي للشرطة وهم يتولون الأمر أم أن هذا الطريق المسدود قد يبدو منه فرج قريب.

توجَّه إلى السماء يناجي ربه ويدعوه أن ينير بصيرته ويحل له هذا اللغز العويص وبينما هو على ذلك جاءه خاطر أن ينزل إلى مكتب جده فقد يجد كتابًا يشرح فيه هذه الأحجية أو حتى مخطوطة تعبِّر عن هذا الكلام.

هو يعلم أن الوقت يداهمه، ويجب أن يغادر القصر في أسرع وقت، فقد اتفق هو والدكتورة فريدة على أنه من ينجز منهم مهمته يذهب إلى كافيتريا محددة في شارع جامعة الدول العربية فهو شارع مليء بالكافيتريات وشديد الازدحام فسيكون من السهل عدم لفت الانتباه إليهما وقد تواعدا أن يمكث من يأتي أولًا نصف ساعة فقط، فإذا لم يأتِ الآخر فلينصرف ليبدأ في تنفيذ الخطة" ب ".

كان يعلم عمر أن الوقت يداهمه ويجب أن ينهي هذا الأمر في أسرع وقت ممكن فنزل مسرعًا عبر السلم إلى بهو القصر حتى وصل إلى باب غرفة المكتبة ودخلها مسرعًا يحاول أن ينظر في مخطوطات جده يبحث في كل

أرفف المكتبة عن أي مخطوطة أو كتاب يشير من قريب أو بعيد لمعنى هذه الجملة التي كونتها المصفوفة. بدا في ذعرٍ شديد فهو يخشى على فريدة ولا يعرف ما الذي جرى لها هل فرت أم أمسكوا بها وهل وصلت إلى الكافيتريا أم لا، أخذ يبحث بكل قوة وعزم حتى وقف أمام كرسي جده ووجهه إلى المكتب ينظر حوله وقد وصل اليأس إلى منتهاه فسقط على كرسيه جسدًا بلا أمل وقد بدا له المصير الذي ينتظره فسقط على الكرسي مغمضًا عينيه للحظات فما إن فتحها حتى أبصر أمامه شيئًا طار له عقله ولمعت عينه من جديد كأنما دبت فيها الحياة مثلما تعطي يدًا لغريق أيقن بالهلاك. بدأت الروح تسري في جسده مرة أخرى، الآن وجد معنى للعبارة التي قرأها "أحضِر إفطار الرجل الأعمى"

نظر أمامه فوجد الصورة التي كان قد اشتراها جده من بيكاسو ووضعها أمام مكتبه في المكتبة الخاصة به فقد كانت هذه اللوحة سماها بيكاسو"إفطار الرجل الأعمى" كأنما هذه الخريطة الرقمية تشير نعم إلى أربعة مواقع لكنها في الأخير هي إشارة لمكان واحد فقط في البيت وهو لوحة "إفطار الرجل الأعمى" لبيكاسو والتي كان قد اشتراها جده الأكبر الدكتور كامل الأسيوطى في آخر حياته، وكانت مسار استغراب طيلة الوقت لدى عمر؛ إذ ما فائدة هذه اللوحة التي تبدو كئيبة؟ ثم لماذا وضعها جده هكذا أمامه دائمًا ونصب عينيه .

طالما لم يكن عمر ينظر إلى هذه اللوحة الكئيبة، ولكنه أبقى عليها هكذا لأنها كانت رغبة ووصية من جده ألا يبدل أحد من بعده شيئًا في مكتبه ومكتبته قطّ، إضف لها ما تشاء لكن لا تنزع عنها شيئًا.

* * *

- 23 -

بينما تحاول فريدة أن تطرد الفكرة والاسم اللذين قرعا خاطرها وجدت الأتوبيس النهري قد وصل إلى الضفة الأخرى فخرجت في سرعة واستوقفت تاكسي، وطلبت منه التوجه إلى الكافيتريا المتفق عليها في جامعة الدول العربية. بدأ السائق يتوجه مسرعًا إلى مكان الكافيتريا وهي تفكر في كل ما يجري بينما بدأ سائق التاكسي في إجراء حوار معها كعادة السائقين حتى يدر عطفها فتزيده في الأجرة، طلبت منه في حزم شديد "سوق وانت ساكت يا اسطى لو سمحت" امتقع وجه السائق لكنه قال في نفسه "هو يوم باين من أوله" ما إن وصلا إلى الكافيتريا حتى نزلت وأعطته الأجرة وزادته فيها ثم دخلت الكافيتريا واختارت مكانًا مختبئًا تجلس فيه وقد طلبت القهوة الأمريكي التي تحبها، وجلست تعصف الذكريات بها ليوم المحاضرة الأول الذي رأت فيه الدكتور عمر.

ويومها بعد أن فرغ عمر من المحاضرة التي كانت إيذانًا بميلاد نجم جديد في عالم الآثار المصرية لا يملك العلم فقط بل يملك آلة توصيله وتبسيطه، كان بحق نجمًا لمعَ وتلألأ في سماء علم الآثار المصرية، كانت طريقته في الاستدلال والبحث والنقاش وطرح المعلومة لا تقل عن طريقة هوارد كارتر (مكتشف مقبرة توت عنخ آمون) والذي عُرِف عند كل علماء المصريات بحُسن التصنيف وغزارة المعرفة مع روعة الاستدلال المنطقي.

كنت أراه يتحدث مثلما يتحدث علماء السوربون أو أساطين علم المصريات في العالم بأسره ولما فرغ من المحاضرة تمنيت أن لو كنت واحدة من هؤلاء اللواتي هرعن إليه ليلتقطوا معه صورة تذكارية أو يسألنه على معنى في المحاضرة أو مرجع من المراجع التي ساق منها الأدلة، ولكن وقار العالمة وجلال الباحثة منعني من أن أتم فعل هذا وكأنما من حينها نبتت داخلي عاطفة الحب في عقلى الباطن بينما أنكرها عقلي الواعى الذي بقيت حارسة عليه شخصية العالمة.

وبينما كانت فريدة تبحر في خضم بحر الذكريات، كان الضابط أيمن على الضفة الأخرى من نهر النيل في ارتباك شديد خاصة بعد أن جاءته مكالمة من مدير الأمن تسأل عما قد وصل إليه وهل هناك تقدم في القضية أم لا؟ و أن القيادة بكاملها منزعجة مما تسمع وتريد أن تضع حدًّا لكل هذا الذي يحدث.

وبينما هو على هذا الحال إذ صدع هاتفه برنة مألوفة لديه، كان الاتصال من زوجته التي كانت قد بقيت مع ولدها في العناية المركزة فاقدًا الوعي، كانت تخبره في هذه المهاتفة أن ولده بدأ يفيق قليلًا من الغيبوبة، ولكنه يصرخ وينادي باسمه ويريد أن يرى والده فورًا حتى إن الدكتور طارق نصح بأن يأتي والده حتى لا يدخل الطفل في غيبوبة جديدة.

أسرع أيمن إلى سيارته التي استقلها إلى المستشفى في سرعة كبيرة وخوف شديد على ولده فوصل إلى المستشفى في وقت قياسي، ثم دخل إلى ولده الذي كان يصرخ مناديًا باسمه، فلما دخل على ولده واحتضنه وفتح الولد عينه ليرى أباه صرخ الولد في وجه أبيه بجملة واحدة: " ليه كدة ليه كدة"

ثم أشاح بوجهه عن أبيه كأنما يلومه أنه هو السبب في كل ما هو فيه، وطلب من أمه أن تقدم إليه وتحتضنه، فأشار الدكتور طارق لأيمن بالانصراف من الغرفة.

خرج أيمن وفي عينيه دمعة يكتمها فولده يرفض حضنه أو حتى أن يكلمه أو يقبّله، تعجب طارق قائلًا في نفسه إذا فلم كان الولد ينادى على أبيه إذا كان لا يتمنى لقاءه ؟ ثمة أمر أنا لا أفهمه.

أكمل طارق حواره مع أيمن ناصحًا إياه بمحاولة أخذ إجازة من العمل واصطحاب الأولاد إلى أوروبا في رحلة علاجية لأحمد وأيضا تنزُّه وسياحة.

أجاب أيمن بأنه سيحاول أن يفعل ذلك ريثما ينتهي من هذه القضية التي لا يعلمها إلا الله ولا يدري إلى ما ستصير غير الله الواحد الأحد.

كانت الهوة قد اتسعت بين أيمن وزوجته حتى إنها لم تكد ترمقه بنظرة أو تحدثه ببنت شفة، ولكنها كانت في غاية القلق والتوتر على حال ولدها تدعو الله له بالشفاء.

* * *

- 24 -

توجَّه أيمن إلى سيارته منطلقًا إلى عمله ولما وصل مديرية الأمن وجد مساعده أمجد في انتظاره، بينما بدت على أيمن علامات الإجهاد والتوتر والتعب البالغ، أشار عليه أن يرتاح فمنذ أن بدأت هذه القضية ولم ينم أيمن نومة هنيئة ولو لساعات قليلة ولم يرتَح على الإطلاق. توجه أيمن إلى أمجد قائلًا:

- إيه الأخبار مفيش أي جديد في التحريات؟

أجاب أمجد في نبرة يائسة:

- لا يافندم اختفت كأنها فص ملح وداب.

قال أيمن متعجبًا:

- أومال هتروح فين يعني؟ طيب مفيش أي أخبار عن عمر؟

أجاب بيأس أشد من ذي قبل:

- لا يافندم مفيش أي أثر لا ليه ولا ليها، بس الاحتمال الأغلب إن كل واحد منهم في سكة دلوقتي، وكده ممكن يقعوا بسهولة.

أرجع أيمن رأسه إلى الوراء وقد وضع يده على وجهه في علامة إرهاق بالغٍ:

- أما نشوف هيحصل إيه ربنا يستر.

ثم أردف قائلًا:

- صحيح مفيش أخبار جت من الدكتور مدحت أو هيئة الطب الشرعي؟

أجاب أمجد في عجلة كأنما كان متوقعًا لهذا السؤال:

- لا يا فندم، دا حتى مدحت مختفي من امبارح .

رد عليه أيمن:

- طيب كويس فكرتني اتصل بيه اشوفه وصل لإيه.

أخرج أيمن هاتفه من جيبه ولم يستغرق وقتًا طويلا في البحث عن رقم مدحت على الرغم من أنهما لم يتحادثا منذ أكثر من يومٍ. وضع أيمن الموبايل على أذنه وأخذ يتسمع رنة الاتصال التي استمرت إلى نهايتها ولم يرد أحد. كرر أيمن ذلك مرات ومرات ولم يجبه أحد على عكس عادة مدحت الذي كان لا يفارق هاتفه أبدًا حتى عند النوم يضعه بجواره على المنضدة. كرر أيمن الاتصال عدة مرات متلاحقة ولم يجب أحد، أخذ الهاتف الأرضي واتصل به على رقم بيته لم يجب أحد فاتصل بالمشرحة فردت بأنه لم يحضر منذ الأمس .

بدأ الشك يلقي حبائله بنفس أيمن ترى ما حدث لمدحت، هل أصابه مكروه؟ انتفض من مكانه وقال لأمجد: تعالى معايا نشوف مدحت في بيته ولا فين؟ وأكمل وهو يتناول بزته: أنا بدأت اقلق عليه.

خرجا في سرعة واندفاع تجاه جراج مديرية الأمن حيث كان يترك أيمن سيارته هناك وأستقلها هو وأمجد وانطلقا في سرعة كبيرة يتوجهان إلى بيت دكتور مدحت في المهندسين، وعندما وصلا إلى البيت وصعدا إلى الشقة دقا جرس الباب بقوة فلم يجب أحد وأخذا يقرعانه بعنف بالغ، ثم توجه أيمن

إلى السلم ونادى على البواب الذي صعد في فزع شديد قائلًا:"خير يا بهوات؟" قال أيمن في حزم وارتياب "انت آخر مرة شفت الدكتور مدحت كان إمتى؟" رد البواب في بديهية غريبة: "يابيه الدكتور مدحت مخرجش من شقته من امبارح، جه امبارح معاه حاجات كتيرة وانا ساعدته في شيلها وطلع وقفل شقته ومن ساعتها مشوفتوش خرج، دا حتى عربيته راكنه تحت." نظر أيمن إلى أمجد كأن قد جال بخاطرهما نفس الخاطر فاندفع أيمن إلى الباب يحاول فتحه بكل قوة وعنف وقد ساعده في ذلك أمجد حتى استطاعا كسر الباب وفتحه ودخلا في سرعة جنونية ليجدا مدحت مقتولًا وعاريًا وعلى وجهة علامات الرعب التي كانت على وجه البنت والرجل القتيلين ووجدا علامة الذبح في نفس المكان، بينما كتب الكيمياء التي كان قد أحضرها من دار المخطوطات كانت قد اختفت ولا أثر لها ووجدا بقايا لمصحف محروق بجوار الجثة، لكنهم لم يعثرا على أي كتابات على جسد الدكتور مدحت.

أيضًا كانت المادة الكيميائية التي كان قد استخرجها من أمعاء القتيلين كانت قد اختفت.

كان المشهد مفزعًا، موحشًا و أيمن يحاول أن يتماسك نفسه حتى لا ينفجر في البكاء فقد كان مدحت صديق عمره وطفولته فقد تخرجا في نفس المدرسة الثانوية ودخل أيمن كلية الشرطة بينما دخل مدحت كلية الطب وبقيت بينهما صداقة حميمة وعلاقة وثيقة وطدت أواصلها طبيعة العمل الذي كان يجمعهما في أحيانٍ كثيرة فقد كان يطلب أيمن دائمًا من إدارة الطب الشرعي انتداب الدكتور مدحت في أي قضية تسند إليه، كانا يعملان

معا في تناغم ويحللان سويًّا أسرار كل قضية كانت تقع في أيديهما بذكاء خارق وعمل جماعي استرعى انتباه الجميع.

كانت الدموع تملأ عين أيمن فلم يستطع أن يتمالكها بل خرجت منفجرة من بين جفنيه لتنزل منهمرة على وجهه الذي أجهده الألم وأعياه الفكر وبات لا يعرف إلى ما سيقوده هذا الذي يحدث وإلى أي مجهول يساق، الآن هو يخسر كل شيء وزجته وولده اللذين لم يعودا يطيقان النظر إليه وعلى وشك أن يخسر عمله ويحال إلى الاستيداع في فضيحة مدوية له في ديوان الوزارة فضلًا عن أنه قد يجد نفسه متهمًا بقتل هذا الرجل الذي وُجِدَ ملقى في حديقة بيته.

أي خطوب هذه التي تعصف بي وإلى أي مرسى تتجه بي سفينة حياتي لقد مللت كل هذا.

* * *

- 25 -

وقف عمر أمام لوحة إفطار الرجل الأعمى لبيكاسو والتي كانت معلقة في مكتب جده الدكتور كامل الأسيوطي، فقام إليها وانتزعها من مكانها فبدت أمامه لوحة عادية ليس فيها شيء غريب لم تكن تعبر له عن أي معنى على الإطلاق، ليس فيها سوى رجل أعمى قد انطمست عينه أمام منضدة عليها إبريق ماء فخاري وطبق من الفخار فارغ لونه أزرق وقد أمسك في يساره قطعة خبز قد كسر منها قطعة و وقد وضع منديلًا على طرف المنضدة وتوجهت يمينه جهة الإبريق وقد بدا الرجل شاحبًا مكتئبًا بدت عروقه وانحنت رأسه في انكسارٍ غريبٍ وكان هذا كله في غرفة تكاد تكون مظلمة فقد كانت الألوان المستخدمة في اللوحة أغلبها يميل إلى الزرقة، فقد رسمها بيكاسو في حقبة سميت في تاريخه الفني بالحُقبة الزرقاء حيث كانت كل لوحاته في هذه الحقبة ترسم باللون الأزرق فقد كانت اللوحة تحمل في طياتها كابة غريبة ومعنى يزعج النفس بل ويستدر عطفها على هذا الرجل الأعمى والغريب أن بيكاسو أسماها إفطار الرجل الأعمى بينما بدت الغرفة مظلمة قاحلة ليس فيها ضوء شمس واحد مما عنى تمام البؤس لحال هذا الرجل الأعمى فليله كنهاره.

وقف عمر محيَّرًا في أمر هذه اللوحة وأخذ ينظر خلفها على الحائط عله يجد شيئًا أو يبدو له مخبأ لكنه لم يجد أي شيء أمامه، الحائط صلد لا يتحرك، فبدت الأمور معقدة جدًّا لكنه شعر أن الوقت يداهمه وفهم من

الجملة التي وجدها في الخريطة"أحضر إفطار الرجل الأعمى" فهم أن اللغز كله سيقبع في هذه اللوحة، ولكن أين يمكن أن يكون حل هذه الطلاسم ؟

أخرج اللوحة من البرواز ولفها وأخذها معه وخرج في خفة شديدة وسرعة بالغة خارجًا من القصر متوجهًا إلى نفس الفتحة التي دخل منها، ثم أغلق الباب خلفه وتوجه في سرعة كبيرة إلى الشارع حيث استقل تاكسي وأخبره أن يذهب إلى شارع جامعة الدول العربية بالمهندسين في الكافيتريا التي اتفق عليها مع دكتورة فريدة.

بينما كانت فريدة تنظر في ساعتها والتي واشكت على انقضاء نصف الساعة من الانتظار فهي تعلم أنها لا يمكنها أن تبقى في مكان واحد أكثر من هذا، وبينما بدت عقارب الساعة أمامها تمتطي صهوة جواد السرعة بدأ الوقت يمر مسرعًا ولم يأت بعد الدكتور عمر ولا تدري ما حدث له فقد اتفقا على الخطة الأولى وبدت الخطة "ب" لكليهما الفراق فلن يتمكنا من لقاء بعضهما البعض بعد اليوم.

وحين وصلت عقارب الساعة إلى نصف الساعة نادت فريدة على نادل الكافيتريا وطلبت منه حساب القهوة التي كانت قد احتست منها في نصف ساعة ثلاثة أكواب كأنما تريد مسكنًا لأعصابها، ولكن القهوة تفعل عكس هذا تمامًا. وقبل أن تضع الحساب في الشيك وتنصرف فوجئت به قد دخل عليها ومعه لفة طويلة.

سألها:

- دفعتي الحساب ؟

أجابت:

- أيوة.

قال في عجالة:

- يالا من هنا بسرعة.

انطلقا ثم استوقفا تاكسي واستقلا التاكسي فنظرت إلى اللوحة في يده وسألته:

- إيه اللي معاك دي؟

- اللوحة دي هي معنى المصفوفة الرقمية. ردت في استغراب شديد:

- ازاي يعني؟

أجاب في خلسة:

- هفهّمك بعدين، المهم دلوقتي نلاقي مكان نقعد فيه نفك طلاسم اللوحة دي، عايزين مكان هادي نعرف نفكر فيه ونحلل اللوحة دي يمكن نقدر نفهم منها حاجة.

ردت بهدوء وثقة:

- أنا عارفة احنا ممكن نروح فين ويساعدنا كمان في فك تفاصيل اللوحة دي.

رد عمر مستغربًا:

- مين؟

- الدكتور مؤنس أستاذ دكتور بكلية الفنون الجميلة وباحث في تاريخ الفن وهو ابن عمي ومش ممكن أبدًا يتخلى عني.

رد عمر في لهفة كالذي وجد ضالته:

- طيب عنوانه إيه؟ ردت هي موجهة كلامها إلى سائق التاكسي: اطلع على الدقي يا اسطى شارع التحرير.

وبالفعل توجه سائق التاكسي من شارع جامعة جامعة الدول العربية مخترقًا زحام السيارات هذا الذي بات يخنق المكان ويفقده رونقه وجماله، متجهًا إلى شارع البطل أحمد عبد العزيز والذي بدا أشد زحامًا من سابقه حتى وصلا إلى شارع التحرير في الدقي وهناك نزلا أمام عمارة كبيرة وتوجها فورًا إلى الدور السابع حيث يسكن الدكتور مؤنس عالم الفنون والباحث الكبير في تاريخ الفن؛ فقد كانت الرسالة التي أخذ عليها الدكتوراة هي دراسة للوحات مايكل أنجلو والرسم على شكل طبقات متتالية فقد كان رسامو عصر النهضة وعلى رأسهم مايكل أنجلو لا يرسمون اللوحة مرة واحدة فقد كانوا يرسمونها في شكل طبقات متتالية حتى يبدو الظل حقيقيًّا وتبدو اللوحة كأنما تنطق بالحياة أجمل مما لو أخذت بكاميرا فوتوغرافية كانوا على قدر في الفنون غير مسبوق.

هنا دق جرس الباب، فتح الدكتور مؤنس وإذا أمامه الدكتورة فريدة، قال في تعجب: "فريدة عاملة إيه وإيه أخبارك؟ اتفضلي" دخلت فريدة ومعها الدكتور عمر فقالت فريدة متعجلة أن تعرف الدكتور عمر لمؤنس، فقالت: دكتور عمر. قال مؤنس: عارفه طبعًا أشهر من النار على العلم، اتفضلوا يا أهلًا وسهلًا".

جلست فريدة على مقعد في ردهة منزل الدكتور مؤنس الذي بدا كلاسيكيًّا مليئًا باللوحات الفنية الخالدة ما بين الأصلي منها والمقلَّد، وكان الصالون "سينيه" فقد بدت كل قطعة في بيته كلوحة فنية جمعها من مزادات أوروبا.

قالت فريدة في جدية:

- إحنا هنا يا دكتور عشان عايزين مساعدتك محدش هيقدر يساعدنا غيرك. رد مؤنس في تعجب:

- أساعدك في إيه يا دكتورة؟ أنا تحت أمرك.

قالت فريدة متعجلة:

- الدكتور عمر متهم في جريمة قتل بنت لقوها مدبوحة ووجدوا على ظهرها طلاسم بالقبطية القديمة، المهم بعد ما الدكتور عمر فك طلاسم الكتابة دي لقينا الطلاسم دي عبارة عن خريطة بتشاور على حاجة جوة القصر اللي عايش فيه الدكتور عمر ومتسألنيش ازاي؟ لأن لغاية دلوقتي احنا مش فاهمين حاجة ولا مين اللي كتب الطلاسم دي، بس المهم أن الخريطة دي بتشاور على اللوحة اللي في إيد الدكتور عمر وعايزين نحاول نفهم ونخرج كل المعلومات اللي ممكن تكون في اللوحة دي، وخليك عارف أن دا آخر امل لينا اننا نلاقي دليل على براءة الدكتور عمر وممكن يوصلنا للقاتل.

أردفت فريدة بلهفة: على فكرة لو رفضت تساعدنا احنا هنمشى فورًا واعتبر نفسك مشفتناش بس لو ساعدتنا ممكن تنقذ روح بريء من حبل المشنقة وتنجيني أنا من تهمة التستر عليه وتضليل العدالة وضياع مستقبلي.

سألها مؤنس وقد بدت عليه علامات القلق والارتياب وفكر في أن يرفض طلبها بلا تردد، لكنه تذكر حبه القديم للدكتورة فريدة وكيف أنها اختارت زوجها السابق عليه رغم أنه تقدم لخطبتها لكنها لم تختره فقرر أن يظهر

أمامها كالفارس النبيل الذي ينقذها في أحلك الأوقات لعلها تعيد التفكير في طلبه السابق:

- لوحة إيه دي؟

رد عليه عمر والذى بدا قد حان دوره:

- لوحة إفطار الرجل الأعمى لبيكاسو.

اتسعت حدقتا عين الدكتور مؤنس وبدأ نهم العالم يظهر من عينيه فقال في لهفة:

- جبتها منين دي؟ دي مفيش منها في العالم غير نسخة واحدة.

- جدي الدكتور كامل الاسيوطي كان في آخر أيامه صديق لببيكاسو وأهدى له نسخة أصلية.

نظر مؤنس إلى اللوحة كالجائع الذي وضعت أمامه وليمة طعام شهي، فالتقط اللوحة وتوجه إلى مكتبه بسرعة كبيرة بينما تبعاه عمر وفريدة إلى غرفة المكتب وبمجرد أن فردها أمام أعينهم أخذت عينه تتسع وتدور محدقة في كل مللم في اللوحة متحسسًا إياها متنسما ريحها كأنما ترسل أغلى العطور الفرنسية.

كانت سعادته بالغة أن وقعت في يده لوحة بهذة القيمة ثم قال لعمر:

- انت عرفت منين إن دي هي معنى الطلسم اللي كان على ظهر البنت وإيه حكاية الطلسم، ده أنا لسه مش فاهم حاجة؟

رد عمر في عجلة من أمره:

- دا موضوع يطول شرحه، بس المهم ان الطلسم كان مصفوفة رقمية لاربع مواضع في البيت في كل موضع لقيت كلمة لما جمعتها جنب بعض ادتني جملة. " أحضر إفطار الرجل الأعمى" ودا اسم اللوحة دي اللي لقيتها في مكتب جدي حاطتها قدام مكتبه مباشرة زي ما يكون قاعد يحرسها.

أخذ مؤنس يحك ذقنه وكانما يستغرق في التفكير ويردد الكلمة في نفسه "أحضر إفطار الرجل الأعمى" ترى ماذا تقصد هذه العبارة، وأخذ ثلاثتهم ينظرون إلى الرسمة في تفحُّص وتتبع غريب لكل مللم فيها وقد حاولوا النظر في الخلف أو حتى عن طريق وضعها أمام الضوء، ولكن بدت اللوحة تأبى أن تبوح بأسراراها.

واليأس يخيم بظلاله الكئيبة على عمر وبدت فريدة في رعب بالغ من المستقبل الذي ينتظرهما، فقد باتت تلك اللوحة هي الأمل الأخير للنجاة مما هما فيه.

وبينما هم على ذلك اتسعت عين مؤنس بنظرة كأنما ظهرت في رأسه فكرة قد تجدي نفعًا فقال في سرعة:"بيكاسو كان كتير بيقلد أعمال رسامي عصر النهضة وممكن يكون عمل اللوحة دي على شكل طبقات كما كان معروف عند دافنشي، وعند مايكل أنجلو، ولذلك يجب عرض هذه اللوحة على جهاز تحليل طيفي ولحسن حظكوا أنا لسا شاري كاميرا تحليل طيفي من أمريكا عشان تساعدنى في الأبحاث بتاعتي؛ لأن انتي عارفة يا دكتورة دا المجال بتاعي أساسًا" دخل إلى غرفة نومه مسرعًا وفتح خزينة في غرفة نومه وأخرج منها هذه الكاميرا المطيافية التي تحلل اللوحة إلى أطياف متباينة حتى يتثنى للباحث رؤية الطبقات المختلفة التي رسمت منها اللوحة.

ظهر على وجهيْ عمر وفريدة الأمل من جديد، ودبت في ملامحهما الحياة وقد تطلعا إلى ما قد يزيح الستر ويميط اللثام عن هذه اللوحة الغريبة.

وضع مؤنس اللوحة أمامه وسلَّط عليها ضوء المصباح الأصفر الخارج من الأباجورة حتى بدا قويًّا جدًّا ثم بدأ في عملية تصوير اللوحة بكاميرا التحليل الطيفي.

كانت الكاميرا في غاية الأناقة والجمال، وكانت باهظة الثمن تتجاور العشرة آلاف دولار فهي كاميرا شديدة التقنية والحداثة وتنتج وفق الطلب ولا يحصل عليها سوى المراكز البحثية؛ لذلك وضعها مؤنس في جزينة غرفة نومه.

وبدأ مؤنس في تصوّر اللوحة وفق نظام مُعَد يجب اتباعه في حالة التصوير الطيفي كانت الغرفة كلها قد أغرقت في الظلام إلا من النور المسلط على اللوحة والكاميرا، تجمع الضوء من كل جزء من مليون جزء من الملي في اللوحة وبعد أن استغرقت وقتًا طويلًا في التقاط صور المطياف بدت اللوحة مكوَّنة بالفعل من طبقات تم تحليلها واحدة تلو الأخرى فقام الدكتور مؤنس بطباعة الصور التي التقطتها الكاميرا على طابعة الليزر التي كان قد وصلها بالكاميرا، ولكن كل التحليل الطيفي بدا لنفس اللوحة، ولكن على طبقات من خفة اللون إلى حدتة حتى اكتمل الشكل النهائي للوحة، ولكن بقدر ما كانت النتائج التي وصلوا لها عظيمة جدًّا للدكتور مؤنس ومعينة له في بحثة فقد عثر على كنز ما كان يتثنى له العثور عليه بسهولة لولا أن دفعت الأقدار بهم في طريقه، ولكن هذه النتائج كانت لعمر وفريدة كصفعة نزلت على وجهيهما إذ باتت اللوحة لا فائدة منها ولا قيمة لما تحوي فلا يوجد أي شيء قد يكون وسيلة لحل اللغز الذي هم فيه.

* * *

- 26 -

وفي ظلام الليل الحالك بينما خلت المستشفى التي يعالج فيها أحمد ابن المقدم أيمن من الصدمة العصبية، كانت أمه قد قررت العودة إلى منزلها لتغير ملابسها وتستحم من عناء الوقت السابق وتحضر ثيابًا أخرى وقد أوصت الممرضة أن تبقي أحمد تحت ملاحظتها ورعايتها حتى ترجع من بيتها فهي لن تتأخر.

وبينما انشغلت الممرضة في الحديث عبر الموبايل إلى خطيبها الذي كان يكلمها فيما قد يكون بين خطيبين من كلام الحب والعشق وبيد أن الكلام قد تطرق لأمور حساسة قليلًا فقد باتت الممرضة هائمة في حالة أشبه بالانفصال عن الواقع مما تسمع من خطيبها وهي تضحك حينا وتتنهد حينا ولا يصدر عنها غير جملة "بس بقى بلاش قلة أدب" ثم تسمع في إنصات شديد وفي لمح البصر كان أحمد قد اختفى من سريره، ولما رجعت تنظر إليه لم تجده صرخت وأعملت إنذر الطوارئ في المستشفى فتحرك كل أفراد الأمن في المستشفى من كل مكان وهى تصرح "أحمد فين أحمد فين يا مصيبتي شوفوا الأمن واسالوا الحراسة شوفوا الواد فين دا ابوه ظابط أنا كده رحت في ستين داهية"

قدم كل أفراد الأمن وبدأو في تفحص الكاميرات واحدة تلو الأخرى والتي وجدوا أن عددًا كبيرًا منها معطل بسبب الإهمال وعدم المتابعة والصيانة فقد بدت عدة مناطق من المستشفى خارج نطاق المراقبة بينما كانت حجرة

المراقبة هذه لا تستخدم سوى لتجميع أفراد الأمن لمشاهدة ماتش كورة، إلا أن كاميرا واحدة من كاميرات المراقبة كانت تعمل فحاولوا استرجاع الشريط منذ وقت قليل حتى بدا رجل وضع على وجهة قناعًا أسود ويحمل أحمد على كتفه متوجهًا به إلى طريق خروج نفايات المستشفى وصناديق القمامة.

وهنا بدأ الجميع في التوجه صوب باب تجمع القمامة، ولكن دون جدوى فلم يعثروا على أثر لهذا الرجل أو للطفل.

أيقن الجميع أن كارثة ما ستحل بهم جميعًا وبالمستشفى فقامت إدارة المستشفى باستدعاء المدير العام، بينما كانت نهى قد فرغت من الحمَّام الساخن الذي أنعشت به جسدها وارتدت ثيابها وتوجهت إلى المستشفى لتفاجأ بهول ما رأت فقد وجدت امن المستشفى متجمعًا والممرضة تصرخ، دخلت نهى وقد ظنت أن ثمة خطب جلل قد جرى لولدها فقالت: "إيه اللي حصل أحمد جراله حاجة؟" قالوا: "لا يا فندم أحمد بخير بس احنا مش عارفين هو فين."

تلقت نهى الصدمة كأنما عجز عقلها عن التصديق وتوقفت عن فهم ما يحدث قالت: "انت قلت إيه" رد مدير المستشفى في خجل واضح:"الممرضة اللي كانت قاعدة معاه قامت تدخل الحمَّام رجعت ملقتش أحمد في السرير، ولما راجعنا كاميرات المستشفى لقينا في راجل جه وخده ونزل بيه من طريق باب تجميع القمامة، ولكن الكاميرات مجابتلوش غير صور من ظهره."

اندفعت نهى نحو الحائط بظهرها كانما ستسقط على الأرض ونزلت على ركبتيها وهي تضع يدها على فمها وتصرخ وتبكي وتقول: "ابني ابني هاتولي

ابني، اتصلوا بأيمن هو السبب في اللي أنا فيه دا كله فين أيمن" في صراخ شديد حتى غابت عن الوعي.

وبينما كان المقدم أيمن في مديرية الأمن قد أعلم الرائد أمجد أنه يرغب في الراحة في مكتبه لينام قليلًا، استيقظ مفزوعًا على رنة الهاتف؛ فقد كان مدير المستشفى يخبره أنه يتعين عليه الحضور فورًا إلى المستشفى فهناك أمر خطير لا يمكن البوح به في التليفون.

وضع أيمن الهاتف عن أذنه وقام مسرعًا ليعيد لنفسه هندامه الذي بدا قد تغيَّر بسبب النوم على أريكة مكتبه في المديرية، ثم ارتدى بزته وفتح باب المكتب منطلقًا إلى السيارة التي استقلها متوجهًا إلى المستشفى حتى وصل في وقت قياسي.

استقبله المدير العام للمستشفى الذي قال: "ابنك قد تم اختطافه من قِبَل شخص مجهول وزوجتك في حالة إغماء من ساعة ما سمعت الخبر."

نظر إليه أيمن في ذهولٍ كأنما يأبى أن يصدق ما يسمع، ثم في عنفٍ وصوت عالٍ: "أومال بهايم الأمن اللي عندك بتعمل إيه لما الواد يتخطف ومحدش يحس بيه والممرضات ال.... الموجودين دول لزمتهم إيه، أنا هقفل المستشفى دي وهحطكوا كلكوا في السجن ." اردف بصخب وحنق بالغ " انتوا مستشفى.... وانا هعرف ارجّع ابني ازاي وهعرف بردو ازاي اقفل المخروبة دي، فين نهى عايز اطمن عليها و فين كاميرات المراقبة اللي عندك؟"

أثناء هذا كله كان يحاول مدير المستشفى تهدئة أيمن فهو يقدّر جدًّا ما يسمع الآن، ويعلم ما يشعر به هذا الأب الذي فقد ولده وها هو الآن يخشى أيضًا أن يفقد زوجته التي غابت عن الوعي من هول خبر فقد ولدها رد عليه في محاولة لتهدأته " اهدى شوية يا أيمن بيه، المدام بخير وهي تحت الرعاية

الكاملة، أما الكاميرات فللأسف كانت أغلبها معطّلة لإهمال المسئولين عن الصيانة ودي غلطتنا احنا عارفين وهندفع تمنها، لكن في كاميرا واحدة بس رصدت اللي خطف الولد من ظهره وهو خارج ناحية الباب المخصص لصناديق القمامة."

رد أيمن في حنقٍ بالغ: -

أنا هوديكوا في ستين داهية فين الشريط ده عايز اشوفه.

فأجاب المدير:

- اتفضل يا أيمن بيه من هنا غرفة المراقبة والتحكم .

توجه أيمن إلى غرفة المراقبة وشاهد الفيديو الخاص بالرجل المختطف، ولكنه كان بلا جدوى فالقناع يغطي رأسه ووجهه ولا يبدو منه شيء، هنا اتصل أيمن بامجد وقال في عنفٍ بالغٍ:

- أحمد اتخطف يا أمجد، أنا هبعت لك مواصافاته وصورته تنشرها على كل فرق البحث، الولد لازم نلاقيه بأي تمن يا أمجد.

رد أمجد وقد وضع يده على رأسه:

- متخافش يا أيمن بيه هنلاقيه متقلقش خير إن شاء الله قول يارب بس وهو هيفرج عنك.

قال أيمن في يأس بلغ به منتهاه: "يارب " وأنهى المكالمة.

توجه إلى مدير المستشفى وقال في حنقٍ بالغٍ:

- عايز اشوف مراتي، من فضلك وديني هناك."

دخل أيمن الحجرة على نهى التي كانت نائمة على سرير المستشفى فاقدة الوعي، فطلب منهم أن يتركوهما وحدهما ويغلقوا الباب، وهنا جلس إلى جوار زوجته وأمسك يدها وقال في صوت حنون والدموع بدأت تنزل على وجنتيه: "إصحي يا نهى، إصحي يا حبيبتي. "ثم بصوت متهدج أعياه الحزن: "أنا مليش غيرك اصحى وهرجّعلك ابننا متخافيش ." وهنا انفجرت الدموع من عينيه معلنة عن عصيانها " إصحي يا حبيبتي ابوس إيدك" وقد تناول يدها يقبّلها ووضع رأسه على صدرها حتى بللت دموعه ثيابها، ولكن نهى لم تفق كأنما كانت تستمع إلى نداءاته في عالمها الآخر الذي تسبح فيه، ولكنها تأبى أن ترجع إلى هذا العالم الموحش الذي تفقد فيه كل شيء في تتابع سخيف.

قام عنها وقد أخذ يمسح الدموع التي كست وجهه بكلتا يديه محاوِلًا أن يبدو متماسكًا أمام فريق التطبيب ومدير المستشفى الذي كان قد انتظره خارج الغرفة.

خرج أيمن وعيناه حمراوان كوهج النار مازج لونها غضبه وحزنه وخوفه وحنقه وتوجه بنظرة حادة إلى مدير المستشفى: "هتدفعوا التمن غالي أوي، ولو نهى حصل لها حاجة مش هيكفيني اخد روحك انت شخصيًّا."

خرج من المستشفى متوجهًا إلى المديرية ليلق صديقه أمجد الذي كان يتابع بنفسه سير القضية وأثناء سيره أصدر هاتفه رنة عرفها جيدًا فهي من مدير الأمن شخصيًّا: " شد حيلك يا أيمن، أنا عرفت ان ابنك اتخطف وانا بفكر اعفيك من القضية دي. " بادره أيمن بنبرة استعطاف شديد: "بلاش يا فندم أرجوك، خليني اكمل القضية دي أنا بقى بيني وبينه ثأر وهجيبه يعني هجيبه حتى لو آخر يوم في عمري."

* * *

- 27 -

وقف الدكتور عمر وبجواره الدكتورة فريدة وقد بدا على ملاحهما اليأس وفت الخوف في عضديهما حتى باتا على يقين أن الهلاك هو مصيرهما المحتوم.

توجه عمر إلى الدكتور مؤنس قائلًا:"شكرًا يا دكتور وأسفين ضيعنا وقتك. " فقد كانت اللوحة بلا أي تفاصيل سوى الرسمة الأصلية للوحة "إفطار الرجل الأعمى" لبيكاسو وهنا أيقن عمر أن لا طائل من هذه اللوحة ولا ثمة فائدة ولا يدري ماذا سيفعل ولا إلى أين سيتوجه هو وفريدة الآن فقد تقطعت بهما السبل وصارا إلى الضياع أقرب ربما كان الحل الوحيد الآن أن يسلّما نفسيهما للشرطة علها تنجح فيما فشلا فيه وقد يجعل الله لهما مخرجًا، ولكن الأبواب جميعها الآن باتت موصدة والأقفال عليها صدئة.

رد مؤنس: "أنا اللي متشكر انكم أتحتم لي فرصة اني افحص الرسمة دي، انت متتخيلش عملتلي معروف ازاي ؟ أنا كان نفسي اساعدكم بس فعلًا الرسمة مفيهاش أي حاجة " بدأت تساور عمر الشكوك أن يكون كل الذي يجري وراءه هو أوهام وظنون وربما أساء فهم الخريطة وربما أساء فهم المصفوفة، وربما هناك أمر هو لا يعلمه، وعندما عمد الدكتور مؤنس إلى الرسمة ليلفها ثانية ويرجعها إلى الدكتور عمر، تعجَّب مؤنس جدًّا من ملمس خلفية الورقة وكأنما ملمس ظهر الورقة ليس ملمس الورق العادي بل ملمسه أخشن قليلًا كأنما هذا الظهر هو أيضًا مرسوم، فرفع اللوحة

يتفحص ظهرها لكنه لم ير شيئًا فأخذ يحملق ولا يرى شيئًا، أخذ يتحسس ظهر الورقة والذي بدا أخشن قليلًا، فقال عمر:"انت بتشك في إيه يا دكتور؟" أجاب في شرود قليل: " أنا حاسس إن الظهر ده مرسوم ومطلي باللون الأبيض." فردَّ عمر: "يمكن دي نوعية الورق في زمانهم، دا من أكتر من 100 سنة، أو يمكن لعوامل التراب صار السطح أخشن قليلًا." رد مؤنس في عجلة وثقة" أكيد لا؛ لأن الظهر ليه ريحة زي الوش بالظبط " تدخلت فريدة قائلة " ما يمكن ريحة الوش نفدت للظهر من خلال الورقة انت عارف أن الورق ممكن يشرب السوائل لأنه من الشجر. " رد مؤنس: "بالقطع لا، أنا مستعد اراهنكوا إن الرسمة دي في رسمة تانية على ظهرها وهثبت لكم كلامي" وبدأ مؤنس في وضع اللوحة على ظهرها وسلَّط عليها ضوء الأباجورة الأصفر القوي وبدأ يصورها بكاميرا التحليل الطيفي الخاصة به، بدت علامات الدهشة على وجه عمر، ولكن بدا الأمل على وجه فريدة.

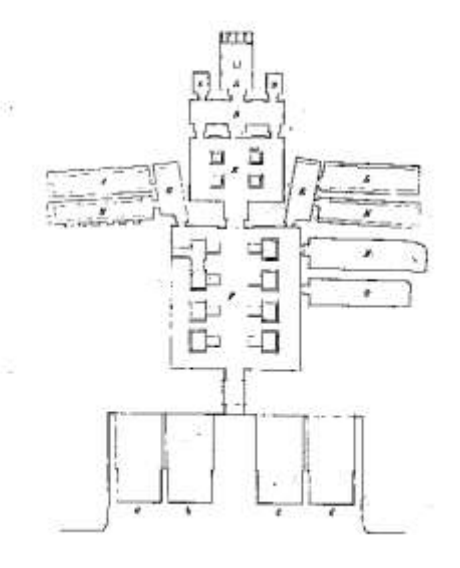
أخذ الدكتور مؤنس في تصوير ظهر لوحة "إفطار الرجل الأعمى لبيكاسو" وهو يتفحصها في شغف بالغ واهتمام منقطع النظير ثم بدأ في طباعة الصور على مطبعة الليزر التي كان قد وصلها بكاميرا التحليل الطيفي.

هذه الكاميرا تستطيع تحليل طبقات اللوحة حتى لو رُسِمتَ من عشرين طبقة، ومع ظروف معملية أكثر دقة يمكن أن تحلل إلى 50 طبقة، ولكن ظهر لوحة بيكاسو كانت قد رُسِمَت من 7 طبقات فقط، 6 منها باللون الأبيض ما عدا الطبقة الأولى فقد كانت خريطة مرسومة بوضوح شديد تبدو فيها معالم كل شيء واضحة والتفاصيل بارزة بوضوح شديد، هنا تهلل وجه عمر في سرور بالغ وشعر أن الهدف بات ممكنًا وأن الله قد فتح لهم

باب أمل جديدًا، ونظر إلى فريدة في فرحة عارمة وأخذ الصورة المطبوعة بطابعة الليزر إلى الطبقة الأولى من طبقات ظهر لوحة بيكاسو "إفطار الرجل الأعمى."

كانت الخريطة المرسومة على النحو التالي:

* * *



فغر عمر فمه هو وفريدة بينما أمسك الدكتور مؤنس بالنظارة النظر التي كان يرتديها وحدقت أعين ثلاثتهم وبدت الآمال تتبدد من جديد، بدت الصورة أمامهم على نحو غريب: رسم عجيب يحوي خريطة لبناء ما أو لمدينة ما فليس الأمر واضحًا، بل ظهرت كما بالشكل السابق، بدت الأمور قد تعقدت أكثر فأكثر؛ فاللوحة ليس فيها أي كلمات غير مجموعة الحروف

الإنجليزية التي بدت تشير إلى مواقع معينة في الخريطة وحتى الخريطة نفسها هي لمكانٍ ما وليس فيها أي علامة مميزة لموقع محدد يمكن أن نجد فيه حلًّا لكل هذه الطلاسم والألغاز التي تحيط بهم فالأمور على نحو من التعقيد لم يسبق لثلاثتهم أن صادفه على طول فترة عمل عمر وفريدة في مجال الآثار والأحاجي والألغاز وفترة عمل مؤنس في مجال الرسوم والفنون، فليس هناك ثمة إشارة إلى المكان أو حتى تنوية عن طبيعة المكان أو هل هو بناء هل هو قصر هل هذه مدينة؟ بدأت الاستفهامات تخرج من عين كل واحدٍ منهم حتى بدا الأمر في غاية الالتباس .

هنا نظرت فريدة إلى عمر وقالت: " تفتكر ده مبنى ولا معبد ولا قصر ولا مدينة ودي بيوت فيها ؟ أنا فعلًا مش عارفة دي إيه ." لكن الدكتور عمر قد غاب عنهما، كأنما رحل في ذكريات عقلة وغياهب جب أفكاره وبدا كانما يطالع في ذهنه ملفات تحوي مادة كتلك التي في مكتبة الإسكندرية.

عمر عالم فذ وباحث حقيقي، كانت تُنقَش علوم الآثار على قلبه لا عقله؛ لذلك كان يستعيد ذكريات المكان مغمضًا عينيه باذلًا ما يمكن بذله أو ما في وسعه ليعرف طبيعة هذا الشكل، إلى أن فتح عينيه متهللًا ونظر إلى فريدة في سعادة بالغة وفرحة عارمة "أنا عارف المكان ده كويس وانتي كمان عارفاه يادكتورة بس انتي التعب اليومين اللي فاتوا أثّر على ذاكرتك، بصي كويس ودققي المكان ده انتي حافظاه كمان مش عارفاه وبس."

نظرت فريدة في لهفة وشغف لاكتشاف ما غاب عنها حتى اتسعت حدقتا عينيها كالتي وجدت ضالتها وأدركت ما تبحث عنه فقالا كلاهما في صوتٍ واحدٍ هذه الخريطة هي...

* * *

- 28 -

وصل أيمن إلى مديرية الأمن وقد بدت عليه علامات الحزن والأسى الشديدين، وكان بصحبته مساعده ورفيقه الرائد أمجد فالآن بدأ يفكر من جديد أيعقل أن يحدث كل هذا في يومين؟ أفقد أعز أصدقائي الدكتور مدحت مقتولًا بطريقة شنعاء والآن أفقد ولدي ولا أعلم هل سألقاه أم لا، وزوجتي ما عادت تطيق النظر إليَّ وبتٌّ مهددًا بالإحالة إلى الاستيداع بل والأكثر أن توجَّه إليَّ تهمة القتل العمد.

كل شيء بدا يضيع من بين يدي ولا حيلة لي في مقاومة هذا كله، الحياة تنتهي وكل شيء كأنه عقد منظوم سجبت إحدى خرزاته لتكر خلفها بقيت الأحداث على هذا النحو المؤسف.

جلس إلى مكتبه في المديرية وأخرج علبة السجائر وبدأ في التدخين بشراهة كأنما يخرج جام غضبه في نفخات الدخان التي تخرج من صدره ثم نظر إلى أمجد الذي جلس أمامه ، ثم قال في غضبٍ مكتوم:

- تفتكر احنا بندوّر صح؟ يعني فعلًا عمر هو اللي قتل البنت وهو اللي بيعمل كل اللي بيحصل؟

رد أمجد بقوله:

- ماعندناش غير الاحتمال ده نمشي وراه، لجنة الآثار اللي بعتنالها الطلاسم ردت إن الطلسم على ظهر البنت ملوش معنى واللي على ظهر الراجل هو نفس الترجمة اللي انت لقيتها في جاكيت فريدة.

ردَّ أيمن هنا بتنهيدة حارقة:

- أهو النص ده مصيبة لوحده، تفتكر احنا قُدَّام شخص مختل أو قاتل متسلسل سفاح يعني ولا واحد مهووس ولا عالم آثار كبير؟ إحنا قُدَّام مين بالظبط؟

نظر أمجد إلى أيمن وقد بدت على وجهه نظرة الحيرة البالغة: " أنا حاسس يا فندم أن الموضوع قرّب يتحل بس مش عارف ازاي، لكن هي الدنيا عودتنا وشغلنا عوّدنا كده، إنها مبتسودش أوي كده غير لما بتبقى قرّبت تنور." رد أيمن في ضحكة باهتة: "أخبار التحريات إيه ؟ عايز كشف بأسماء كل المسجلين خطف تجمعهم عندي في خلال ساعة، وعايز مسح شامل للمنطقة ومراقبة كاملة على كل المطارات والمواني والباصات السياحية والقطارات، عايزك تحزملي العاصمة تمامًا يا أمجد." نظر أمجد إلى المقدم أيمن: "انت تؤمر يا فندم، ساعة واحدة وتلاقي العيال دي ملمومة قدامك".

انطلق أمجد وهو يتحدث في الجهاز إلى المساعدين والمخبرين بسرعة تنفيذ تعليمات المقدم أيمن وجلس أيمن على مقعده يجري اتصالات متلاحقة بكل أعضاء الفريق التابع له من مراقبين أو مخبرين أو أمناء أو مساعدين ويحاول أن يجمع شتات عقله ويفكر في الأمر من جديد وبطريقة مختلفة.

بينما هو على ذلك إذ سمع رنة هاتفه النقال، فقد كانت جدة الأولاد تطمئن على صحتهم ولم تكن تعلم أن ابنتها الآن في المستشفى في حالة إغماء كامل،

ولا حتى تعرف أن حفيدها قد خُطِفَ ولا يُعرَف إلى الآن مكانه ولا تعرف شيئًا عن هذا كله فالأحاداث أسرع من أن تُقَص لأحد.

كانت الجدة تخبره أن ابنته بدأت تسأم من الجلوس عندها وتريد الذهاب لترى أخيها وأمها، ولكنه قال في تعجُّل محاولًا منعها أن تفعل ذلك:" لا خالص هم كويسين جدًّا، بلاش حضرتك تتعبي نفسك، وسكّتي ندى بأي شكل أو بأي طريقة وفهميها أن بابا وماما جايين إن شاء الله ومعاهم أحمد عشان ياخدوها في أسرع وقت ." بدت الجدة متشككة أن ثمة خطب ما لكنها أقنعت نفسها بصدق حديث أيمن وأغلقت الهاتف وهي تدعو لهم.

وضع أيمن الهاتف وبدأ يفكر بعمق أكثر ويحاول أن يرسم كل التفاصيل أمامه ليجد حلًّا لهذا الذي يحيط به ولخطوته المقبلة.

أمسك هاتفه واتصل بالمستشفى ليطمئن على زوجته، ولكنهم أخبروه أنها لازالت في حالة الإغماء وستحتاج بعض الوقت لتفيق من هذه الإغماءة لكنها تحت الرعاية.

وزع أيمن المواصفات التي كان قد أخذها من شريط فيديو المستشفى لخاطف ولده على كل النشرات الدورية والشرطية، وبدأ في حالة انتظار لما قد تسفر عنه الأحداث في الساعات القليلة القادمة.

* * *

- 29 -

"مدينة هابو" "معبد رمسيس الثالث"، كانت هذه هي الكلمة التي قالها عمر وفريدة في وقتٍ واحد أمام الدكتور مؤنس والذي بدا متعجبًا أنهما استطاعا أن يصلا إلى هذا المكان بهذه السرعة والذكاء الشديدين وقد بات معلومًا أمام الجميع أن هدفهم في مدينة الأقصر على بُعد ما يقرب من 670 كيلو متر من العاصمة القاهرة .

تعجَّب مؤنس أنهما أجزما بما لا يدع مجالًا للشك أن هذا هو معبد رمسيس الثالث، فقال مستغربًا:

- طيب عرفتوا منين؟

قال عمر في سرعة وبداهة:

- دي حاجة سهلة علينا جدًّا يا دكتور، احنا خبراء في الآثار وشكل معبد رمسيس الثالث مميز جدًّا بس على فكرة الصورة دي مش شكل المعبد دلوقتي، إنما هي شكله من أواسط القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين قبل ما تشتغل فيه العديد من حملات الترميم وإعادة الإنشاء، ولكن طبعًا أنا لأني من المهتمين بالآثار المصرية كان سهل عليا جدًّا وعلى دكتورة فريدة معرفة المكان بسهولة حتى لو اتغيرت ملامحة شوية ." ردَّ مؤنس في تساؤل آخر:"طيب معناها إيه الحروف دي؟ وانتوا هتروحوا

هناك تدوروا على إيه بالظبط؟ مفيش أي علامة لبقعة مميزة ولا أي تفاصيل تفهمكوا اللي بيحصل.

عقبت فريدة كأنما وافقت الدكتور مؤنس قائلة:

- على فكرة يا عمر المعبد ده 320 متر طول من الشرق للغرب في 200 متر عرض من الشمال للجنوب يعنى احنا هندور في مساحة 64000 متر مربع ودي مساحة واسعة جدًّا.

رد عمر في حيرة:

- أنا عارف كل ده ومقدّر كلامكوا كويس بس هل احنا عندنا حل تاني غير إننا نروح هناك ونشوف يمكن نلاقي أي حاجة تدلنا على اللي بيحصل أو نشوف حاجة تفهمنا اللي بيجرى، وأردف قائلًا: وانا حاسس اننا بنضيع الوقت كده ولازم ننزل جري نلحق أول قطر." ردت فريدة: "عمر احنا بقالنا وقت طويل منمناش. ردَّ عمر في سرعة متوجهًا صوب الباب: هنّام في القطر.

وأخذ معه لوحة بيكاسو ومعها التحليل الطيفي للطبقة الأولى من ظهر اللوحة والتي تحوى الخريطة التي تشير الى" معبد رمسيس الثالث ومدينة هابو"، ولكنه شدد على دكتور مؤنس ألا يخبر أحدًا بما جرى عنده حفاظًا عليه هو شخصيًّا من أن يُتّهم بالتستر على مجرمين وهما بالمثل لو وقعا في يد الشرطة لن يخبرا أحدًا أنهما جاءا إلى زيارة الدكتور مؤنس.

ودّعهما الدكتور مؤنس وداعًا حارًا فقد كان يتمنى ألا تتركه فريدة، ولكنه بات يعلم أنها ليست له فأغلق خلفهما الباب وتنهد في أسى بالغ وتوجه

مسرعًا إلى اللوحات التي حصل عليها فقد حصل على كنز قلّما يجود الزمان عليه بمثله.

استقل عمر وفريدة الأسانسير ونزلا إلى باب العمارة التي غادراها دون الالتفات إلى أي شيء حولهما واستقلا تاكسي وركباه متوجهين إلى محطة مصر.

فى الطريق أخذ عمر يفكر في كل ما يحدث وهل لهذه الخريطة معنى يمكن أن يكتشف هناك؟ ولكن السؤال الأهم: من الذي رسم هذه الخريطة، وكيف له أن يصل إلى معلومات عن قصر جدي؟ وكيف له أن يدخل إلى اللوحة التي اشتراها جدي لبيكاسو بل ورسمها له خصيصًا فينقش على ظهرها هذه الرسوم، لابد أن الذي رسم هذه الخريطة هو "الدكتور كامل الأسيوطي"، ولكن لو كان الأمر كذلك ماذا كان يقصد جدي من هذا وإلى ما تهدف هذه الخريطة؟ ولِمَ لَم يخبر عنها جدي أو أبي لماذا بقيت طي الكتمان؟ ثم مَن الذي عثر عليها ويفعل بنا كل هذا؟ رأسي تكاد تنفجر من التفكير، وهل ثمة رجل قد حصل على الخريطة و تعمَّد أن يفعل هذا ليستدرجني أنا إلى خضم هذه القضية؟ ترى ماذا يظن أني أستطيع أن أفعل فيما عجز هو عن فعله؟ وسيظل السؤال: ما الذي يمكن أن تشير إليه هذه الخريطة ليُقتَل من أجلها اثنان إلى الآن، والله أعلم ما الذي جرى أو سيجري.

أشعر أني في أحجية كبيرة جدًّا وألغاز كلما انحلت عقدة منها ازدادت التالية تعقيدًا، ولكن أشعر أني أسير على طريق صحيح، ولكن ترى هل لهذا الأمر من نهاية ؟هل يجمع الله بيني وبين هذه الإنسانة التي أحببتها وخالطت قلبي وعقلي وروحي؟

لم أشعر في حياتي قَط بالرغبة في الاقتران بامرأة مثل رغبتي بفريدة التي بدت طاغية على كل نساء الدنيا ذكاء وجمالًا وعِلما وخُلقًا ومع كل هذا أنوثة طاغية وعقل راجح وعلم غزير.

عاد عمر إلى الواقع على صوت فريدة وهي تقول: "احنا وصلنا يا عمر يالا ننزل."

نزل عمر، ولكنه لاحظ وجود فِرَق مراقبة على أبواب محطة مصر، ولكن بات من الصعوبة بمكان أن تحكم مراقبة على مثل هذه المنطقة إذ هي منطقة رمسيس وهي منطقة مكتظة بالزحام الشديد، فعدد من يدخلون منطقة رمسيس يوميا يتجاوز ال2 مليون شخص.

فكانت محطة مصر في حالة زحام شديد، نعم رجال الشرطة يبذلون ما هو ممكن للمراقبة، ولكن الأمر كان عسيرًا فدخل عمر وفريدة بين جموع الناس ومرًّا وقد حاولا التخفي بين الناس ونجحا في ذلك ومرًّا بين رجال المراقبة ودخلا إلى ساحة المحطة، فقام عمر بحجز كبينة في قطار الليل المتوجة إلى الأقصر.

كانت المحطة تعج بالقطارات ما بين المقلِعة والقادمة وبها كثير من الباعة الجائلين وعدد غفير من الناس التي تستخدم السكك الحديدية كوسيلة للنقل.

وبالفعل توجها إلى رصيف القطار المقلع إلى الأقصر والذي كان قد أوشك على الإقلاع، وبينما هما يستقلان القطار والذي بدأ في التحرك أخيرًا، رمقهما أحد رجال المراقبة والذي نادى بدوره على بقية رجال الشرطة وتوجهوا إليهما بسرعة كبيرة، ولكن القطار كان قد تحرك متوجهًا إلى الأقصر وجاءت الإشارة إلى أيمن الجالس في مكتبه في مديرية الأمن أنَّ

المتهمين لوحظا يركبان قطارًا متجهًا إلى مدينة الأقصر، فقال في نبرة حادة "كدا احنا عرفنا همّا رايحين على فين" تناول هاتفه واتصل بالرائد أمجد يعلمه بوجهة عمر وفريدة، ثم أردف قائلًا: "احجزلي على أول طيارة طالعة الأقصر فورًا." وبالفعل خرج أيمن مسرعًا من المديرية مستقلًا سيارته وتوجه إلى طريق مطار القاهرة قاطعًا أفواج السيارات بخفة عالية حتى اتصل به أمجد على هاتفه يخبره أن أقرب رحلة ستقلع بعد ساعة فيجب أن يصل إلى المطار في أسرع وقت ممكن، وبالفعل كان يسير بسيارته في موج من السيارات المتراصة في زحام القاهرة المعهود الذي لا يفتأ يسكن ليلًا أو نهارًا.



- 30 -

دخل عمر وهو ممسك يد فريدة وكان تلامس يديهما يحوي له ولها معاني كبيرة فقد كان يشعر ويدها في يده بالاطمئنان والراحة والسكينة وأنها بجواره كان يشعر وهو ممسك بيمينه يسراها أن الدم الخارج من قلبها يمد شرايينه هو الآخر بالدماء، كان يشعر كأن قلبها ينبض لكليهما فقد كانت يد الدكتور فريدة غضة طرية لها ملمس حريري ونعومة غريبة، كان كلما ضغط على يدها بقصدٍ أو بغير قصد شعر بكهرباء تسري في بدنه.

أما هي، فقد كانت تشعر وهي تلامس يده اليمنى أنه القوة التي تحميها وأنه العطف الذي يغمرها، كانت تشعر بملمس يده الخشن وأصابعها تداعب الشعر وقد كسا الشعر ظهر يده، شعرت أنها تمسك يد أسد سخَّر نفسه لحمايتها والزود عنها ولو بذل في ذلك دمه وروحه، ولم يكن الأمان فقط هو ما تشعر به فريدة من ملامستها يد عمر بقدر ما كانت تشعر بتدفق أنهار الحب التي تنبع من قلبه متوجهة إلى شرايينها هي الأخرى فلم يكن التقاء الأصابع إلا عهدًا أبديًا بين جسدين ألا يفترقا حتى تفارقهما الحياة، كانت ميثاقا بينهما تمنى كل منهما أن لو لا يترك يد الآخر أبدًا، ولكن هذه اللحظات سرعان ما انقضت لما فتحا باب الكبينة ودخلا إليها، وهنا جلس الدكتور عمر على المقعد، وجلست الدكتور فريدة على المقعد المقابل وبدأ يدور بينهما حديث عن هذه اللوحة وهذه الخريطة في حين تحرك فمها بالحديث الجاد كانت تتحدث روحاهما بحديث الحب والعشق، ولكن أنى

لهما ذلك في مثل تلك الظروف العصيبة التي تعصف بهما، قالت فريدة:"أعتقد يا عمر إن اللي كتب الطلسم ده هو جدك الدكتور كامل." رد عمر في توقع لمثل هذا الكلام:

- أنا بردو وصلت لنفس النتيجة، ولكن ليه بتقولي كده؟

- إنت شايف كل حاجة حواليك بتقول كده مين ممكن يرسم خريطة تشاور على مكان في قصر جدك ويدخل جوة القصر ويخلي معنى المصفوفة الرقمية يبقى بيشاور على لوحة رسمها بيكاسو لجدك هدية ثم يظهر إن في حد رسم على ظهر اللوحة دي خريطة ورسم فوقها 6 طبقات من اللون الأبيض، تفتكر دا كله بيقول حاجة غير إن الدكتور كامل هو اللي رسم الخريطة؟" رد عمر في تصديق كامل على كلامها:

- دا كله قلته لنفسي بس السؤال رسمها ليه وبيشاور بيها على إيه؟ وازاي وقعت الطلاسم دي في إيد الشخص اللي بيقتل الناس وبيدبح فيهم وهدفه إيه من كل ده؟" ردت فريدة في سكينة عجيبة، وقالت: "أعتقد لما نروح المعبد كل حاجة هتتكشف لنا ." رد عمر مستنكرًا بعض الشيء لهذا الكلام: "ازاي إذا كانت الخريطة مفيهاش أي إشارة لأي موقع، ومساحة المعبد مهولة، والوقت بيداهمنا، هندوّر على إبرة في كوم قش؟" ردت فريدة بسؤال بدا بديهيًّا:

- ما هو المكون الرئيسي لهذه الخريطة ؟

ردَّ عمر متحيرًا:

- تقصدي إيه؟

قالت في هدوء:

- يعني لوحة الخريطة دي عليها إيه غير خطوط للمبنى وحروف باللغة الإنجليزية تمثّل مقاطع محددة صح؟

- صح...

- إذًا لازم يكون في حاجة هتعرفنا هدفنا موجود في أنهي قطاع حرفي بالظبط، وساعتها هيبقى انحسر البحث في مكان ضيق جدًّا ممكن ساعتها نلاقي اللي بندور عليه.

قال عمر في نبرة أمل:

- ياريت يكون كلامك صح، بس السؤال إيه الحاجة اللي ممكن تشاور لنا على المقطع اللي فيه الحاجة المستخبية؟ ممكن نحاول نبص في الخريطة تاني ونشوف يمكن نلاقي سهم مستخبي أو أي حاجة تسهّل علينا كل البحث ده. بينما هما على ذلك سمعا قرعًا لباب الكبينة كان مراقب القطار قد حضر لمراجعة التذاكر والتأكد منها كما هو متعارف عليه في القطارات المصرية، ولما أظهرا له التذاكر وضع عليها علامة وانصرف فتناولها منه عمر ووضعها في جيبه.

نظر عمر إلى فريدة وقد حاول صرف نظره عنها إلى جهة الشباك المطل على الطريق بينما تلعثمت شفتاه بتمتمة بدت كلمات ود أن يتفوه بها، ولكنه راجع نفسه فقالت فريدة وقد رمقته بنظرة ساحرة وقد زاغت بعينها جهة الشباك المجاور لها بينما بسمة رقيقة كانت قد ارتسمت على وجهها:

- كنت عايز تقول إيه وسكتّ في آخر لحظة؟

رد عمر وقد وجَّه نظره إليها وارتسمت على وجهه ابتسامة جميلة:

- انتي أخدتي بالك؟

قالت في رقة:

- طبعًا أومال انت مفكر ايه؟

رد عمر وقد احتجزت بداخله كلمات كثيرة ليس لعدم رغبته بالبوح بها، ولكن وضع مشاعره في قالب كلامي سيفقدها كثيرًا من معناها، إنها اللحظة التي تشعر فيها بعجز اللغة مهما كانت تلك اللغة عن أن تعبِّر عما بداخلك عندما يكون ما بداخلك شعورًا لا يوصف ولا يمكن لكلمات أن تعبِّر عنه ومهما صيغت الألفاظ ستظل عاجزة عن البوح بمكنون صدرك.

كثيرًا ما تكون اللغة بين المحبين هي الصمت فقد تعبّر الأعين عما تعجز عنه الألسن، بينما تبقى الروح هي المعبّر الأعظم عن كل مكنوناتها، ولكن لا تبوح إلا إلى روح مثلها تزاوجتها في عالم الغيب ليكون منها الألفة في عالم الشهادة.

قالت فريدة في خجلٍ مقرون بلهفة:

- طيب أنا هسهّل عليك الطريق، أنا عمري ما حبيت حد بالشكل ده، حتى جوزي القديم كنت بحبه جدًّا وبحترمه جدًّا، لكن معاك انت حسيت بحاجة مختلفة، حسيت ان مشاعري هي اللي بتحركني زي ما اكون بنت في الثانوى رايحة تقابل حبيبها، معاك يا عمر بحس اني مش الدكتورة فريدة عالمة الآثار، بحس اني فريدة البنت اللي بضفاير اللي ملهوفة على حبيبها وخايفة عليه.

كان عمر يسمع تلك الكلمات التي تقع على مسمعه فيطرب لها وجدانه ويشعر كأنما قد عثر على المقطوعة الضائعة لبيتهوفن تداعب مسامعه، همست فريدة مكملة العزف على أوتار قلبه:

- أنا نفسي اللي احنا فيه دا ينتهي عشان يجمعنا بيت واحد." بينما كانت تتكلم قام عمر وقد جثا على ركبتيه أمام مقعدها وأمسك بيديها التي طالما نعم بملامستها أوقات المطاردة وضمها بين يديه كحمامة بيضاء نزلت بين كفيه وانحنى يقبِّلها وقد نظر في عينيها اللتين تنضحان حُبًّا وخوفًا في وقت واحد مما قد يلاقياه، نظر عمر في عينيها وقال

:- أنا بحبك يا فريدة، ومش ممكن حاجة في الكون تفرّقني عنك حتى الموت عشان أنا لو متّ روحي هتهيم حواليكى تحميكي من كل شر، خليكى جنبي أنا محتاجك جدًّا في الفترة دي، أنا عارف اني ورطتك معايا في القصة دي كلها بس والله على أد ما اللي بيحصل ده مخوّفني على أد ما انا مبسوط انه قرّبني منك وخلّاني اكتشف أد إيه كنت بحبك ومش عارف.

ردت فريدة بتنهيدة وقد اقتربت من وجهه أكثر فأكثر:

- انت عمرك شفت اتنين بيحبوا بعض ومش عارفين؟

ابتسم عمر ابتسامة صافية فاقتربت منه حتى اختلطت أنفاسهما فأمسك برأسها بين يديه ثم قبل جبينها بلثمة حنونة عبرَّت عن كل ما يجيش بصدره، ثم قام إلى مقعده وهو يخرج زفيرًا متنهدًا كأنما هناك مرجل يحترق داخل صدره العاشق.

* * *

- 31 -

انطلق أيمن إلى المطار وقد وصل في سرعة كبيرة حتى وصل إلى قاعة كبار الزوار، أعلم أمن المطار أنه يتحرك في مهمة وأنه يجب أن يستقل الطائرة المتجهة فورًا إلى الأقصر.

بالفعل صعد إلى الطائرة وكان بمقدوره أن يعطي أوامر إلى إدارة السكة الحديد أن توقف القطار في المحطة المقبلة لكنه أراد أن يتركهما ويراقبهما ليعلم هدفهما وبغيتهما، فقد يوصلاه إلى كل أطراف هذه القضية دفعة واحدة، ولذلك قرر أن يلاحقهما بنفسه ليكون عن كثب من كل ما يقع.

حلقت الطائرة في السماء متجهة إلى مطار الأقصر، وكانت مديرية أمن القاهرة قد أرسلت للتنسيق مع مباحث الأقصر حتى تكون في استقبال الضابط أيمن الذي يجلس الآن في الطائرة يفكر في ولده الذي لا يعلم مصيره وفي زوجته التي تركها في المستشفى لا يدري ما الذي جرى لها، بات المستقبل باهتًا والواقع مريرًا ولا يرى خلفه من الماضي سوى حياة ممزقة.

في غضون ساعة ونصف الساعة مرت عليه كثقل الجبال لكن الذي هونها قليلًا أنه غفى وأخذته سنة فقد معها الوعي تمامًا لوقتٍ قليل ثم أفاق على أزيز أفكار اجتاحت عقله ومخاوف ألمَّت به.

وصل إلى مطار الأقصر وهناك استقبله أحد ضباط مباحث الأقصر يدعى الضابط دياب، كان في رتبة رائد، وكان رجلًا عنيفًا لأبعد حد لا تعرف

الرحمة قلبه بل كان كمن صيغ قلبه من قطعة من الجرانيت وقد كان شديد الذكاء متقد الذهن.

استقبل دياب المقدم أيمن بترحابٍ شديدٍ وحفاوة بالغة وتقدير واضح، بينما سأله أيمن سؤالًا واضحًا:

- القطر اللي جاي من مصر وصل ولا لسه؟

رد في ذهن حاضر:

- لا يا فندم قدامه ساعتين على ما يوصل.

أجاب أيمن في حماس شديد:

- معندناش وقت لازم نكون في المحطة هنراقب المشتبه فيهم الدكتور عمر والدكتورة فريدة انت عندك خلفية عن القضية؟

رد دياب:

- أيوة يا فندم معالي مدير الأمن كلمني بنفسه وتواصلت مع أمجد في المديرية عندكوا دا دفعتى يا فندم وعرفت منه تفاصيل القضية وانا هنا تحت أمرك.

رد أيمن وقد هز رأسه قائلًا:

- طيب احنا مش عايزين نقبض عليهم في المحطة، أنا عايز اعرف همّا جايين هنا ليه ويفضلوا تحت عنينا، وفي الوقت المناسب هنقبض عليهم" هزَّ دياب رأسه معبرًا عن تلقي التعليمات والتي سيجرى تنفيذها فورًا.

توجه أيمن إلى محطة قطار الأقصر وقد تمركز في مكان يصعب ملاحظته فيه حتى يتمكن من مراقبة عمر وفريدة حال وصولهما فتوجه دياب إلى أيمن قائلًا:

- إنت كلت حاجة ياباشا من امبارح؟ همّا لسه فاضل على ما يوصلوا ساعة تقريبًا.

ردَّ أيمن في إجهاد بالغ:

- لا مكلتش أي حاجة ومش عايز أكل، مين ليه نفس ياكل دلوقتي؟

- ياباشا مفيهاش حاجة، سندوتش بس تصلب طولك.. وقد مدَّ يده إلى أيمن بساندوتش والذي بدوره أخذه بابتسامة هادئة:

- طيب مش هكسفك.

في ذات الوقت كان عمر وفريدة يحاولان أن يصلا إلى فكرة تعينهما على فك رموز هذه الخريطة التي لا تبدو فيها أي تفاصيل تعين على معرفة النقطة التي يرغبان في الوصول إليها، ومع طول الرحلة من القاهرة إلى الأقصر كان كل من عمر وفريدة قد اختلس ساعة من النوم في القطار استعدادًا ليومٍ جديدٍ لا يعلم كيف سيسير إلا الله، ولكن هذه اللحظات التي أراحا فيها عقلهما كانت لها الأثر البالغ في إعادة تجديد خلايا المخ، وباتت الأمور في ذهنهما أوضح من ذي قبل، وبدأ عمر في منامه يعيد ترتيب الأوراق على نحو قد يغيِّر كثيرًا حالما يصلا إلى المعبد "معبد رمسيس الثالث" بينما كانت فريدة تفكر في الأمر حتى في نومها وقد طبعت الخريطة في ذهنهما فأصبحا يرياها في مناهما وهما يتأملاها بالعقل الباطن الذي سيعمل مع العقل

الواعي جنبًا لجنب للوصول إلى فك رموز هذه الخريطة والتي بدورها ستحل لهما الإشكال الذي وقعا فيه.

ومع اقتراب وصول القطار، كان عمر قد استيقظ وأيقظ فريدة لتستعد قبل أن يدخل القطار إلى محطة الأقصر، وقد حاول عمر أن يراقب المحطة من خلف شباك المقصورة التي قضيا فيها تلك الساعات ويحاول أن يبصر ما الذي يجري خارجها.

بدت المحطة طبيعية جدًّا ليس فيها حركة مريبة أو شيء يلفت الانتباه، السائحون هنا وهناك، وكذا أهل الأقصر بطبيعتهم اللينة الطيبة رجالًا ونساءً، الباعة الجائلون هنا وهناك والكل يسعى وراء لقمة العيش في يوم بدا عاديًّا جدًّا، وهنا اطمأن عمر إلى أن المحطة خالية فطلب من فريدة أن تتجهز للخروج من المقصورة ثم إلى باب القطار.

وقد توجها إلى باب المحطة في سرعة غير ملفتة، وكان في انتظارهما أيمن الذي كان قد تجهز فور علمه بوصول القطار إلى المحطة، وبالفعل مر عمر وفريدة وهما تحت أعين المقدم أيمن والرائد دياب، ولكن لم يشعرا بشيء على الإطلاق واستقلا تاكسي أمراه بالتوجه صوب معبد رمسيس الثالث ومدينة هابو.

كان أيمن قد استقل السيارة التي كان يقودها الرائد دياب وتوجها خلفهما بغير أن يشعراهما أنَّ أحدًا يتعقبهما، لكن العجيب أن أيمن يصر أن يتعقبهما هو ودياب بمفرديهما بدون تدخل من باقي القوات الشرطية القابعة في قسم الشرطة، فقد سأله دياب "نبلغ القوات تتحرك ياباشا وتحاصر المحطة؟" أجاب أيمن بأنه لا يريد أن يشعرهما بأنهما مراقبين وكذا يريد أن يتركهما يصلان إلى بغيتهما فقد يساعده هذا كثيرًا على فك

ألغاز هذه القضية، فلربما شعرا بالقوات الشرطية وهربا أو غيَّرا وجهتهما مما يعسر على أيمن معرفة ما وصلا إليه من معلومات عن القضية، وقد كان هذا الأمر شديد الغرابة بالنسبة إلى دياب الذي كان يرى من الطبيعي أن تكون معهم باقي القوات في لحظات كهذه، ولكنه أطاع الأوامر ورأى أنه هو وأيمن قادرون على القبض عليهما بسهولة.



- 32 -

كان عمر يحمل في يده لوحة بيكاسو، ويحمل التحليل الطيفي لطبقات خلفية اللوحة والتي تحوي خريطة المعبد والتي على أثرها سيصلان إلى هدفهما، وبينما هما يسيران في شوارع الأقصر الجميلة، تلك المدينة التي تعبق بالجمال والتاريخ، تلك المدينة التي تحمل من الزمان ما يفوق الخمسة آلاف عام شهدت من صروف الدهر ما لم يشهده غيرها؛ فهي تحوى تاريخ سطره أجداد عظام قلّما أن يجود الزمان بأمثالهم.

الشوارع كانت نظيفة جدًّا والناس تبدو على وجوههم الطيبة والنبل والكرم كذا رائحة المكان تعبق بتاريخ سحيق، فمدينة الأقصر تلقَّب بمدينة المائة باب أو مدينة الشمس، عُرِفَت قديمًا باسم طيبة وهي عاصمة مصر في العصر الفرعوني، وهي تقع على ضفتي النيل العظيم بحيث يقسمها إلى جزئين البَر الشرقي والبَر الغربي، تبعد عن القاهرة ب 670 كيلو وبها معابد لا يعرف التاريخ لها نظيرًا، بها معبد الأقصر والكرنك وطريق الكباش الذي يربط بينهما، فضلا عن البَر الغربي الذي يحوي وادي الملوك ووادي الملكات ومعبد الدير البحري ومعبد الرامسيوم وتمثالًا ممنونًا وقد بنيت قبل 5000 آلاف عام من الآن تحديدًا حينما شرع ملوك الأسرة الرابعة في بناء طيبة عام 2575 ق.م ووصلت طيبة إلى أوج مجدها في عصر الأسرة الحادية عشر على يد الفرعون منتوحتب الأول والذي استطاع توحيد البلاد من الفوضى التي كانت قد دبت فيها وجعلها عاصمة مصر حتى نهاية حكم الفراعنة في الأسرة الحادية والثلاثين على يد الفُرس، يرجع السر في تسميتها طيبة إلى

الرومان وإلا فهي في زمان حكم الفراعنة الأقدمين كان اسمها "وايست" وقد ذكرها هوميروس في الياذتة الخالدة ونعتها فيها بأسماء عدة منها "مدينة الشمس " ومدينة الصولجان ومدينة النور حتى جاء الفتح العربي الإسلامي على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه وسمَّاها بمدينة الأقصر وهو جمع الجمع لكلمة قصر وذلك لكثرة القصور فيها ومن ذلك الحين سميت مدينة الأقصر.

وعلى الرغم من أن الدكتور عمر يحفظ تقريبًا تاريخ كل شِبر في هذا المكان إلا أن عظمته وروعته طغت على فكره فجعلته ينبهر به كأنما يطالعه للمرة الأولى إن التاريخ وإن مضى زمنه بقي أثره .

وصل عمر وفريدة إلى "معبد رمسيس الثالث " ومدينة هابو، فهذا المعبد كان قد أقامه رمسيس الثالث لإيواء السفن المقدسة ويعتبر هذا المعبد نموذجًا للمعبد المصري الكامل؛ فهو يبدأ بصرح عظيم يزينه تمثالان للملك من الخارج، ويليه من الداخل الفناء المكشوف الذي تحده البوائك شرقًا وغربًا

ويبدو الملك على الأعمدة في هيئة أوزوريس، والجدران مزخرفة بالنقوش التي تمثل الملك في أوضاع مختلفة أمام الإله آمون، ثم يلي ذلك دهليز به صفان من الأعمدة الأول منها يتكون من أعمدة تلتصق بها تماثيل أوزيرية على نمط تماثيل الفناء، والصف الثاني يتكون من أربعة أعمدة على هيئة نبات البردي.. ويقودنا هذا الدهليز إلى بهو الأعمدة الذي يؤدي بدوره إلى المقاصير الثلاث الخاصة بإيواء السفن المقدسة لثالوث طيبة، وإلى جوارها يوجد عدد من الغرف كانت تستعمل للعبادة.

فهذا المعبد الجنائزي أو معبد مدينة هابو،يعد من أعظم معابد الأسرة العشرين، شيَّده الملك رمسيس الثالث لإقامة الطقوس الجنائزية له

ولعبادة المعبود آمون. يعتبر هذا المعبد أفخم المعابد أثاثًا و نقشًا، وكان تمثال (آمون) به مزيّنًا بالأحجار الكريمة، على جدران المعبد نجد نقوشًا قيّمة، منظرًا يصوّر الانتصار البحري على قبائل شعوب البحر (الشردانا)، ومناظر أخرى تمثّل الحملة البحريّة على الليبيين كما نرى بعض المعبودات حاملة القرابين من الضياع الملكيّة تحضّرها للمعبود آمون في المعبد، وأشرف على بناء المعبد "أمون مس" أمين خزانة معبد آمون ويرجح البعض أن كلمة "هابو" تشير إلى أمنحتب ابن حابو، وزير أمنحتب الثالث، كما أن هناك اعتقاد أن هذه التسمية ترجع إلى الكاهن المسيحي، الذي كان يقيم في هذه البقعة بعد ذلك. وتبلغ مساحته ما يقرب من 320 مترًا طولًا من الشرق إلى الغرب، و200 مترًا عرضًا من الشمال إلى الجنوب، وهو يعتبر المعبد الوحيد المحصَّن، ومن أغلب الظن أنه شُيِّدَ على مرحلتين، فالمرحلة الأولى تشمل بناء المعبد وملحقاته داخل سور مستطيل. والمرحلة الثانية بدأت أغلب الظن في النصف الثاني من حكم الملك رمسيس الثالث، وفي هذه الفترة تم تشييد السور الخارجي ببوابتيه الكبيرتين المحصنتين في كل من الشرق والغرب وقد شيد بين السورين في الشمال والجنوب منازل الكهنة والقائمين على المعبد.

تم تخطيط معبد مدينة هابو بشكل منظَّم فللمعبد سوران، سور داخلي والآخر خارجي، ويوجد خارج سور المعبد المرسى الخاص بالسفن، وعند الدخول إلى المعبد من مدخلة بالجهة الجنوبية الشرقية تجد بوابة كان يجاورها من الجانبين حجرتان للحراسة لنصل إلى مايطلق عليه بوابة رمسيس الثالث العالية وهو بناء فريد من نوعه في مصر، وقد أمر رمسيس الثالث بتشييده على نمط القلاع السورية

* * *

- 33 -

دخل عمر وفريدة وهما ينظران إلى هذا البهو العملاق ويحاولان أن يتفقدا الخريطة التي كانت في أيديهما باذلين كل ما في وسعهما لتفسير هذه الخريطة، فالخريطة أمامهما تصف المكان في أواخر القرن التاسع عشر، وكان حينها مقسّمًا إلى مقاطع بأحرف اللغة الإنجليزية، أما الآن فالوضع قد تغيَّر وطرأ على المكان الكثير من عمليات الترميم والتجديد، وبعد مجهود عسير استطاع عمر تقريبًا أن يوقع الخريطة على البناء الحالي فيعرف ماهية كل مقطع من الخريطة في أرض الواقع.

وبمساعدة فريدة التي لم تتوانَ للحظة واحدة في مدّ يد العون له وبذل كل ما تعرف من معلومات حتى تجعل الخريطة تعبِّر عن واقع المعبد الآن، ولكن بقي الأمر الأكثر حيرة أمام أعينهما هو أن مساحة المعبد ضخمة جدًّا والخريطة ليس فيها أي تفاصيل أو علامات توضّح مكان الشيء الذي رُسِمَت الخريطة لتشير إليه.

حاول عمر بكل الطرق أن يجمع الحروف التي على الخريطة لتعطيه معنى أو كلمة أو تفصيلة لكنه عجز تمامًا عن الوصول إلى أي هدف، وبينما هما على ذلك كان يقف المقدِّم أيمن والرائد دياب عن كثب يراقبان ما سيفعله عمر وفريدة ليصلا إلى بغيتهما، وقد بقي دياب على أهبة الاستعداد في انتظار إشارة أيمن للانقضاض عليهما والقبض عليهما مباشرة.

لم يتوانَ عمر في محاولة فك هذه الخريطة التي لا تبدو أسهل أبدًا من الطلاسم التي صيغت منها، والأهم أنهما لا يعرفان عما يبحثان هل يبحثان عن رسمة أو علامة أم خريطة جديدة لمكان آخر أم ماذا؟؟؟؟؟

أجفل عمر للحظات يحاول أن يستجمع عقله ويربط الأحداث، وفجأة نظر إلى فريدة وقال:

- السر لفك لغز الخريطة دي هو المصفوفة الرقمية، واضح انها مش بس اتعلمت عشان تشاور على مكان خريطة المعبد، لأ وكمان عشان تشاور على المكان المطلوب جوة المعبد.

تعجبت فريدة ورمقته بنظرة خالطها الإعجاب بالاستغراب وقالت:

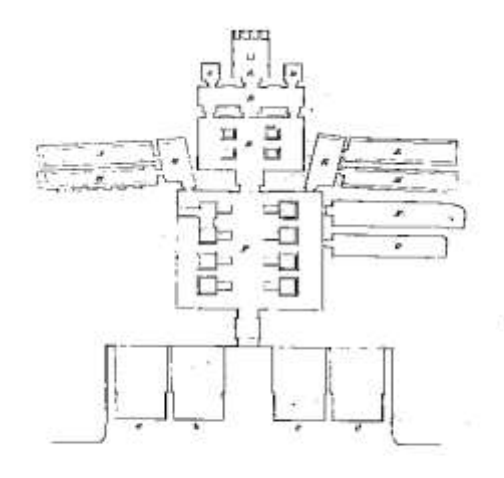
- ازاي طيب فهمني؟

أخرج عمر المصفوفة الرقمية من جيبة والتي كان قد حفظها عن ظهر قلب وقال لها في سرور بدا على صوته "بصي معايا كده "

2	1	6	1	2
1	3	3	2	1
2	2	9	4	1
3	1	11	3	2

قال عمر: لما نحط الخريطة والمصفوفة الرقمية اللي كانت في الأصل الطلسم اللي على ظهر البنت جنب بعض ونفكر شوية هنلاقي إن لازم يكون في علاقة بينهم لأن مفتاح إيجاد الخريطة دي كان هو المصفوفة دي وبنفس

المنطق هيكون مفتاح حل الخريطة برضو في المصفوفة لأن احنا معناش غير المعلومتين دول وبس.



نظرت فريدة بتعجب شديد وقالت:

- طيب تفتكر ازاي الخريطة دي ممكن تشاور على مكان هنا ؟

رد عمر وقد بدت عليه الحيرة مرة أخرى:

- مش عارف، بس لازم فيه علاقة بينهم، أنا مخي هيتشل.

وهنا سألته فريدة "انت مقلتليش ازاي شاورت المصفوفة دي على مكان الخريطة؟" ردَّ عمر موضحًا:

- كل صف من المصفوفة كان بيشاور على مكان في القصر موجود فيه كلمة، فالرقم الأول في الصف بيشاور على رقم الدور في القصر والرقم

التاني بيشاور على رقم الغرفة في الدور والرقم الثالث بيشاور على اتجاه الرقم في عقارب الساعة يعني رقم 3 بيشاور للحائط الشرقي وهكذا ...

عاجلته:

- طب والرقممين الباقيين؟

- الرقم الرابع بيشاور على البُعد الأفقي من جهة الحرف اليمين للحائط والرقم الأخير هو الارتفاع الرأسي للكلمة .

نظرت فريدة في انبهارٍ كبيرٍ؛ كيف له أن يدرك كل هذا فهي حقيقة أمام رجل عبقري، ثم قالت:

- أعتقد إن انت كده حليت الموضوع .

أجاب عمر مستغربًا: -

إزاي؟

- أكيد دي نفس الطريقة اللي هتشاور بيها الخريطة على المكان اللي احنا عايزينه.

قفز عمر حيث نطت في رأسه فكرة لا تخطر للأبالسة فقال: بس الصفوف الأربعة خلاص كل صف شاور على مكان فين الصف الخامس اللي بيشاور على المكان هنا. " فنطقا في وقت واحد" "مجموع الأعمدة" ضحك عمر وقال: إحنا لما جمعنا كل صف وصلنا لتاريخ ميلاد جدي وشاور على اللوحة المرسومة لجدي في القصر، ومن هنا انطلقنا لو جمعنا الأعمدة هتطلع عندي الأرقام دي "6 10 29 7 8".

كان عمر وقد أخرج قلمًا كان قد أخذه من بيت الدكتور مؤنس، وكتب على ورقة الخريطة الأرقام السابقة لتكوّن له صفًّا جديدًا يعبِّر عن مجموع الأعمدة.

قالت فريدة:

- طيب الرقم الأول كان بيشاور على رقم الدور في قصر جدك هنشاور هنا ازاي على رقم الدور مفيش أدوار؟ أجاب عمر وكأن فتحًا من السماء أنار له الطريق:

- أيوة كلامك صح بس في علامات بالإنجليزية وضعها جدي لتحل محل الأدوار. " قالت في دهشة:

- طيب ممكن يبقى معناها إيه؟

- هو الرقم الأول في الصف الجديد اللي احنا عملناه كام ؟

- 8..

تناول عمر الورقة والقلم وكتب عليها أحرف اللغة الإنجليزية من A إلى Z

ثم قام بتوقيع ترقيم على كل الحروف بحيث يكون الحرف الأول رقمه 1 والحرف الأخير رقمه 26 وبهذا صارت الأرقام لها دلالات بالحروف، فكان الرقم الأول 8 يشير إلى الحرف H، وبالتالي الرقم الثانى وهو 7 يشير إلى الحرف G

فردَّ عمر محاولًا توصيل وجهة نظره لفريدة: "بالطريقة دي نكون حصرنا البحث في القطاع على الخريطة اللي بيشاور على الغرفتين اللي في جهة الغرب.

قالت فريدة مستغربة:

- طيب هل في الغرفة g ولا في الغرفة h؟

- منقدرش نحدد من غير ما نفك معنى الرقم التالت واللي دايمًا بيشاور على الاتجاة." فقالت فريدة في غرابة شديدة: "وتفتكر رقم 29 بيشاور على أنهي اتجاه؟" رد عمر قائلًا: مش احنا دايمًا بنوقع الرقم ده على أرقام الساعة ونشوف بيشاور على أنهي اتجاه؟

قالت: حسب كلامك أيوة ..

فقال في سرعة:

- يبقى عشان نعبِّر عن 29 على أرقام الساعة هنلف الساعة مرة هتبقى 12 وهنلفها مرة تانية هتبقى 24، ولما نيجى نلفها تالت مرة عشان نوصل ل 29 هتلاقي نفسك وقفتي على الرقم 5". نظرت له فريدة في استغراب شديد وقد بدأ الإعجاب بداخلها يتفاقم ناحية عمر لدرجة شعرت أن لا إعجاب في الحياة بعد هذه الدرجة.

توجه عمر وفريدة إلى الغرفة "G" ومنها إلى الغرفة "H" وبدا أن الهدف يقع على الحائط الجنوبي من الغرفة "H" حيث الاتجاة الذي يشير إليه الرقم 5 على أرقام الساعة ولم يفكرا أن هدفهما يقبع في الغرفة "G" فليس فيها حائط جنوبي، ولذلك بدت العلامات تشير إلى الغرفة "H" التي بها حائط جنوبي متسع، وهنا وقفا بحياز الحائط الجنوبي بدت الرسوم والنقوش أمامهما على جدران المعبد مهيبة، ولكن لم تحمل لهما أي معنى أو إشارة إلى أي شيء. حاول أن ينفّذ الطريقة التي اعتاد عليها بأن يجعل الرقم الرابع يشير إلى البعد الأفقي من الحرف الأيمن للحائط فتحرك ما يقارب 10 أمتار

ثم وجد الرقم الأخير 6 يعني أنه يحتاج أن يرتفع 6 امتار عن الأرض وليس معهما ما يرتقيان به أو عليه إلى هذا الارتفاع؛ فالمعبد ارتفاعه شاهق، ولكنهما لن يصلا إلى هذا المكان بسهولة.

حاول عمر أن ينظر، هل هناك علامة أو شيء من هذا القبيل، وكانت فريدة ذات بصر حاد فكما هو معلوم أن بصر النساء أحدّ من بصر الرجال، حاولت أن تنظر بكل طريقة ولم تفلح، حملها عمر على كتفه ووقفت بقدميها على كتفيه حتى تقترب أكثر فأكثر فتبصر إن كان هناك نقش غريب، ولكن دون جدوى وبينما هما على ذلك، دخل رجل من أمن المعبد فقد كان الوقت مبكرًا جدًّا، ولكنه لما رأى الدكتور عمر عرفه لأن الدكتور عمر كثيرًا ما كان يأتي إلى هناك بصحبة أفواج من العلماء، وكان يحضر معه المحافظ وكوكبة من أعيان الأقصر، وتوجه رجل الأمن بسؤال إلى الدكتور عمر:

- في حاجة يا دكتور، انت جاي لوحدك المرة دي، وبعدين جاي بدري ليه كده المعبد لسه مفتحش لاستقبال الزوار؟ أجاب عمر فرد الأمن:

- إزيك عامل إيه، أنا بس كنت ببحث عن حاجة مهمة أوي هتفيدنى في البحث بتاعي، وكمان أنا هقعد في الأقصر يومين عشان منتظر جروب من العلماء هيجوا هنا عشان يزوروا المعبد، وسيادة المحافظ هيجى وهبقى اقوله على نشاطك وهمتك بس كنت عايز منك خدمة" أجاب فرد الأمن:

- إنت تؤمر يا دكتور.

قال عمر:

- أنا عايز سلم من اللي بتستخدموه في التنظيف والصيانة عشان في رمز فوق كده مش عارف اشوفه ممكن؟ وهبلّغ سيادة المحافظ أد إيه انت متعاون.

ردَّ فرد الأمن بأن هزَّ رأسه ثم قال:

- من عنيا الاتنين يا دكتور، إنت تؤمر.

وخرج مسرعًا وقد غاب دقائق قليلة ليعود ومعه سلم كبير ارتفاعه سبعة أمتار يُستخدَم لعمليات الترميم والنظافة، لكنه أكَّد عليه أن وقت افتتاح المعبد لاستقبال الزوار قد أوشك، ولذلك يجب أن ينهي عمله في أسرع وقت ويرجع له السلم حتى لا يتعرض إلى المجازاة من قِبَل رئيسه في العمل.

تناول عمر السلم وشكرَ الرجل شكرًا حارًا ووضع السلم وبدأ في الصعود عليه، ولما وصل إلى الارتفاع المطلوب لم يجد أي شيء ولا إشارة ولا علامة ولا ثمة معنى لأي شيء، حاول بكل الطرق ولكنه لم يعثر على شيء فنزل وعلامات اليأس تدب في قلبه فقد بدت له الهاوية أقرب إليه من شراك نعله، وبدا وقد خسر كل هذه الرحلة الطويلة، وقف بحياز فريدة وقال:" واضح ان مفيش فايدة الحيطة مفيهاش أي تفاصيل لأي علامة تساعدني نوصل لحاجة.

نظرت فريدة إلى عمر وقد حاولت أن تبث فيه الأمل والحياة، فقالت:

- يمكن بندوّر في المكان الغلط، ويمكن المصفوفة متكنش بتعبر عن المكان.
نظر عمر وقال بصوت حاد:

- مستحيل ماهو مفيش في إيدي حاجة امشي وراها غير المصفوفة والخريطة. قالت فريدة:

- أعتقد اننا بندور في المكان الغلط، أولا انت بتدوّر في الغرفة اتش، في حين انك قولتلي إن الرقم اللي بيعبّر عن الغرفة هو الرقم التاني مش الأول يبقى

أصلًا احنا في المكان الغلط، المكان الصحيح هو الغرفة جي لأن ده الرقم اللي بيعبر عنه الرقم الثاني في الصف اللي احنا عملناه من مجموع الأعمدة، ثانيًا في حاجة مهمة أوي لو بصيت في الغرفة جي مش هتلاقي فيها حائط جنوبية أصلًا لأن الحائط الجنوبي فيه فتحة الباب يبقى انت لما وقعت الرقم 29 على أرقام الساعة انت كنت غلطان.

نظر إليها عمر في استغراب شديد وقال:

- طيب تفتكري أوقع رقم 29 على إيه؟

قالت في بداهة غريبة:

- أكيد على منظومة الحروف الإنجليزية اللي انت لسه راسمها على الورقة، وبالتالي اللغة الإنجليزية من أول حرف لآخر حرف هي 26 حرف يبقى فاضل كام على 29 فاضل 3 ودا في عقارب الساعة بيشاور على إيه؟ على اتجاه الشرق يبقى المكان الصحيح في الغرفة الأخرى جي وفي اتجاة الشرق.

نظر عمر في استغرابٍ بالغٍ وتعجُّب شديد ثم ضمها إليه في فرحة عارمة وقال:

- احنا لازم نتجوز أول ما نخلص القصة دي.

كانت ضمتها إلى صدره قد رفعتها عن الأرض، وكانت حينها تشعر أنها طارت في السماء العالية وليس للجاذبية تأثير عليها، تمنت لو أن هذه اللحظة تستمر دهورًا فهي لأول مرة تشعر بقرب كهذا من عمر.

أنزلها عمر و أخذ السلم وحمله إلى الغرفة جي ووضعه على بُعد 10 أمتار من الحافة اليمنى من الحائط الشرقي، وبدأ في الصعود على السلم.

* * *

- 34 -

يقف أيمن ومعه الرائد دياب يراقبان ما يحدث عن كثب يحاولان أن يفهما ما يقوم به عمر وفريدة، ولكن تعليمات أيمن باتت محددة "أول ما يوصلوا للي جايين عشانه نقبض عليهم فورًا" فهم دياب هدف أيمن وبدأ يراقب بجواره منتظرين ما ستسفر عنه محاولات البحث هذه.

صعد عمر السلم إلى ارتفاع 6 أمتار ليجد نفسه أمام نقش غريب كان كأنما هي المرة الأولى التي يطالعه فيها، فالنقش لا يبدو على نحو فرعوني مرت عليه آلاف السنين بل بدا نقشًا عمره لا يتجاوز المائتي عام بدا حديثًا جدًّا وهذا الأمر كان من السهل على خبير في الآثار والتاريخ كالدكتور عمر أن يدركه، وهنا أمر عمر الدكتورة فريدة أن تصعد إلى جواره لتشاهد ما الذي رأى أمامه، وبينما قد فغر فاه من هول ما رأى شعر أنه أخيرًا قد اقترب إلى هدفه، فصعدت فريدة لتجد نفسها أمام صورة غريبة جدًّا هي أيضًا من السهل عليها أن تتعرف أن هذا النقش ليس من زمن الفراعنة الأقدمين بل نقشًا حديثًا.

كان النقش عبارة عن يدين فقط ولا يظهر جسم إنسان إنما فقط يدان تحمل إحداهما طبقًا أزرق به إشارة لطعام، واليد الأخرى تحمل كسرة خبز.

قال عمر لفريدة متسائلًا عما تراه تعني هذه النقوش، فكرت فريدة حتى صاح عمر هذا هو إفطار الرجل الأعمى، صرخ بها شاعرًا أن همًّا كبيرًا وجبلًا من الغم كاد أن ينحسر عن صدره ثم تساءل هنا أين الهدف ما الذي

تشير إليه هذه الخريطة، فقالت فريدة ألم يخبرك جدك أن تحضر إفطار الرجل الأعمى إذا هيًّا نحاول أن نحرك هذا الحجر لنحضر إفطار الرجل الأعمى.

حاول عمر أن يزيح التراب من حواف الحجر الذي نقشت عليه هذه الكلمات، لكنه لم يتسطع فنزل من السلم بسرعة كبيرة وأخذ يبحث حتى وجد إحدى آلات التنظيف التي يستخدمها الأثريون في الكشف وفي أعمال الصيانة الخاصة بالمعبد فصعد في سرعة وكان يتعامل مع الفرشاة والحجر مثل الجراح الذي يتعامل بالمشرط مع جسد المريض، فقد كان في مهارة غير عادية وبراعة منقطعة النظير، يتعامل بحرفية شديدة فهو خبير في هذا الشأن حتى استطاع أن يفرغ المسافة بين الحجر والأحجار الملاصقة له، وبينما هما على ذلك، دخل فرد الأمن وهو يقول: " يا دكتور عمر المعبد قرّب يفتح من فضلك خلص أبوس إيدك عايز ارجّع السلم " نزلت فريدة إليه في خفة شديدة وقالت: "احنا خلاص قربنا نخلص متقلقش." أجاب في تعجب: انتوا بتعملوا إيه وايه اللي في إيدك ده يا دكتور؟" ردت فريدة في ذكاء شديد: "الدكتور بيحاول يساعد في كشف مهم ولما يحصل عليه هينزل اسمك في الجرنال انك ساعدت الدكتور في الكشف ده. " أجاب في سذاجة لطيفة: "طيب وصورتي هتنزل؟" ردت فريدة بسرعة بالغة: " طبعًا طبعًا بس انت سيبنا نشوف شغلنا عشان الوقت ميسرقناش." بينما كانت تتكلم فريدة مع فرد الأمن كان عمر قد استطاع بالفعل تحريك الحجر فشعرت فريدة بذلك فعمدت إلى إخراج فرد الأمن والذي اقتنع بدوره وانصرف إلى البوابة، بينما صعدت فريدة السلم في خفة عجيبة لتراقب ما يحدث عن قرب، وقد استطاع عمر تحريك الحجر والذي بدا حجرًا سُمكه فقط 10 سم وخلفه مجوف فلما أخرجه من مكانه وجد خلفة كتابًا قديمًا، فتناول

الكتاب في سرعة بالغة ونزل وأعاد الحجر إلى مكانه بطريقة لا تبدو أبدًا أنه قد تحرك. نزلت معه فريدة في سرعة شديدة إلى أسفل أرض الغرفة، ووقفا يطالعان ما جاء في هذا الكتاب، لكن الذي جعله يقف مبهورًا مستغربًا أن هذه المخطوطة المكتوبة باللغة العربية ترجع إلى جده الدكتور كامل والذي وقّعها باسمه في آخر صفحة من الكتاب.

والذى زاد من عجبه لمّا نظر إلى اسم المخطوطة الذي سطرة الدكتور كامل بيده حيث أسماها "صرخة الفرعون".

فغر كل منهما فاه باستغرابٍ شديد حيث بدآ يقرآن ما في المخطوطة والتي لم تبدو كبيرة بحال، ولكنها تحكي قصة حدثت للدكتور كامل الأسيوطي في أواخر القرن التاسع عشر.

* * *

- 35 -

على بُعد مائة وأربعين عام من هذه اللحظة في أغوار التاريخ وبالتحديد في عام 1886 م، كان هناك رجل يدعى الحاج خليفة، وكان يعمل في مهنة رعي الأغنام ويسير في صحراء مصر الغربية بغنمه يتبع مواضع العشب والقطر حتى يطعم أغنامه التي كانت هي كل ما يملك، يخرج في أول اليوم ليعود وقد أظلمت الدنيا ولم يعد بمقدوره أن يتحرك بأغنامه في الليل. وفي يومٍ من الأيام كانت الشمس حارقة، وكان الطلب قد ند بالحاج خليفة وابتعد عن ديار أهله في الواحات، وبينما هو على ذلك سقطت منه غنمة في حفرة سحيقة بين صخرتين عظيمتين وكأنها سقطت في بئرٍ، ولم يكن بمقدور الحاج خليفة أن يتركها وينصرف وإنما قرر أن ينزل وراءها في البئر ليلتقطها ويصعد بها ثانية إلى قطيع الأغنام الذي معه، ولكنه لما ربط الحبل في إحدى الصخور وربط الطرف الآخر على بطنه وبدأ في النزول شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى قاع تلك المغارة ليجد نفسه في مكانٍ مظلم تمامًا لا يكاد يرى كفه من الظلام، وبدأ يحاول أن يتحسس المكان، ولكن دون جدوى. صعد الحاج خليفة مرة أخرى إلى غنمه فهو لا يكاد يرى شيئًا من الظلام، وأخذ معه قضيبًا من خشب أوقد فيه فتيلة مشتعلة ونزل مرة أخرى إلى أعماق هذه البئر السحيقة ليجد نفسه في ضوء هذه النار في مكانٍ ما تصوَّر قَط أن يجد نفسه فيه، وجد نفسه أمام تماثيل المساخيط "كما كان يطلق المصريون قديمًا على الآثار الفرعونية" وجد كمًّا هائلًا منها من الذهب

الخالص، ولم يكن يعرف الحاج خليفة أنه سقط في أحد المخازن التي كان يستعملها لصوص المقابر لتخبئة مسروقاتهم منذ أزمنة بعيدة.

فقد كانت المغارة مليئة بمومياوات نادرة الوجود فضلًا عن مقتنيات ترجع إلى الأسرة العشرين وعائلة رمسيس الثالث ومنحوتات ذهبية في غاية الروعة تخص الملك وتخص زوجاته، وجد كنزًا قلّما يجود الزمان بمثله، آثار من أروع ما أنت رائي ووجد المومياوات في صناديقها الأصلية ولم يكن يدرك أن أمامه تاريخ أمة بأكملها صار أمانة في يده؛ فحوله تماثيل ذهبية رائعة وتيجان وأقنعة لملوك عظام ومنحوتات ذهبية ومنقوشات في غاية الندرة، وعلى الفور أخذ ما استطاع أن يحمله وصعد إلى أعلى المغارة في مشقة شديدة وقد حدا الغنم إلى بيته وأخبر أخاه الحاج ناجي الذي أعانه على استخراج هذه المقتنيات وبدآ سويًّا في بيعها إلى تجار الآثار، وكانت الحملة الإنجليزية في ذلك الوقت قد مرَّ عليها في مصر أربعة أعوام فقد انتشر تجّار الآثار الإنجليز في مصر لنقل كل ما يمكنهم نقله وبيعه في أسواق أوروبا، فظل الحاج خليفة والحاج ناجي عشر سنوات يبيعان في مقتنيات هذه المغارة والتي لا تكاد تنفد ولكنهما كانا يعلمان أنهما مطاردان من حكومة الإنجليز التي تريد أن تأخذ هذا كله لنفسها وأيضًا من الحكومة المصرية التي كانت تريد أن تحافظ على تاريخها.

وصلت أخبار هذا اللص إلى الحكومة المصرية التي قبضت عليه وأرسلت الإخبارية إلى متحف الآثار الكائن في بولاق في ذلك الوقت، وكان من بين القائمين على العمل هناك الدكتور كامل الأسيوطي الذي توجَّه فور وصول البلاغ إليه إلى الصحراء الغربية قاطعًا الفلوات والأخطار حتى يصل إلى جزء من تاريخ بلاده الذي اعتاد أن يحافظ عليه وأن يحوطه وأن يحل

ألغازه ليقدمه إلى العالم بالشكل اللائق، ولما وصل الدكتور كامل ومعه بعثة متحف بولاق "الذي هو نواة المتحف المصري الآن".أصيب الدكتور كامل بالذهول من عظمة ما رأى وبالاشمئزاز من هذا الذي أضاع جزءًا هامًا من تاريخ بلاده وباعه، فلا يعلم الدكتور كامل ما الذي باعه هذا اللص هو وأخوه ولا يعرف كم كان من الممكن أن يحل من ألغاز التاريخ لو أن هذه الآثار قد ذهبت إلى مكانها الطبيعي في متحف بولاق الذي كان قد خصص لحفظ مقتنيات المصريين القدماء كدار للآثار.

وصل الدكتور كامل وذُهِلَ من حجم المومياوات وأشكالها وطبيعتها، ولكنه كان يعلم أن المبعوث الإنجليزي لو أتى إلى هذا المكان قبل أن تدخل هذه الآثار المتحف سيأخذ منها ما شاء ويرسله إلى بلاده ويبيع منها ما يشاء لنفسه وسيضيع الجزء الأكبر من هذه الآثار؛ لذلك عمد الدكتور كامل إلى سرعة نقل هذه المقتنيات بكل ما أوتي من قوة هو والفريق الذي معه، حتى إنه نسى كثيرًا من بيانات هذه التماثيل بل والمومياوات، وكان من بين ما وجد من المومياوات مومياء صارخة، كانت غريبة الشكل عجيبة التفاصيل، فقد كانت تصرخ كأنها ماتت وهي ترى الرعب والفزع، كانت كالتي رأت الجحيم أمام عينيها، وكانت على رغم من كونها في صندوق غالٍ جدًّا كالذي يوضع فيه الملوك إلا أن الصندوق كان بلا نقوش، ولعل هذا كان لأن هذه المومياء قد أصابت صاحبها لعنة وصار عليه غضب من الكهنة، ولذلك كانت عقوبة من تصيبه لعنة الكهنة أن يذهب إلى الدار الآخرة بغير علامة على صندوقه حتى تضيع في العالم الآخر ماهية هذا الفرعون، كان يبدو وكأنه ملك، ولكن ليس هناك أي علامة تحدد من هذا الفرعون والأمر لم يكن هكذا فحسب بل امتد إلى أنه قد تم تحنيطه وأحشاؤه بداخله، ولم تفرغ وقد لفوا جسده بجلود الماعز علامة على أن به لعنة، وأن الكهنة قد طردته

من رحابة ملكوت السماء كما كان يعتقد المصريون القدماء، كانت المومياء فاغرة فمها تبدو أسنانها ووجهها قد مرَّ عليه الزمان بينما تبدو ملامح الأعين بها زعر بالغ وكأنما مات صاحبها وهو يصرخ.

أخذ الدكتور كامل المومياء وأرسلها إلى بولاق ومعها بقية المومياوات والتي ترجع إلى عصر رمسيس الثالث، وكان من بينها مومياوات لنسائه وأولاده ماعدا الملكة "تيا" الزوجة الثانية لرمسيس الثالث وأم أكبر أبنائه وكانت صاحبة النفوذ الأوسع في القصر الفرعوني، فكان من العجيب جدًّا أن تختفي مومياء الملكة "تيا" بينما بقت مومياوات كل نساء الفرعون لترافقنه في الدار الآخرة إلى النعيم الأبدي كما كان يعتقد الفراعنة.

ولما وصلت محتويات المغارة إلى متحف بولاق، أخذ الدكتور كامل يبذل كل ما في وسعه لترتيبها والوصول إلى حقيقة أغلبها وكان، يعينه في ذلك صديق عمره الدكتور سلمان والذي كان على قدرٍ من الكفاءة لا يقل عن التي عند الدكتور كامل وقد بذل معه كل الوسع لفك طلاسم محتويات هذه المغارة، ولكن بدا دومًا أمامهما منظر الفرعون الصارخ ذلك الذي مات بطريقة عجيبة ولا يعلم إلى الآن كنته ولا أي تفاصيل عنه حتى كان اليوم الذي اجتمع فيه الدكتور كامل والدكتور سلمان لمناقشة محتويات المغارة ومن بين ما عثروا عليه برديات تصف كثيرًا من أحداث التاريخ القديم كان من بينها ثلاث برديات تصف بالتفصيل ما دار في قصر الفرعون رمسيس الثالث وربما أماطت اللثام عن شخصية الفرعون الصارخ، هذه البرديات هي "البردية القضائية " وبردية "تورين " وبردية "لي" وهنا بذل كلٌّ من كامل وسلمان كل ما بوسعهما لفك رموز هذه البرديات والوقوف على تاريخ هذه الأحداث العجيبة التي تصف ما حدث للفرعون الصارخ بل وتشرح طبيعة

الفرعون الصارخ نفسه. كان يجلس كامل وسلمان وهما يتفحصان البرديات الثلاثة كأنما يبحثان في قطع من الماس ويتحريان كل جزء فيها، حتى قال كامل"انت شايف اللي أنا شايفه يا سلمان؟" أجاب سلمان وقد بدا النهم على عينه التي لا تكاد تشبع من مطالعة مايريان "دا كنز يا دكتور، احنا لازم نفكر كويس في الكنز اللي معانا ده ونحاول نستفيد منه على أد ما نقدر."

ردَّ كامل في تعجُّب واستنكار:

- تستفيد ازاي يعني؟

استدرك سلمان الكلام وقرر ألا يفصح عما في صدره الآن، فقال مسرعًا:

- أقصد نستفيد من الناحية العليمة والتاريخية ونقدم للعالم الكشف العملاق ده .

كان زيوغ أبصار سلمان ينذر الدكتور كامل لما قد يبدر من صديق عمره، ولكنه بدأ يقرأ البرديات والتي كانت تقص عليهم قصة من أغرب ما طالعه عن تاريخ الفراعنة.

* * *

- 36 -

قاطعت فريدة عمر وهو منهمك في قراءة ما حوته المخطوطة التي خطها الدكتور كامل بيده ليحكي ما حدث بالضبط فقالت:

- أنا مستحيل اصدق عنيا، إيه اللي انا بسمعه ده؟

عاجلها عمر وقد شغل بالنظر في المخطوطة:

- أومال لما تخلصي قراية هتقولي إيه الموضوع شكله هيحلو أوي" قالت:

- اقرا طب بسرعة عشان المتحف قرّب يفتح والحارس زمانه جاي ومش عايزاه يشوف اللي في إيدك ده. نظر إليها عمر وبدأ يتم قراءة ماجاء في المخطوطة.

بينما كان ينظر الدكتور كامل إلى البرديات الثلاثة، وجد كشفًا مزهلًا سينصت إليه العالم وسيقف التاريخ أمامه سنوات ليتأمل هذا الحدث ويفسره فهو غير مسبوق وليس له نظير في تاريخ الفراعنة المعروف؛ فقد كانت البرديات الثلاث تحكي قصة حدثت في رحابة التاريخ السحيق؛ حيث كان يحكم مصر أحد أهم ملوك مصر القديمة الفرعون الأعظم رمسيس الثالث والذي كان قد أسس الأسرة العشرين كان قد امتد حكمه منذ عام 1183 ق.م إلى 1152 ق.م ومع جلالة أعمال الملك رمسيس الثالث لم يكن قد اتخذ خليفة ووريث للعرش من بين أبنائه فدارت المكائد والمؤامرات في القصر الملكي، ولكن من أهم هذه المؤامرات ما قامت به الملكة "تيا" زوجته

الثانية وأم أكبر أبنائه "نيتاؤر" لم تكن لدى الفرعون رغبة في تحديد وريث العرش حتى لا يعجل هذا بالخلاص منه والالتفاف حول الفرعون الجديد، ولكن الملكة "تيا" لم تكن لتقنع يومًا بألا يتوج ولدها فرعونًا لمصر، فحاولت بكل الوسائل إقناع الفرعون وإغراءه بجمالها ودلالها؛ فقد كانت امرأة ممشوقة القوام شديدة تناسق البدن بدا لها سحر خاص وبريق أخّاذ يوقع الرجال في براثن جمالها، ومع عشق رمسيس الثالث لها وتتيمه بها إلا أنها فشلت في كل مساعيها معه لتنصيب ولدها فرعونًا للبلاد، ولما عجزت كل حيل الأنثى لديها، عمدت إلى تدبير مؤامرة للإطاحة بالفرعون وتنصيب ولدها وذلك بأن أجرت الاتصالات برجال الجنوب من النوبة وقادة الجيوش التي لم تكن على وفاق مع رمسيس الثالث وتتمنى أن لو سنحت لهم الفرصة للانقضاض عليه ليكونوا هم حُكَّام مصر ورجال الدولة، فحثّتهم على القيام بثورة مركزها النوبة تخرج ضد الفرعون لتسقط حكمه وتنصب ولدها الفرعون الجديد "نيتأؤر" والذي ذهب بنفسه إلى بلاد النوبة لتأليب القبائل على أبيه والإتيان بفرسان شجعان يعينوه على الإطاحة بحُكم والده، ولكن الملكة "تيا" كانت على استعداد ليس فقط أن تتحالف مع قبائل النوبة، إنما من الممكن أن تضع يدها في يد الشيطان حتى يتم لها هذا الأمر فاتصلت بأحد أعظم سحرة الجنوب ورجل من أصحاب السحر الأسود حتى كانوا يلقبونه "قرين الشيطان" كان رجلًا ممقوتَ الوجه يجمع بين سواد البشرة قبح المعالم وغليظها، وكان يرسم حول عينيه نقوشًا عجيبة وبين حاجبيه طلاسم غريبة، وقد وضع قطع صغيرة من الذهب حول شفتيه.

ذهبت إليه الملكة "تيا" وقد تعللت للفرعون برغبتها أن تذهب إلى الجنوب لتحصل على بعض البخور والعطور القادمة من الحبشة وأنها تريد أن

تتفقد أحوال الجنوب وتأتي إليه بأخبارهم فقد كان يعلم الفرعون كم كانت تحب البخور والأعواد القادمة من الحبشة فتركها تذهب في صحبة ولدها "نيتاؤر" إلى النوبة، ولعلها تكون نُزهة أيضًا لها كما كان يعتقد الفرعون رمسيس الثالث.

دخلت الملكة تيا في كهف غريب على وسط الجبل تحيطه أعمدة من النار، وكانت قد تركت ولدها نيتاؤر لعقد الصفقات مع قادة الجنوب وإعداد خطة الهجوم على قصر الفرعون وتجهيز الجنود الذين سيقومون بهذا العمل ضد والده.

دخلت الملكة "تيا " وقد اتشحت بوشاح أسود وغطت رأسها حتى جلست إلى "قرين الشيطان " الذي كان يجلس في وسط الجبل وأمامه كوة من اللهب وحوله أنواع من الأفاعي تسير على حائط المغارة، فطلبت منه أن يعدّ لها تعويذة سحرية تجعلها تستعين بالشيطان وبقادة العالم السفلي في معركتها ضد رمسيس الثالث وجنوده وحتى يتثنى لنيتاؤر حُكم مصر ومن ثم حُكم العالم بمساعدة قوى العالم السفلي، ووسط طقوس عجيبة وأفعال تخلع القلوب، بدأت عين "قرين الشيطان "تدمع دمًا فقد غاب عنها سوادها وبدا شكله مفزعًا، ولكنه بعد لحظات أخذ قطعة جلد وريشة غرسها في دمه وأخذ يكتب على الجلد تعويذة من وحي الشيطان إذا ما كتبت على جسد ولدها نيتاؤر بدم قربان يقدِّمه نيتاؤر إلى الشيطان كقربان بشري لطفل من إهله، فإنه حينها سيخضع له الجن والشياطين وقوى العالم السفلي التي ستعينه على حرب والده وتجعله ملكًا على مصر ومن ثم يحكم العالم، ولكن يجب أن تكتب هذه التعويذة بدماء صبي صغير وبريشة من غراب أسود .

وبالفعل أخذت الملكة "تيا" التعويذة وانصرفت من هذا المكان الموحش وعادت إلى ولدها الذي كان قد أتم إعداد الخطة لملاقاة جيش والده بمعونة من رجال الجنوب، فبدأت الملكة بدورها في التجهيز إلى اللحظة الحاسمة لإنهاء هذا الأمر؛ فبدأت بمحاولة شراء بعض رجال القصر من المقربين إلى الفرعون رمسيس الثالث ليعينوها على تحقيق هدفها الشيطاني وبغيتها المقيتة فأغرت بعض رجال الحرس الخاص بالفرعون حتى تعد خطة للتخلص من الفرعون في اللحظة التي تصلها فيها أن جنود الجنوب على أهبة الاستعداد لتنفيذ الخطة المتفق عليها معها ومع نيتاؤر، ولكن من بين رجال القصر كان قائد الجيش والذراع الأيمن للملك رجلًا يدعى القائد" حتحور" والذي كانت تعلم الملكة جيدًا أن كثيرًا من مفاتيح الجيش في يده وباستطاعته تحريك الجنود كيفما يشاء ولو استطاعت أن تستميله إلى صفها فقد يعين هذا في إنهاء المؤامرة بسهولة ويسر.

وفي ليلة قمرية جميلة، كانت قد استدعت الملكة "تيا" القائد حتحور إلى مخدعها بحجة أنها تريد مراجعة بعض أمور الحرس معه، فلما دخل إلى جناحها في القصر الملكي والذي كان على درجة عالية من الفخامة؛ فقد كُسِيَ بنقوش الذهب على الحوائط والمنحوتات الذهبية الرائعة، وكذا ضاعت فيه رائحة البخور والعود الذي أتت به من بلاد النوبة، وقد مهدت فراشها ولبست ثيابًا مثيرة تشف عن جسدٍ صارخ وجمال منقطع النظير لامرأة في أوج هياج أنوثتها؛ صدران منتبران وجسد متناسق وشفتان ملتاعتان وجلد ناعم كجلود الأطفال؛ فقد كانت تأمر الجارية أن تعدّ لها حوضًا ذهبيًّا وتضع فيه اللبن وتنام فيه عارية لساعات وساعات؛ فقد كان ملمسها ناعمًا كالحرير، وعينان يعجز كل رجال العالم أن يصمدوا لنظرة منهما، فدخل القائد ورأى هذا المنظر والذي لم يكن يتخيله قَط أو يتوقع

أن يحدث فوقف بحيازها وقد أمرت الخدم بالانصراف ثم وقفت بحيازه بعد أن حيَّاها القائد "حتحور" قائلًا: "السمع والطاعة يا مولاتي الملكة"، فقامت إليه ويداها عاريتان قد كساهما ثعبانان ذهبيان وتميمة من الذهب حول ذراعها الأيسر، فقد كانت امرأة مهيبة الجمال مرهوبة الحسن مثيرة إلى القدر الذي يعجز أمامها أي إنسان عن مقاومة هذا الحُسن الخلاب، فقالت وقد وقفت أمامه "أرى أن الفرعون قد كبر سنه وبدأت حالته الصحية في التأخر وأنا أريد أن أريحه من أعباء المُلك والحُكم، وأريدك أن تعينني على ذلك فأنا أريد بجواري ملكًا قويًا وقائدًا شجاعًا يجمع تحت إمرته مصر كلها" والتي كانت مترامية الأطراف في ذلك الوقت، وكانت تتكلم وقد مدت يدها إلى ذقن حتحور تداعبها وقد اقتربت منه أكثر فأكثر حتى إنه كان يشعر بحرارة أنفاسها وسخونة هذا الجسد الطاغي، لكنه في هدوء شديد أنزل يد الملكة وقال كلمات محددة نمت عن ولائه الكامل للفرعون "أنا أفدي مولاي الفرعون بدمي ولا أقبل أبدًا أيَّ مساومة على الفرعون الإله مهما كان الثمن"، ثم تراجع إلى الوراء وطلب الإذن بالانصراف ولم ينتظر حتى تأذن له فانصرف رافضًا هذا الإغراء فقد كانت ترغب أن يساعدها في التخلص من الفرعون وبعدها يسهل حينها أن تتخلص منه بعد أن ينفِّذ لها ما كانت تصبو إليه.

خرج حتحور الذي لم يكن من الأصل في غفلة عما يدبَّر للفرعون فقد واتته عيونه في الجنوب أن ثمة أمر يدبر للفرعون وقد أكدت الملكة بفعلتها شكوكه هذه.

جمع حتحور كهنة الإله رع ورجال الدولة وأخبرهم بما عنده من أنباء عن مؤامرة تعد في الجنوب ضد الفرعون وأنه يجب أن يبقى الجميع على أهبة

الاستعداد لخوض حربٍ قادمة دفاعًا على الفرعون ضد من يدبرون للخلاص منه.

حاول حتحور بكل جهده إيصال الأمر إلى الفرعون وأنه ثمة من يخططون للخلاص منه وأن ثمة قلاقل في الجنوب يدبرها ولده نيتاؤر بمعاونة من الملكة "تيا" والدته وبعض قادة الجنوب، ولكن الفرعون أبى أن يصدّق هذا مطلقًا ورفض الفكرة من أساسها على نحو من أن زوجته وولده لن يعدّا العدة أبدًا للقضاء عليه ورفض تصديق هذا كله وحذَّره أن يذكر الملكة بسوء أو أن يذكر ولده نيتاؤر بسوءٍ، فلم يكن ثمة دليل مع حتحور يقدّمه للملك، فقرر "حتحور" أن يبقى على أهبة الاستعداد لقمع أي ثورات وجعل الجيش على درجة من التعبئة القصوى وعمد إلى خطة تفهمه ما الذي جرى في زيارة الملكة وولدها إلى الجنوب، فأرسل فرقة من قوات الحرس الخاصة في مهمة انتحارية إلى الجنوب وهي أن تتمكن من اختطاف أحد قادة جيوش النوبة وترجع به إلى قصر الفرعون حتى يتنمكوا من استخلاص اعتراف كامل منه عما يحدث في الجنوب.

نجحت الفرقة في مهمتها في القبض على قائد في الجيش النوبي ومن معاوني نيتاؤر وعلم منه حتحور بتفاصيل المؤامرة تحت التعذيب الشديد، وعلم أيضًا بشأن التعويذة السحرية التي يجهزها قرين الشيطان حتى إذا ما كتبت على جسد نيتاؤر سيخضع له حُكم الجن والشياطين ويسيطر على حكم مصر ومن ثم العالم أجمع، فأرسل حتجور إلى كهنة الإله رع ينبئهم بهذا الخطب وأنه في حاجة إلى سحرة على قدرٍ كبيرٍ من إتقان السحر الأسود، وكان من بين الكهنة من يجيد فنون السحر الأسود على نحو لا يقل عن براعة قرين الشيطان فأعدوا له مادة سامة من أنجس ما يستعمل في

السحر الأسود وتلوا عليها طلاسم سفلية لتكون جاهزة حال ما إذا أتمت الملكة "تيا " كتابة الطلاسم على جسد ولدها، فلو استطاعوا الوصول إليه وتلقيمه هذه المادة في فمه سيختفي من فوق جسمه كل أثر للتعويذة التي أعدَّها قرين الشيطان وستقتله هذه المادة وهو يرى مقعده من نيران العالم الآخر حيث الوحشة والحيات والأفاعي وألسنة اللهيب والنار.

تجهَّز حتحور بكل ما يملك من عدة عسكرية ومعه المادة السحرية التي ستكون هي السلاح المستخدَم في قتل هذا الفرعون الذي يريد قتل والده وبدا في انتظار بداية تحرك قوات النوبيين حتى يبدأ في الإجهاز عليهم .

وفي ذات ليلة كانت الملكة تيا قد دعت الفرعون إلى غرفتها والتي أعدت له أفضل الطعام وتهيأت له بلبس أجمل الثياب وأشفها والتي تبرز مفاتن المرأة التي كانت الأجمل في مصر كلها، فدخل إليها الفرعون وقد اكتسى بأبهى الثياب وأجلّها وعليه تاج ملك مصر وخلفة طيلسانه يجره وفي وجهة الذقن الذهبية التي كان يتزين بها الفراعنة العظام وقد توشح بدرع ذهبي مرصَّع بماسات من الحبشة ومعه الصولجان فقد كان الفرعون مهيبًا عظيم المنظر وحول معصمه سواران من ذهب يرمز أحدهما للشمال والآخر للجنوب، ومع كِبَر سن الفرعون كان له ذراعان مفتولان فهو مقاتل كبير لسنين طويلة فجسده متناسق وعضلات صدره باتت بارزة وتقاسيم بطنه كانت في تناغم ملفت مع جسد الفرعون الذي قد طعن في السن.

دخل الملك ليطالع أمامه أجمل نسائه وقد لبست قميصًا أبيضَ ناعم الملمس وبدا شعرها ثائرًا غجريًّا كجسدها، وارتسمت بكحلات جعلت عيناها كأعين الظبية بينما بدت في لهفة النمرة فاحتضنها الملك ونال منها ما ينال الرجل من امرأته ثم قدّ تعرى وقد سكبت له كئوس الخمر واحدة

تلو الأخرى حتى أسكرته وقد كانت أصلًا امراة تسكر بغير خمر فشرب الفرعون من خمر الملكة حتى ذهب عقله فقام إليه جماعة من الخدم وقتلوا الفرعون بجرح قطعي في الرقبة (وهذا بالفعل ما وُجِدَ في جثة رمسيس الثالث)؛ فمات الفرعون وكانت قبل أن تشرع في فعل هذا العمل الإجرامي قد انتظرت الإشارة من قادة الجنوب بالانقضاض على القصر، وفي أثناء ذلك كانت قد أمرت ولدها نيتاؤر أن ينتظرها في غرفته ومعه أحد إخوته من نساء الفرعون الأخريات؛ طفل صغير جلس مع أخيه ولا يدري ما يدبر له ذلك الأخ الغادر.

فما إن فرغت الملكة من ذبح زوجها الفرعون حتى دخلت على ولدها في مخدعه وأمرته أن يتجرد من ثيابه كاملة حتى بدا كيوم ولدته والطفل المسكين ينظر إلى هذا المشهد في رعبٍ وفزعٍ كبيرين فأمسكت الطفل الصغير من شعر رأسه وجذبته إليها وقد كانت ممسكة بالخنجر الذهبي الذي ذبحت به الفرعون فطعنته في صدره طعنة قوية جعلت الدم ينبجس من صدره ويخرج بصرخات الطفل المسكين ودموعه التي سبقت دماءه فخرَّ صريعًا، وأخذت دم الطفل في طست ذهبي، ثم أخذت ريشة الغراب وأخذت تكتب التعويذة التي قد أهديت لها من قرين الشيطان على جسد نيتاؤر الفرعون المرتقَب وهي تتمتم بطلاسم سريانية وأسماء لقادة ملوك الجن وأساطين الشر في العالم وهي تكتب هذا بدماء الطفل الصغير الذي فارقت روحه الحياة بطعنة من هذه المرأة الغادرة. كان امامها جسد ولدها نيتاؤر متناسق فقد كان مفتول العضلات طويل القامة معتدل البنية، فأخذت تكتب الطلاسم من الرقعة الجلدية حتى كادت أن تتم كتابة التعويذة كاملة وبقى لها سطر واحد..

كان حتحور قد حاول إقناع الفرعون بعدم الذهاب إلى مخدع زوجته، لكن تعليمات الفرعون كانت حازمة تجاهه وأمره ألا يقترب أحد من مخدعه أو مخدع الملكة وأنه بأمان في أحضان زوجته المحبة.

علم حتحور بتحرك الجنوبيون فأمر الجيش بسرعة التصدي لهم ومواجهتهم وتحرك هو ومعه جماعة من الكهنة ورجال القصر إلى مخدع الفرعون؛ حيث كان متأكدًا أن ثمة أمر يُدبَّر له شواهد واضحة أن تدعو الملكة تيا زوجها للعشاء في نفس الوقت الذي يتحرك فيه رجال الجنوب فدخل حتحور في مخدع الملكة ليجد سيده مقتولًا بقَطعٍ حاد في رقبته، فتوجه إلى غرفة الفرعون "نيتاؤر" ليجده عاريًا وقد كتبت الملكة على جسده أغلب التعويذة، ولم يبق منها سوى آخر طلسم فيها.

انقض حتحور على الملكة وصفعها صفعة أردّتها أرضًا بينما تهيأ لقتال نيتاؤر حيث أمسك بحَربته وسيفه ليواجه نيتاؤر الذي التقط سيفه وانهال على حتحور بضربات متلاحقة بينما كان يتصدى لها حتحور بقوة وشجاعة كبيرة، وحيث استعر القتال بينهما كانت الغلبة لنيتاؤر الذي كان يهاجم حتحور بشراسة شديدة انهال "نيتاؤر" على حتحور بضربات متتالية أخرى وبحِرفة قتالية بالغة أسقطت السيف والرمح من يد حتحور وأردته أرضًا حينها قد تحركت الملكة بكل ما لديها من قوة ومعها ريشة الغراب لتكتب على جسد ولدها الطلسم الأخير، وبينما هي تتم الأمر كان حتحتور قد فقدَ سلاحه وسقط عنه في قتاله المستعر مع نيتاؤر، أقبلت الملكة تيا على جسد ولدها ووضعت عليه الطلسم الأخير، حينها بدأت جحافل جيوش الشر من الجِن والشياطين تتحرك صوب مصر، وبدأت أرواح الظلام وقوى أعتى مردة الشياطين في طريقها إلى جيوش الفرعون، وكان نيتاؤر قد أوقف

حتحور بحيازه وقد انهارت قواه تمامًا وصار بلا سلاح يحميه، أمسكه نيتاؤر من تلابيبه وأمسك بخنجرٍ، وقال: "سأجعل مصيرك كمصير سيدك وأذبحك مثله، وبينما هو يقول ذلك في نشوة عارمة أخرج حتحور المادة السحرية التي كان قد أعدّها كهنة رع له ووضعها في فم نيتاؤر الذي صرخ وقد دخل في تلك اللحظة كهنة الإله رع وكانت قد تجمّعت أمامه، فلما دخلت التعويذة في جوفه أصابه الهلع كأنما رأى الجحيم، رأى ويلات الأفاعي والحيّات وبدأت الطلاسم تمحى من جسد الفرعون نيتاؤر ويصير جسده بغير طلاسم، ورجعت قوى الظلام خائرة محسورة وبدأ الفرعون في ترديد كلماته التي كتبت بعد ذلك في البرديات التي قصَّت لنا القصة فقال الفرعون:

"أنا الرب العلي

ستلاحقكم اللعنات

تذكروا دومًا أنني الرب الأبدي

وأن لعنتي ستلاحقكم ولو بعد ألف عام

أنا الفرعون، أنا الإله، أنا ملك مصر، وهذا الجحيم الذي أراه سيكون قطرة في بحر هول ما ستلاقون."

نظر حتحور إلى الفرعون وهو يسقط أمامهم ذلك الذي تآمر على قتل والده وتسبب في ذبح أخيه الطفل الصغير، وكاد أن يُغرِق البلاد في سطوة ملوك الشياطين وأساطين الجن وعتاة المردة.

سقط هذا الفرعون أمام حضور الكهنة وسدنة المعبد وهو يصرخ وقد خارت قواه حتى مات وهو فاغرٌ فاه، بدت أسنانه وجحظت عيناه من فزع

وهول ما رأى؛ فسقط عاريًا فأمر الكهنة بتحنيط جثة نيتاؤر الملعون وأحشائه ماتزال بداخله، فلم يخرجوها منه وحنطوه وهو على هيئته من الفزع والرعب والخوف الشديد ولفوا جسده بجلد الماعز ووضعوه في صندوق فخم من صناديق الملوك، ولكن لم يكتبوا عليه اسمه حتى يضيع في عالم الآخرة وملكوت السماء كما كانوا يعتقدون، وأحاطوا اللعنة التي كُتِبَت على جسده بجلد الماعز حتى يبطلوا أي أثر بقى لها فقد اختفت أصلًا بفعل السحر الذي وُضِعَ في فمه.

وبينما الجميع منشغل مع الفرعون المذبوح رمسيس الثالث وولده الملعون، اختفت الملكة "تيا" ولم يعرفوا أين ذهبت؛ فقد استطاعت الهرب بمساعدة أحد خونة القصر تم تخبئتها في أحد غرف القصر بينما أعطى حتحور الأوامر لكل الخُدّام ورجال حراسة الملك بالبحث عنها في كل مكان ولكن بلا جدوى، فقد تمكنت من الفرار حيث جهزوا لها قاربًا في جنح الظلام وفرت في اتجاه النوبة في رحلة ملأتها الصعاب والعناء والمشقة ولاقت الأهوال حتى وصلت إلى بلاد النوبة حيث معقل مؤيديها، وهناك بعد أن هزمت جيوش الجنوب على يد القائد حتحور وتم تنصيب رمسيس الرابع ملكًا لمصر شعرت الملكة "تيا " أن الملك قد سلب منها وأنها كانت أحق بالملك لولدها ويجب أن تبقى ملكة مصر بأي ثمن.

ذهبت الملكة "تيا" إلى قرين الشيطان ذلك الساحر الإبليسي وطلبت منه أن يصنع لها تعويذة تعيد لها مجدها التليد وعزها الغابر فأعدَّ لها قرين الشيطان تعويذة لو تليت على جسد ولدها الفرعون الصارخ فحينها ستظهر التعويذة الأصلية على جلد الفرعون ولو نقشها أي إنسان على جسده بدم طفل من أهله كان له من السطوة والمجد ما كان للفرعون من

تسخير ملوك الجن ومردة الشياطين وسيخضع له حكم مصر ومن ثم يحكم بعدها كل العالم بقوى الظلام والسحر الأسود.

أخذت الملكة "تيا "هذه الطلاسم وبدأت تجهز أحد قادة الجنوب كانت قد وعدته بالزواج وأنها ستجعله هو الفرعون المقبِل، ولكن عليها أولا استعادة جسد ولدها الذي كان قد دُفِنَ في المقبرة الملكية والتي عليها الكهنة والسدنة والحراس فيجب أن يساعدها على أن تحصل على جثة ولدها ويجهز لها ما تحتاج في سبيل هذا، ولكنه لم يستطع تأييدها عسكريًّا فقد كانت كل جيوش الجنوب قد منيت بالهزيمة الساحقة على يد القائد حتحور الخادم المخلص لسيده رمسيس الثالث والذي صار الآن رجل الدولة بلا منازع .

فقررت أن تعود إلى مكان قصر الملك متخفية في زِي جنوبية أتت لتبيع بعض الحبوب والغلال وتقترب من مقبرة الفرعون ومعها ذلك القائد الذي استطاع بفضل معاونيه من الخونة في قصر الفرعون الجديد أن يصلا إلى المقبرة الملكية.

دخلا المقبرة الملكية والتي كانت تحوي صنايق الموتى من أسرة الفرعون وتحوي منقوشاتهم الذهبية وممتلكاتهم لتصحبهم في العالم الآخر وقد انيرت بنيران أعمدة خشبية في جنباتها بدا يلمع الذهب فيها وفي الجنبات تقبع التماثيل الحارسة التي ستحرس أرواح الموتى في العالم الآخر، وفي حين خلسة من الكهنة والحراس دخلت الملكة "تيا" ومعها القائد النوبي تبحث عن الصندوق الذي وُضِعَ فيه جثمان ولدها حتى وصلت إليه وقد رأت الصندوق بلا نقوش عليه فعلمت أنه صندوق جثة ولدها وحين أرادت أن تخرجه من الصندوق كان كبير الكهنة قد فطن إليها فرماها بسهمٍ وقع في صدرها وأصاب قلبها فخرَّت صريعة بينما تمكن قائد الجيش النوبي من

الفرار والعودة إلى دياره وحيث كان الفراعنة يقدسون مليكاتهم لم يستطع أن يبوح بسر مقتل الملكة "تيا" وإنما أخبر حتحور فقط الذي أمر بإلقائها من سطح جبل شاهق تأكلها الصقور فهذا عقاب الساحرات المارقات وقبل أن يلقوا بجسمانها الذي تردّى من فوق الجبل كانوا قد عثروا معها على التعويذة التي كان قد أعدّها قرين الشيطان لتتلى على جسد الفرعون فتظهر على جسده طلاسم لو نقلها بشري على جسده أخضع له ملوك الشياطين والمردة.

أخذ حتحور التعويذة وأعطاها إلى كبير كهنة رع والذي قرأها ففزع من هول ما فيها وقد خبأها في مقتنياته واحتفظ بها لأمرٍ في نفس الكاهن لم يبح به لأحد وبقت ضمن مقتنيات الكاهن.

* * *

- 37 -

وقف عمر وفريدة فاغري الفم من هول ما قرآ فقد عرفا أمورًا، نعم كان عند عمر كثيرٌ منها وقد أعطى محاضرات كثيرة عن مؤامرة النساء على رمسيس الثالث، ولكن لأول مرة يطالع وثيقة بهذا التفصيل تقص كل ما حدث، وأكمل عمر وفريدة القراءة وقد بدا الوقت يداهمهما والمعبد على وشك أن تُفتَح أبوابه. أكملا كلام الدكتور كامل والذي قال فيه" فلما علمت أنا والدكتور سلمان بأمر هذه البرديات الثلاث والتي فكت لنا رموز هذه المومياء الصارخة، جال في خاطر الدكتور سلمان أن يحصل على هذه التعويذة من مقتنيات هذا الكاهن، وقد صرَّح أننا لو تعاونّا سويًّا وحصلنا على هذه التعويذة فقد نحكم العالم، ولكنني جابهته بالرفض الشديد حتى إنه استقال من المتحف وعلمت بعدها أنه يحاول بكل الطرق الوصول إلى هذه البردية من مقبرة الكاهن؛ ولذلك كان لزامًا عليَّ أن أصل إليها أولًا فقمت بالبحث الشاق والمضني لكل ورقة أو بردية وقعت في يدي عن رمسيس الثالث حتى كان اليوم الذي سمعت فيه عن البردية"هاريس" التي اشتراها أنطوني هاريس وهي الآن في باريس فذهبت إلى هناك في شغف أن أجد تفاصيل البردية، ولما استطعت الحصور عليها للحظات قليلة من السيد هاريس نفسه بذلت كل ما في وسعي للحصول على اسم كهنة الملك في ذلك الوقت، ولكن بدا واضحًا أن للكهنة كبيرًا فخمنت أنه هو ضالتي، فعدت إلى مصر لأبحث عن كبير كهنة رمسيس الثالث حتى جاء اليوم الذي عثرت فيه بعثة إنجليزية على مقبرة كبير كهنة رمسيس الثالث أو هكذا كتب على المقبرة ذهبت مسرعًا وكنت

ضمن الفرقة التي شكَّلتها هيئة الآثار لبحث الأمر والوقوف عليه وإعداد تقريرًا للحكومة حول ماهية هذه الآثار.

ولما دخلت المقبرة شعرت أنَّ هاتفًا ما بداخلى يحركني حتى استطعت بعد البحث المضني في كل مقتنيات الكاهن أن أصل إلى البردية التي تحوي التعويذة، وعدت إلى المتحف في بولاق وكان سلمان قد لحقني للبحث في المقبرة، ولكنه لم يجد شيئًا فأرسل يتوعدني ويخبرني أني إن لم أطلعه على هذه التعويذة فسيقتلني أنا وأسرتي بكاملها؛ فحينها خشيت على نفسي وعلى أولادي فعمدت إلى جثة الفرعون الذي بقيت أحشاؤه بداخلها ففتحت بطن الفرعون واستخرجت الأمعاء التي باتت سليمة وفتحتها وأخذت المادة التي تبطل فعل التعويذة الأصلية التي تحرِّك ملوك الشياطين وتقتل من يتناولها وهو يرى الجحيم الذي ينتظره.

شعرت حينها أن هذا سيكون أنسب عقاب للدكتور سلمان لو فكر أن يقترب منِّي أو من بيتي.

وفور عودتي إلى بيتي جلست إلى مكتبي أكتب كل تلك التفاصيل، وقد أرفقت التعويذة التي حصلت عليها من مقبرة الكاهن والتي كانت قد أعدتها "تيا" لتعيد الملك إلى ولدها، أرفقتها في آخر صفحة في المخطوطة على أمل أن تخرج يومًا للنور فهي لم تعد مِلكًا لأحد، إنما صارت مِلكًا للتاريخ وقد صغت الخريطة التي تدل على مكان هذه المخطوطة بطريقة لا يحصل عليها إلا عالمٌ حقيقيًّا حريًا به أن يؤتمن على أسرار الفرعون"

أغلق عمر الكتاب وشعر بثقل المسئولية التي ألقيت على كتفيه فهو يحمل تعويذة لو تليت على المومياء الصارخة ستظهر الكتابة الأصلية على جسد الفرعون والتي لو نقلها أحد على جسده بدم طفل بريء حكم الدنيا ودانت

له ملوك الشياطين، فنزل عمر بسرعة شديدة، وقال يجب أن نذهب إلى الشرطة ومعنا هذا الدليل الذي سيبرّئنا فهناك مختل يحاول أن يصل إلى هذا الكتاب ويستعمله لإيقاذ قوى الشر فتوجه إلى فريدة قائلًا: "إيه اللي قريناه ده احنا أمام كشف عظيم ممكن يهز العالم، وكمان قُدّام شخص مختل عارف هو بيعمل إيه، وممكن يقتل الدنيا كلها في سبيل هدفه." ردت فريدة التي كانت تنزل السلم في خفة وسرعة:

- إحنا لازم نتحرك فورًا ونروح البوليس نبرأ نفسنا ونوثق الكشف ده ونخرج بيه للعالم." كان عمر قد نزل السلم وبدأ كلاهما في الخروج من المعبد متوجهين إلى باب الخروج وكانا في عجلة من أمرهما.

وفور خروجهما فوجئا بالضابط أيمن قد أحاط بهما ومعه الرائد دياب وقد أشهرا سلاحيهما في وجه عمر وفريدة، فقال عمر:

- الحمد لله انك هنا يا فندم دا دليل براءتي، القاتل كان عايز يوصل للمخطوطة دي، أنا بريء أنا وفريدة.

فمدَّ أيمن يده إلى عمر وأخذ الكتاب ووجه المسدس صوب عمر بينما حينها أنزل دياب سلاحه لأنه علم أن عمر وفريدة قد استسلما فخرجت الطلقة من مسدس أيمن مدوية، ولكن في اتجاه دياب الضابط الذي كان معه، فنظر عمر في ذهول:

- انت بتعمل ايه يا مجنون؟

نظر أيمن صوبهما نظرة حقد وكراهية وغِلّ دفين فأردف عمر كلامه قائلًا:

- يبقى انت اللي بتعمل كل ده من الأول.

ردَّ أيمن:

- طبعًا أنا اللي بعمل كل ده من الأول واللي خطتت له حصل بالملي وانا أهو بَعيد مجد جدي الدكتور سلمان وبنفّذ وصيته اللي كتبها لابنه ثم لابنه لغاية ما وصلتني وانا دلوقتي هحقق حلمه واحكم العالم وانا هفهمك اللي حصل لأن مبقاش يفرق عندي انك تفهم لأنك هتموت."

أعلمه أيمن أن جده الدكتور كامل كان قد أبقى في بيته ماده السم التي قتل بها نيتاؤر والتي استخرجها هو بعد ذلك من بطن الفرعون ليحمي نفسه من الدكتور سلمان، وكان الدكتور كامل قد أعد خريطة وخبأها في خزنته الشخصية كانت هي الطلاسم المكتوبة على ظهر البنت المقتولة، ولكن الدكتور سلمان استطاع أن يشتري أحد الخدم الذي استطاع بدوره أن يقتل الدكتور كامل ويأخذ المادة السامة والخريطة ويعطيها إلى الدكتور سلمان الذي بذل عمره بأسره يحاول أن يفك طلاسم هذه الخريطة لكنه عجز تمامًا عن فعل ذلك، وكان حلمه أن يحكم العالم والذي بات وشيكًا جدًّا وضاع منه إلى الأبد على صخرة تلك الخريطة التي تحوي الطريق إلى التعويذة التي كانت في مقبرة الكاهن الأكبر والتي طمح يومًا أن يقف بها أمام جسمان الفرعون نيتاؤر ويتلوها عليه فتظهر الكتابة على بدنه فيكتبها على جسده ويحكم العالم، ولكن الدكتور سلمان فشل بكل المحاولات التي أجراها وقد ترك هذه المادة وهذه الخريطة إلى أبنائه واحدًا تلو الآخر كلهم حاول الوصول إلى هذا السر وفك طلسم الخريطة لكنهم فشلوا جميعًا حتى وصلت إلى المقدم أيمن الذي قرر أن يحيي مجد الآباء فقرر أن يبدأ الأمر بأن أخذ فتاة ليل من إحدى شوارع القاهرة وهى في العشرين من عمرها اخذها معه إلى شقة كان قد استأجرها لينفّذ خطته وكان قد أعطاها مال كثير مقابل المتعة وبنما قضى معها ليلة حتى تبدو عليها علامات ممارسة الجنس حين يتفحصها الطب الشرعي، وكانت بالطبع قد تجردت من ثيابها وبعد أن

فرغ من جماعها وبينما هي بحيازه فتح فمها ووضع فيه بعض من المادة السامة التي قد صنعت لأبطال تعويذة الفرعون حتى إذا ماتت البنت بدت عليها علامات الفزع والخوف التي كانت على وجه الفرعون حتى يعطي علامات ودلائل للدكتور عمر فيما بعد حين سيستدرجه هو وهو فقط للنظر في هذه القضية حتى يجبره على حل الخريطة التي كان قد صاغها جده فقد بات له واضحًا أن لا أحد يمكن أن يفك طلاسم تلك الخريطة سوى رجل من بيت الدكتور كامل نفسه؛ ولذلك أخذ ملابسها الدخلية وقام بإخفاء معالم الوجه تمامًا بماء النار وتسلل إلى بيت الدكتور عمر، وكان الدكتور عمر منهمكًا في دراسة عمليات التحنيط والتجارب التي يجريها عليها، وبينما هو مشغول في مكتبة جده، صعد أيمن ووضع الملابس في غرفة عمر بطريقة لا تبدو واضحة لعمر، الذي إذا صعد لينام لن يفتش كل شبر في غرفته وأخذ زجاجة من مادة صمغ الراتنج كان عمر قد وضعها بجوار سريره ونسيها فأخذها أيمن وعاد فورًا إلى الشقة التي كان قد ترك فيها البنت مقتولة فحز رقبتها وكتب على ظهرها الخريطة الطلسمية التي كان قد أعدَّها الدكتور كامل وسرقها جد أيمن الدكتور سلمان، فقد حز رقبة البنت ليضلل الطب الشرعي في سبب الوفاة فيتم الاعتقاد أن البنت ماتت مذبوحة، وحتى يزج أيمن باسم الدكتور عمر في القضية بعد أن استخدم صمغ الراتنج في الكتابة على ظهر البنت ووضع ملابسها الداخلية في غرفة نوم عمر في مكان غير ملحوظ، بقى أن يثبت أن بصمات البنت في غرفة نوم عمر؛ وكان ذلك عن طريق الرجل الذي رفع البصمات في غرفة عمر كان أيمن قد اغراه بالمال ليكتب في التقرير أن بصمات القتيلة وُجِدَت في غرفة عمر وبالتالي تثبت التهمة على عمر ويضطر إلى فك طلاسم هذه

الخريطة أو أن يلقى مصيره بالإعدام شنقًا، فكانت خطة أيمن أن يجعل عمر أمام تجربة الحياة أو الموت فإما راسه أو ترجمة هذه الخريطة.

وما إن فرغ أيمن من ضحيته الأولى ودفنها بطريقة تسهل العثور عليها عاد إلى بيته ليتم النصف الآخر من الخطة حيث كان لابد له أن يرسل رسالة أخرى إلى الدكتور عمر تعينه في فهم ما من الممكن أن تتحدث هذه الخريطة عنه؛ ولذلك استوجب الأمر ضحية جديدة تزيد من توتر الأمر لدى الدكتور عمر وتحتم عليه بما لا شك فيه أن يجد مخرجًا من هذه القضية، وكان ذلك عن طريق أن قتل أيمن ذلك الرجل المسكين الذي كان يبيع الجرائد في أحد الشوارع المجاورة حيث استدرجه أيمن أنه سيعطيه ملابس قديمة عنده، ولكنها ستناسبه جيدًا، وهنا ذهب معه الرجل في حسن نية فلم يكن يتوقع ما ينتظره.

لم يكن هذا الرجل هو هدف أيمن على التحديد كان يسعى إلى قتل أي رجل يرسل من خلاله الرسائل التي يود أن يرسلها إلى عمر ويزيد الأمر توترًا، وكان يرى أن هؤلاء جميعًا قرابين تذبح للشيطان من أجل الغاية السامية والهدف الأعظم من وجهة نظره ألا وهو أن يحكم العالم.

وحتى يتثنى لأيمن فعل هذا كله كان لزامًا عليه أن يضع المنوِّم لزوجته التي كانت قد جلست بجواره في أول الليلة تطالع فيلمًا أمريكيًّا، وبينما هي بجواره على الأريكة الوثيرة في بيته أعطاها عصيرًا كان قد أعده ووضع فيه كميه كافية من المنوم حتى يستطيع أن يدخل أو يخرج كما يريد.

فكر أيمن أين يمكن أن يخبئ هذه الجثة بطريقة تزيد الأمر اشتعالًا وتجعل حبل المشنقة أقرب إلى رقبة عمر، لم يجد مكانًا أفضل من حديقة بيته ليدفن بها الجثة .

وذلك لأنه أراد أن يجعل نفسه وثيق الصلة بالقضية حيث سيبدو أمام زملائه ورؤسائه في العمل أن هناك من يريد أن يزج باسمه هو في القضية وأن هناك أمرًا شخصيًّا بينه وبين القاتل؛ إذ من غير المعقول مطلقًا أن يقتل هو الرجل ويدفنه في حديقة فيلته؛ فهذا لا يفعله مجرم مبتدئ فضلًا عن ضابط شرطة كبير محنك في مثل هذا. فأراد أن تبدو القضية وكأنما هناك من يستدرجه ليوقع به في القضية بينما في الحقيقة هو من يستدرج الجميع ويحرّكهم في مهارة فائقة وبراعة منقطعة النظير إلى أهدافه الشيطانية وخطته الإبليسية. فلن يشك أحد ولو للحظة أنه هو من قتل الرجل المسنّ وفي نفس الوقت يكون قد أرسل الرسالة الثانية للدكتور عمر ليعرف بالتحديد وجهته وإلى أي طريق وبحر من بحور التاريخ يجب أن يتوجه. فقد كان أيمن خارق الذكاء شديد الانتباه. لكنه ورث من جده كل ميراث الشر الذي كان بداخله وورث أيضًا كل جينات العبقرية التي كانت عند جده الدكتور سلمان.

هنا صرخ أيمن في وجه عمر قائلًا:

- وعشان هدفي ده قتلت أعز اصحابى الدكتور مدحت. وكان نفسي أي حد غيره يمسك القضية بس للأسف الظروف وقّعته في طريقي.

كان الدكتور مدحت قد استطاع الوصول إلى تركيبة المادة السحرية التي وُضِعَت في فم الفرعون وقتلته فقد وجد لها شروحًا في كتاب "السر السار" لجابر بن حيان والتي سماها فيه "جحيم الشيطان" وقد توصل إلى تركيب المادة. وعرف من خلال دراسته لها أنه يمكنه إبطال مفعولها بالكيمياء القديمة وطرق الأقدمين وبخاصة بن حيان وتلميذه الرازي. ولما وصل إلى أصل المادة وطرق إبطالها وتفاصيل كثيرة عنها ما كان لكيميائي آخر أن

يحصل عليها سوى هذا العبقري المُجِدّ، فلما اتصل بالهاتف بأيمن أثناء عودته من المستشفى أخبره أنه يعرف أسرار المادة وسر مقتل البنت والرجل وأنه يريد أن يرفق التقرير غدًا إلى النيابة والذي فيه أن القتيلين ماتا بهذه المادة وليس بالذبح، والأكثر من ذلك أن أيمن استشعر الشك في كلام مدحت الذي بدأ يتذكر كم كان أيمن في القديم وهم أصدقاء دراسة واحدة حتى نهاية الثانوية العامة، يسأله عن مثل هذه المواد في الجامعة، وكان أيمن مولعًا بمثل هذه المواد وكثيرًا ما كان يسأل عنها مدحت حتى منذ وقت قريب دار بينهما نقاشٌ طويلٌ حول طبيعة مثل هذه المواد وأثرها وتركيبها وأفعالها والسحر الناجم عنها.

فلما استشعر أيمن أن مدحت بات قريبًا من أن يصل إليه في القضية وأنه على وشك أن يفشل كل شيء كان لزامًا عليه أن يتخلص منه، فقد كان يود أن لو تعامل مع هذه القضية أي طبيب آخر، لكن مصلحة الطب الشرعي كانت كعادتها أسندت القضية إلى الدكتور مدحت كما هو معتاد في القضايا الخاصة بالمقدم أيمن.

تمنى أيمن أن تكون القضية مع طبيب آخر يجري عليها فحصًا روتينيًّا وينتهي الأمر وليس ما فعله الدكتور مدحت من بحثٍ وتقصٍّ ووصول إلى أغوار هذه المادة، بل وكشف تفاصيلها وطُرق إبطال مفعولها، كان لزامًا عليه أن يتخلص منه وينهي معه ما توصَّل إليه هذا الطبيب حتى لو ضحى في سبيل ذلك برفيق عمره نفسه. ذهب إليه في بيته وقد فتح مدحت الباب وهو متوجسٌ خيفة، ولكنه يقول في نفسه "لعله لم يلحظ أني قد شككت فيه"، وبينما أقبل مدحت مرتابًا يطلعه على نتيجة البحث أخذ أيمن جرعه قليلة من المادة ووضعها في فم الدكتور مدحت ليقتله نفس القتلة التي قتل

بها البنت والرجل وجز رقبته حتى تبدو بنفس طريقة الجرائم السابقة فتضيف تهمة جديدة إلى الدكتور عمر وتخلصه من الرجل الوحيد الذي يملك إبطال مفعول هذا السلاح الفتّاك الذي معه وأيضًا الرجل الوحيد الذي من الممكن أن يعطي خيوطًا لو جُمِعَت جميعًا لدلت على أيمن وستأول القضية هذه المرة إلى طبيب شرعي آخر لن يعطيها الأهمية التي أولاها إياها الدكتور مدحت والذي كان يعد واحدًا من نوابغ الطب الشرعي في مصر.

واخذ أيمن المادة التي تبقت عنده وأخفاها في مكانٍ لا يعلم به أحدٌ، وعاد إلى المديرية وقابل الضابط أمجد الذي بدا عليه علامات الارتياب حينما طلب أمجد من أيمن أن يتصل بالدكتور مدحت فوجد الرقم في سرعة كأنما قد اتصل به منذ وقتٍ قليل جدًّا بينما كان من المفترض أن يبحث قليلًا عن الرقم لأن آخر مرة كان قد كلمه قد مرَّ عليها يومٌ كاملٌ بحسب كلام أيمن نفسه.



- 38 -

توجه أيمن بالمسدس صوب عمر وأراد أن يضغط على الزناد لإردائه قتيلًا، ولكن حدث ما لم يكن يتوقع؛ فقد بدأت وفود السياح في الإقبال إلى بهو المعبد ودخل فوج من السياح الإنجليز إلى بهو المعبد ففزعت سائحة من المشهد وصرخت بصوت عالٍ بينما ضج المكان بالصراخ وتشتت انتباه أيمن الذي أطلق الرصاص بالفعل، ولكنها أخطأت الدكتور عمر وارتطمت في حائط المعبد حينها كانت قد تناولت فريدة حفنة تراب من الأرض وألقتها في وجه أيمن الذي لم يعد يمكنه الرؤيا حتى انطلق عمر وفريدة فرارًا من المعبد متوجهين إلى الدهليز ثم إلى بهو الأعمدة الذي يؤدي بدوره إلى المقاصير الثلاث الخاصة بإيواء السفن المقدسة لثالوث طيبة، وإلى جوارها يوجد عدد من الغرف كانت تستعمل للعبادة.

تم تخطيط معبد مدينة هابو بشكلٍ منظَّم. فللمعبد سوران، سور داخلي والآخر خارجي، ويوجد خارج سور المعبد المرسى الخاص بالسفن، فعند الدخول إلى المعبد من مدخله بالجهة الجنوبية الشرقية؛ وهو عبارة عن بوابة كان يجاورها من ناحية الجانبين حجرتان للحراسة لنصل إلى مايطلق عليه بوابة رمسيس الثالث العالية، استطاع عمر وفريدة الاختباء في إحدى هاتين الحجرتين، وبينما يجري خلفهما أيمن بشكل جنونى وقف بحياز الغرفة التي فيها عمر وفريدة، وبينما شعر عمر وفريدة باقتراب أنفاسه وأنه بات على بُعد أقدام قليلة، وقف عمر بجوار فتحة الباب فلما أراد أيمن أن

يدخل ضربه على رأسه ضربة قوية بحجر كان ملقى على الأرض فأدمت رأس أيمن وأردته على الأرض، لكنه وجَّه إليهما طلقات متتالية لم تصب أحدهما، لكن استطاع عمر وفريدة أن يفرَّا وتوجها إلى صالات الأساطين الثلاثة الخاصة بمعبد مدينة هابو على محور المعبد يتبع أحدهما الآخر. وتتميز صالة الأساطين الأخيرة بثلاثة مداخل، مدخل في الوسط للوصول إلى مقصورة قدس الأقداس الخاصة بزورق الإله "آمون" والمدخل الثاني يوصل إلى مقصورة زورق الإله" خنسو" أما المدخل الثالث يوصل إلى مقصورة زورق الإلهة "موت".

وصل عمر وفريدة إلى غرف العبادة التي تحيط قدس الأقداس الخاص بثالوث طيبة المقدس وانطلقا إلى خارج المعبد بينما ساد المعبد الهرج والمرج وبدأ الرعب يدبّ في قلوب السائحين، وكان أمن المعبد قد حاول احتواء الموقف وقد أبلغ الشرطة التي أقبلت بدورها. وحين وصول رجال الشرطة لم يعثروا على أثر للمقدم أيمن ولا للدكتور عمر أو فريدة ولكنهم وجدوا الضابط دياب قد أسقطته طلقة أيمن وهو الآن بين الحياة والموت. توقع فريق الشرطة أن الذي فعل ذلك هو عمر وأن الضابط أيمن الآن في مطاردة مع الدكتور عمر للقبض عليه.

كان عمر وفريدة قد ركبا تاكسي، وهنا سأل عمر فريدة:

- تفتكري هنعمل إيه في كل ده؟

أجابت فريدة:

- لازم نمنع المجنون ده من اللي هيعمله، وإلا هيحرك قوى احنا مش قدّها.

فقال عمر:

- أنا دلوقتي عارف المكان اللي لازم يكون رايح له، خدي بالك دا بقى معاه التعويذة يعني...

ردت فريدة في بداهة شديدة:

- أكيد رايح المتحف المصري، وطبعًا كونه ظابط دا هيفسح له بسهولة يدخل حجرة المومياوات ويمنع أي حد من الدخول بأي حجة... أكمل عمر الكلام:

- وساعتها هينفرد بالمومياء ويتلو عليها التعويذة وهتظهر على جسمها الطلاسم اللي أعدت لنيتاؤر ليتخضع له قوى الجن والشياطين، وبالتالي تتحرك أساطين الشر في العالم، بس حسب الرواية هو محتاج طفل صغير يقتله عشان ياخد دمه يكتب بيه الطلاسم على جسمه." ردت فريدة في بداهة:

- دا مجرم مش صعب انه يعمل أي حاجة.

صرفت فريدة عينها مغمضة إياهما كأنما تحاول أن تصرف خيالًا موحشًا قد بدا لها، ثم أردفت في ذعر:

- أقرب قطر هيروح على مصر بعد أد إيه؟ رد سائق التاكسى في تدخُّل غريب: بعد 10 ساعات يا هانم. وهنا أيقن عمر أنه بات لزامًا عليه استقلال سيارة خاصة، فقال بابتسامة على وجهة: تاخد كام يا اسطى وتودينا مصر؟ وانا هبسطك واغديك كمان. " رد السائق في طمع "1000 جنية يا باشا. رد عمر: "موافق بس بسرعة. " انطلق سائق التاكسى فرحًا بهذه التوصيلة التي لم يكن قد أعد لها عدة أو جهز لها حال خرج من بيته يسعى في طلب رزقه، وها هي السماء تمطر عليه ألف جنيه في يوم واحد.

أكمل عمر الحديث إلى فريدة:

- يبقى أيمن هو اللي قتل البنت وكتب الطلاسم على ظهرها وزج بإسمي في القضية عشان يجبرني أنا اللي اجي واحاول احل الطلسم وتعمَّد توجيه تهمة القتل ليا عشان يجبرني إن انا اللي افك طلاسم الخريطة اللي عملها جدي.

ردت فريدة:

- ذكاء رهيب وحيلة بارعة، خد بالك إن هو وعيلته بقالهم سنين عاجزين عن حل طلاسم الخريطة دي واللي توقعه حصل محدش قدر يحل رموزها غيرك.

أكمل عمر كلامه وقد بدأ حك رقبته:

- وعشان يصعّب الموضوع وفي نفس الوقت يبعتلي رسالة تانية تعرّفني امشي من أي اتجاه قتل بياع الجرايد وكتب على ظهره آخر كلمات قالها نيتاؤر قبل ما يغور للجحيم مسواه.

قالت فريدة متسائلة:

- بس هو عرف منين إن رئيس القسم هيرشحني ليه؟ واشمعنى انا بالذات؟

- أكيد أيمن كان عارف اني عندك وهو اللي طلب من رئيس القسم يكلمك على أساس انه هو اللي مرشّحك، ومن خلالك هيبعت لي الرسالة التانية اللي هو متخيل انها هتساعدني في فك شفرة الرسالة.

وبينما بدا على عمر أنه استذكر شيئًا قال:

- أنا فاكر كويس يوم المشرحة لما عرفت بتوجيه التهمة ليا، أنا فاكر انه تعمَّد ميخليش في حراسة برة غير عسكرى واحد، وأخدت بالي إنه أخد

الدكتور مدحت يكلمه بعيد ويفضي الطريق للباب حتى أنا لما زقيته مكانتش الزقة قوية لدرجة انها توقعه ويتأخر دا كله عشان يلحقني.

قالت فريدة:

- يبقى هو تعمَّد يسيبك تهرب وكان سايب اللي يراقبك ويعرف انت هتروح على فين عشان تفضل تحت عينه لغاية ما يعرف هتوديك الخريطة فين، عشان كده وانا عند الهيلتون سابني وبعِد عني بطريقة ملفتة للنظر لما جه الوفد الروسي كأنه كان عايز يسمحلي اهرب وهو عارف انه هيعرف بعد كده يعثر علينا.

نظرت فريدة إلى عمر في استغراب: في إنسان في الكون ممكن يكون جواه كل هذا الكم من الشر؟

رد عمر:

- طبعًا، إنتي لسه بنفسك قارية الفرعون نيتاؤر وامه الملكة تيا عملوا إيه في رمسيس الثالث، الست قتلت جوزها وساعدها على كده ابنه، هي دي شهوة المُلك، ومش أي مُلك دا ملك مصر ثم مُلك العالم بقوى الشياطين اللي عايزين يستحضروها إلى العالم اللي أصلًا لا يخلو من شياطين الإنس.

أجفلت فريدة قليلًا، ثم قالت:

- تفتكر الطبيب الشرعي الدكتور مدحت، كان قرَّب يعرف التركيبة؟

قال عمر في بداهة شديدة:

- طبعًا وإلا مكنش أيمن قتله، أيمن كان نفسه أي حد تاني يمسك القضية لسببين الأول إن أي طبيب شرعي تاني مكنش هيبذل نفس المجهود اللي

بذله مدحت ويقرب أوي من حل الغاز القضية، والسبب التاني إن مدحت صديق عمره هو كان عايز أي طبيب تاني بحيث لو قرَّب حتى من حل لغز القضية يبقى من السهل عليه التخلص منه.

قالت فريدة في هلع:

- يقتل صاحب عمره!! إيه البشر دي!

- بس متقوليش بشر دول أسفل من الشياطين.

أراحت فريدة رأسها إلى الخلف قليلًا ثم سألت عمر:

- تفتكر هنقدر نعمل إيه عشان نوقّف اللي هو عايز يعمله؟ ولو ملحقناهوش وكتب الطلاسم على جسمه هنعمل إيه؟

رد عمر في سرعة:

- نروح للبوليس نفهمه اللي بيحصل وهمّا يمنعوه.

قالت وقد بدا عليها الإنكار الكامل:

- تفتكر البوليس هيصدقك واحنا أصلًا متهمين، والقضية لابسانا، ثم انت متخيل انهم هيقبلوا انك تتهم ظابط عندهم بالسهولة دي ومعاكش أي دليل ضده، إحنا لو دخلنا المديرية هنلبس القضية وهنسيب وقت كافي لأيمن إنه ينفذ بقية الخطة.

قال عمر كأنما أقرَّ الكلام:

- طب تفتكري نعمل إيه؟

- إحنا لازم نجيب المادة اللي اتحطت في فم نيتاؤر لتبطل مفعول التعويذة اللي اتكتبت عليه وقتلته وحمت البلد.

- لكن نجيبها منين مستحيل نعرف نركبها ومنعرفش سر التركيب، وكمان لو عرفنا سر التركيب مش هنعرف الطلاسم السحرية اللي تليت عليها دي محتاجة ساحر حقيقي من أصحاب السحر السفلي اللي اختفوا من عالمنا الحاضر، أنا مخي قرّب يتشل، لازم نلاقي المادة دي لأنها الخلاص الوحيد من اللي ممكن يسببه المعتوه ده بجنونه وحماقته.

جلس عمر وفريدة في حالة من التفكير العميق ومحاولة أن يصلا إلى حلٍّ يصلا به إلى هذه المادة التي ستقضي على السحر الذي يجهز له هذا المعتوه.

وبينما هما على ذلك والطريق طويل والمسافة كبيرة غفا عمر قليلًا كما غفت فريدة أيضًا واضعة رأسها فوق كتفه، وبيد عمر يبحث في منامه في طيات ذكرياته فقد أجمع عقله الحاضر وعقله الباطن على البحث في هذه القضية المعقدة حتى رأى في منامه الدكتور كامل قد جاءه متوشحًا درعًا وسيفًا وعليه ملبس الفراعنة الأقدمين ممطتيًا فرسًا وحوله ألسنة النار تخرج من كل مكان وخلفه ظلام دامس ونظر إليه وقال بصوت ينبع من أعماق التاريخ:"خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى."

استيقظ عمر وقد صدعت الكلمات قلبه ونقشت في عقله: "خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى" فور استيقاظه مفزوعًا كانت فريدة قد استيقظت على صوته وقالت:

- في إيه يا عمر إيه اللي حصل؟

قال عمر محاوِلا استجماع أنفاسه:

- كنت بحلم..

- دا وقته تحلم بإيه بس؟

- جدي الدكتور كامل جالي في المنام، شكله زي اللي في الصورة في المكتب بالظبط، لابس لبس محاربين الفراعنة وراكب فرس وتحتيه ألسنة اللهب ووراه ظلام دامس وقال لي: "خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى" سمعت فريدة الكلمات وهي في استغراب شديد من تلك الرؤيا التي تبدو وكأنها تحمل معنى عظيمًا لكنهما لا يفهمان إلى ما تشير هذه الرؤيا وما فحوى تلك الرسالة.

أجفل عمر وأرجع رأسه إلى الوراء يحاول أن يفكر فيما يمكنه أن يكون تفسيرًا لجملة بها الخلاص والموت في سطر واحد: "خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى."

* * *

- 39 -

كانت نهى زوجة المقدِّم أيمن قد أفاقت من الإغماءة وبدأت تبصر ما حولها، وسألت فور استيقاظها "لقيتوا إبني؟؟ لقيتوا أحمد؟" أجابتها الممرضة: "ربنا يصبرك يا هانم وإن شاء الله هنلاقيه شوية صبر وربنا هيفرجها." قالت وهي في حالة من الهياج والبكاء: "أنا عايزة ابني وفين أيمن؟ اتصلولي بيه فورًا. " ردت الممرضة بجواب محبط ومخيِّب للآمال: " احنا بنتصل بيه يا فندم من امبارح تليفونه مقفول" قالت وقد بدأت تتحرك فوق السرير محاولة النهوض: "طيب خرجونى من هنا، أنا عايز اقوم ادور على ابني خرجونى من هنا." في صراخ شديد خرجت على أثره الممرضة من الغرفة وقد توجهت إلى غرفة الطبيب المعالج وأخبرته بما كان من أمر نهى؛ فقام الطبيب متوجهًا إليها وإذا بها قد نهضت من السرير وبدأت في تغيير ملابسها وهي تقاوم التعب الشديد وآلام عدم الاتزان، فأخبرها الطبيب أنه لايمكن له أن يصرّح لها بالخروج، فقالت في صوت حاسم متهدج: " أنا هخرج يعني هخرج " فقال الطبيب إذا هيكون الخروج على مسئوليتك الشخصية." فقالت في إصرارٍ: "هخرج على مسئوليتي" فاحضروا لها أوراقًا وقَّعت عليها وانصرفت من المستشفى وهي تحاول أن تستجمع أفكارها وتلملم شتات نفسها وتوجهت صوب بيتها في شارع التسعين في التجمع الخامس.

دخلت الفيلا والتي بدت ساكنة لا صوت فيها ولا أثر لحياة منذ ثلاثة أيام، وأخذت تنظر في كل مكان وتتذكر حيث كان يلعب ولدها وتتذكر كيف كانت

تلاعبه وتداعبه، والآن باتت مستشعرة أنه ضاع منها وقد لا تراه إلى الأبد فقد لا تتمكن من عناقه بعد ذلك؛ فلقد كان أهون عليها أن تفقد قلبها على أن تفقد ولدها، كانت تتمنى أن لو فدته بدمائها ولحمها وعصبها فهي في حزن لا يكاد يوصف فحزن الأم لفقد ولدها أشد عليها من معاينة الموت.

كانت تشعر بالضياع وهي تبصر البيت خاويًا ولا تسمع صوته وهو يناديها ولا تراه أمامها ولا تبصر لعبه وضحكه الذي كان يملأ جنبات المكان.

صعدت إلى غرفة نومها في الدور الأعلى وخلعت ملابسها ودخلت إلى الحمَّام لتاخذ حمَّاما ساخنًا لعله يسكن تلك الدموع التي ملأت مقلتيها؛ فكانت تمتزج المياة المنهمرة على رأسها مع أنهار الحزن التي كانت تتدفق من مقلتيها، ثم خرجت من الحمَّام وارتدت ثيابها وهي مع هذا كله تحاول بين الحين والحين الاتصال بأيمن الذي كان هاتفه مغلقًا.

جلست على أريكتها واتصلت هاتفيًّا بوالدتها وحاولت أن تتماسك فلا يبدو شيءٌ عليها وأرادت الاطمئنان على ابنتها فقالت ندى في صوت باكٍ: "انتي وحشتيني أوي يا ماما، أنا عايزة اشوفك انتي وبابا واحمد." فقالت نهى وهي تحاول ألا تنفجر صارخة من جحيم اللهب الذي يتجمع بين أضلعها: حاضر يا حبيبتي أول ما أحمد يخف هجيبه واجيلك إديني تيتا." تكلمت والدتها بنبرة تبدو عليها القلق: "انتي فين يا بنتي طمنيني عليكى وعلى أحمد، أنا مش عايزة اجي ازوره عشان مجبش معايا ندى وتشوف اخوها في المستشفى، انتى أخبارك إيه وأخبار أحمد إيه؟" تمالكت أعصابها حتى لا يبدو الاختناق في صوتها: "الحمد لله أحمد كويس وأول ما يخف هجيبه واجيلك متقلقيش.."ثم أجفلت قليلًا وأردفت: " ادعيلي يا أمي." فقالت الأم في صوت ضارع إلى الله:" ربنا يسترها عليكوا يابنتي."

أغلقت نهى الهاتف ثم خطر لها أن تكلم الضابط أمجد فقد كان رقم هاتفه موجودًا في أجندة التليفونات، فردَّ عليها وسألته عن أيمن فأجابها أنه الآن في الأقصر وهو لم يسمع منه شيئًا منذ ليلة أمس ولا يعرف عنه أي أخبار منذ ذلك الحين، غير أنهم وجدوا الضابط الذي رافقه في مهمة تعقب عمر وفريدة مصابًا بطلقٍ ناري في القلب وبين الحياة والموت؛ حيث وجدوه ملقى في معبد رمسيس الثالث، أما أيمن فلم يعثروا عليه إلى الآن، فزعت نهى لهذا الكلام وبدأت في البكاء المرير فلم تعد تحتمل كل هذه الأخبار في أيام قلائل، فحاول أمجد تهدئتها فأخبرها أنهم يبحثون عنه وعن أحمد في كل مكان وقريبًا جدًّا سيجدونهما فلا داعي للقلق، بينما كانت كلمات أمجد هي كل ما يستطيع لتسكين جراح تلك الآم الثكلى، لكنها لم تكن تجدي لها نفعًا؛ فدماء القلب لا تمسكها المسكنات. أنهت نهى المكالمة ووضعت الهاتف أمامها وقد باتت لا تحتمل كل هذا.

تضاعفت داخلها الآلام والأحزان؛ فبالأمس القريب فقدت ولدها ولا تعلم هل ستلقاه أم لا واليوم تفقد زوجها ولا تدري ما حل به.

* * *

- 40 -

"خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى"

بين نظرات متبادلة بين عمر وفريدة حوت كل الكلام الذي يريد كل منهما أن يقوله للآخر، في التاكسي يجلسان يفكران كيف لهما بسلاح يقضي على كل ما يود المقدم أيمن عمله وهما وحيدان ليس معهما أي دليل على ما يقولان، وكذا لن تصدقهما الشرطة فهما متهمان، ولعلّ الرائد دياب قد انتقل إلى جوار ربه فيكون آخر دليل من الممكن أن يبرئهما قد ضاع، خاصة وأن المخطوطة التي صاغها الدكتور كامل هي الآن في حوزة حفيد ألدّ أعدائه في حوزة المقدم أيمن حفيد الدكتور سلمان.

كادت الأفكار تعصف برأسيهما ومازالت كلمات الدكتور كامل تصدع في رأسيْ عمر وفريدة "خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى" ترى ماذا يقصد الدكتور كامل بهذا الكلام. وبينما هما على ذلك توجهت فريدة إلى الدكتور عمر قائلة:

- دا إنسان مجرم ممكن تتوقع منه أي شيء دا قتل أعز اصحابه بنفس المادة اللي قتل بيها ضحيتينه اللي قبل كده ومفرقش معاه يخلي صاحبه يشوف الجحيم وهو على الأرض، دا بيعتبر الناس كلها بالنسبة ليه قرابين بشرية مش ممكن في سفاحين كده؟

وكانت فريدة مستطردة في كلامها تتحدث بالحماسة المعهودة عليها بينما ذهن عمر قد شرد بعيدًا وهو يتأمل كلامها وإذ بفكرة عجيبة تقفز إلى ذهن عمر كأنما ألقاها إليه ملك من السماء، توجه إلى فريدة بحماسٍ بالغٍ:

- هي مش المخطوطة بتقول إن المادة اللي قتلت الفرعون نيتاؤر ممكن تقضي على التعويذة دي حتى لو أيمن كتبها على جسمه؟

- أيوة طبعًا..

أردف عمر:

- وهي دي المادة اللي هو قتل بيها ضحاياه، وقتل بيها صاحبه الدكتور مدحت، وأخذ الباقي كله معاه وأخفاه هو وكتب الكيمياء مش هو لسه قايلنا كده في المعبد؟

أجابت بالإيجاب:

- أيوة...

قال عمر مكملًا:

- يبقى احنا لازم نجيب المادة دي بأي تمن بس هنلاقيها فين؟

وبينما هو يكمل كلامه صمت فجأة ليصرخ:

- فهمت يعني إيه خلاص العالم يكمن في أحشاء الموتى، هو مش مدحت مات بنفس المادة دي يبقى المادة دي موجودة دلوقتي في جثة الدكتور مدحت في المشرحة وهي دي أحشاء الموتى، إحنا لازم نلاقي طريقة نوصل لجثة الدكتور مدحت في المشرحة وناخد المادة الموجوده في أمعائه لأن المادة دي مبتتحللش.

قفزت فريدة من مكانها وكادت تقبِّله لولا أنها أدركت أنها في تاكسى ومعهما سائق التاكسى الذي كان ينسط إلى هذا كله ولا يفهم أي شيء؛ فكل ما يشغل باله هو الألف جنيه التي سيتقاضاها نظير هذه التوصيلة.

بات لزامًا على عمر وفريدة أن يحصلا على هذه المادة من أمعاء الدكتور مدحت بأي ثمن.

توجهت فريدة إلى عمر بسؤال جديد:

- طيب وهنجيب المادة دي ازاي وهندخل ازاي في المشرحة؟

أجاب عمر وهو يحك ذقنه:

- مش عارف هو ده السؤال، لازم يكون في طريقة حد يساعدنا مين ممكن يعمل كده؟

أجابت فريدة:

- أنا عارفة مين ممكن يساعدنا. "عاجلها عمر وقد أراد مقاطعتها:

- إوعي يكون اللي في بالي.. مستحيل..

- هو اللي في بالك لازم نجرب، أكيد مش هنخسر حاجة لو قدرنا نقنعه يساعدنا هتتغير كل حاجة في القضية." أطرق عمر قليلًا كأنما يريد أن يقول "مستحيل هيساعدنا" ولكن جال في خاطره أنه لم يعد هناك ما يخسره فيجب أن يطرق كل الأبواب حتى باب الجحيم نفسه.

فقد كان يتردد في ذهنه جملة لدانتي اليجيري في الكوميديا الإلهية "في طريقك إلى الجنة لابد أن تعبر على الجحيم."

جلس كل منهما يفكر فيما ستئول إليه الدقائق والساعات المقبلة؛ هل سينفرج هذا الأمر أم يضيع كل عناء السنين من الدراسة والبحث وبناء هذا المجد الكبير لكليهما والأهم عند كل واحد منهما هل سيجمع الدهر بينه وبين من عشق أم سيفرِّق بينهما.. باتت أبيات شعر قديمة تجول بخاطريهما:

فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.

كان مجرد الهاجس أن أحدهما يفقد الآخر يعنى بالنسبة له فقدان نفسه وروحه التي بين جنبيه فقد تصادِف إنسانًا لا تعرفه ثم تجمع بينكما الظروف فيكون بينكما حب أبدي وعشق خالد.

عندما تتلاقى الأعين تقذف كل عين في قلب الآخر بذرة الحب التي تنمو وتترعرع حتى تتشابك أغصانها بين الحبيبين حتى إذا كان العناق ارتاحت الأنفس، فكل صدر قد عانق الآخر فهذه البذرة تسقى بدموع الحب ولهفة الشوق فحين تتلامس أيدي المحبين ترتعش تلك البذرة داخل أنفسهما وتشعر بدفء يعينها أن تنمو وتكبر حتى إذا ما يكون بين قبلة العاشقين التي يمتزج فيها ريق كليهما والذي يكون إكسير حياة تلك البذرة فتلامُس الشفتين واشتباكهما يعنى ميثاقًا غليظًا وتزاوجًا أبديًّا في عالم الأرواح.

* * *

- 41 -

يجلس أمجد في مكتبه في مديرية الأمن يتابع سير الأحداث وتأتيه تقارير المراقبة والبحث عن صديقه المقدم أيمن وولده أحمد، وتقارير التحريات عن مكان عمر وفريدة، وكل هذا يأتي إليه بلا جدوى حتى سمع هاتفه النقال يصدع برنة غريبة أجاب في حزمٍ:

- آلو..

أجابه صوتٌ عميق:

- ألو الرائد أمجد؟

أجاب متعجلًا:

- أيوة أنا، مين حضرتك؟

كانت الإجابة على مسامع أمجد كالصاعقة، فالذي يكلمه هو آخر من توقع أن يفعل ذلك.

- أنا الدكتور عمر، وبكلم حضرتك عشان انت الوحيد اللي ممكن تساعدنا دلوقتي.

أجاب أمجد:

- أساعدكوا في إيه انت لازم تسلم نفسك فورًا..

ردَّ عمر:

- حضرتك لازم تسمعني، الموضوع كبير جدًّا وانت لازم تقابلني ضروري أنا وفريدة، بس قبل ما أقولك فين وازاي هسيبلك ربع ساعة بالظبط تتصل بمديرية أمن الأقصر وتحاول تعرف اللي حصل للرائد دياب.

عاجله أمجد:

- دياب اللي انت ضربت عليه النار يا مجرم ورحمة أمي ما هسيبك..

أجاب عمر:-

يا حضرة الظابط دياب اتقتل بطلقة ميري، ودا ممكن تتأكد منه بنفسك، واللي ضربه بالنار المقدم أيمن وهو ورا كل اللي بيحصل ده، عمومًا اتصل بالمديرية وهكلمك بعد ربع ساعة، لو اتحقق لك كلامي هقولك نتقابل فين وازاي ممكن نقضي على مخطط أيمن قبل ما ينفِّذه لكن لو في الأقصر موصلوش لحاجة اعتبر مكالمتي دي كأنها محصلتش.

أراد أمجد أن يتم كلامه لكنه سمع صوت إغلاق الهاتف وانتهاء المكالمة، وعلى الفور اتصل أيمن بمديرية أمن الأقصر وطلب الاطلاع على مجريات التحقيق، وكانت المفاجأة؛ فقد تكلم الرائد دياب بكلمات قليلة جدًّا إذ أن حالته شديدة الخطورة كان نصها وهو يصارع أنفاسه التي قد تكون الأخيرة: "أيمن ضربني بالنار وقّفوا المجرم ده بأقصى سرعة." ثم دخل في غيبوبة فقد نقص الدم الواصل إلى المخ ويحتاج إلى عناية مركّزة، فلما وقعت تلك الكلمات على مسامع أمجد أيقن أن ثمة شيء يجب أن يسمعه من عمر وفريدة، ولكن كيف سيقابلهما؟ هل بصفة رسمية وفي هذه الحالة يتعين عليه أن يخبر رؤساءه وترافقه قوة للإيقاع بهما وبدء التحقيق في

القضية، أم بصفة شخصية؛ فهو يشعر أن الرسميات لن تتسع لما يودان أن يخبرانه به وأن ثمة واجب إنساني معلق في عنقه يجب عليه أن يؤدّيه بجانب واجبه الشرطي، كان يشعر في صوت عمر بصدقٍ غريبٍ، وأن هناك هاجسًا بداخله يدعوه إلى تصديقه؛ فقد يكون عنده ما ينهي هذا الكابوس.

مرت الدقائق على أمجد الذي كاد أن يفقد صوابه؛ فكيف يفعل هذا أيمن، ولماذا وما الدافع وراء أن يطلق النار على دياب؟ما تفسير هذا كله، لكنه كان على يقين أن الذي يملك مفتاح سر كل هذا هو الدكتور عمر؛ لذلك جلس يراقب هاتفه وعينه على عقارب الساعة التي بدت كانما امتطت سلحفاة لا تريد أن تتحرك.

يصدح صوت الهاتف، أجاب أمجد:

- أقابلك فين وإمتى؟

في صوت متسائل:

- عرفت اللي حصل في الأقصر؟

أجاب في لهفة:

- مش كله، بس كل اللي عرفته إن أيمن هو اللي ضرب النار على دياب، لازم اشوفك عشان اعرف اللي حصل.

- طب واصدق ازاي انك مش هتجيب معاك البوليس والاقي نفسي في السجن أنا وفريدة؟

ردَّ أمجد:

- يا عمر مفيش وقت دياب اتكلم ودخل في غيبوبة مفيش قدامك غير إنك تصدقني وتثق فيا عشان اقدر اساعدك واعرف أيمن بيعمل كل ده ليه."

لم يكن هناك من بُدٍّ أمام عمر في أن يثق في أمجد، لكنه اتخذ الاحتياط اللازم، فقال:

- انزل دلوقتي حالًا تعالى عند خان الخليلي في الحسين عارفه طبعًا؟

أجاب أمجد:

- دا مكان زحمة جدًّا.

- عشان يبقى صعب عليك تطوق المكان بالقوات اللي ممكن تجيبها معاك. رد أمجد طيب اديك امارة تعرفك اني هاجي لوحدي؟

أجاب عمر:

- إيه هي ؟

رد أمجد:

- أنا متأكد إن اللي قتل مدحت هو أيمن، وانه كان عند مدحت قبل ما نروح أنا وهو ونكتشف الجريمة. عاجله عمر:

- عرفت منين؟

- البواب شافه وهو نازل شايل حاجات من العمارة، لكن خاف يتكلم قدامه، بس انا جبته امبارح وتحت الضغط اتكلم وحكى انه شاف أيمن نازل من شقة مدحت قبل اكتشاف الجريمة ومعاه حاجات شايلها.

هنا وقع في قلب عمر أن أمجد مصدق له ويمكنه الوثوق به، فطلب منه أن يلتقيا بعد ربع ساعة في ميدان التحرير بجوار الجامعة الأمريكية.

توجه عمر ومعه حبيبته الدكتورة فريدة إلى ميدان التحرير، هناك وقف عمر في انتظار أمجد، بينما اختفت فريدة بعيدا تراقب عن كثب حركة المارة حتى إذا ما بلغها شك أو ريبة تجاه أمجد أعطت إشارة لعمر حتى يتمكَّن من الفرار، ولكن وصل أمجد من غير قوة معه، وصل منفردًا ووقف في محاذاة عمر الذي طلب منه أن يتوجها إلى كافيتريا في الميدان، وجلسا وقد قصَّ عليه عمر القصة بكاملها ولم يملك أمجد سوى أن يفتح فمه متعجبًا من هول ما يسمع؛ إذ لا يكاد يصدق أذنيه وبات ما يسمع ترفًا من الخيال، لكن عمر طلب من أمجد أن يساعده في الحصول على المادة التي وُجِدَت في أمعاء الدكتور مدحت؛ فهي السلاح الوحيد الذي يمكنه ردع ذلك المجرم حتى لا يتثنى له إكمال خطته وإغراق البلاد في أتون سحر أسود يخضع له جبابرة الشياطين ومردة الأكوان؛ فيجب الوصول إلى هذه المادة لأن غالبًا وجهته المقبلة ستكون المتحف المصري الذي يجلسان الآن بجواره.

فكر أمجد بإخبار المسئولين حتى تتم محاصرة المتحف المصري، ولكنه يعلم أن مثل هذا الكلام لن يصدّقه أحد فضلًا عن أن تطويق المتحف بغير دليل مادي أو عمل إرهابي يمثِّل خطورة كبيرة، ولو كان كل هذا الذي يسمعه محض خيال فقد يفقد مستقبله ووظيفته؛ لذلك بات لزامًا عليه أن يتصرف بصفة شخصية وألا يدخل الوزارة في مثل هذا الأمر الذي هو لا يعدو أن يكون أحد أمرين إما خطرًا داهمًا وإما عبثًا وأوهامًا، ولكن حدسه بات يخبره أن ثمة كارثة على وشك أن تقع.

أخرج أمجد هاتفه النقال وأجرى عدة اتصالات بالمشرحة، وبالطبيب المسئول عن القضية، وأنه يريد منه خدمة بشكل شخصي وأنه لا يستطيع أن يطلبها منه في الهاتف فطلب منه لقاءه في المشرحة بعد نصف ساعة، وعلى الفور أجاب الطبيب بالموافقة وانه في انتظار أمجد بعد نصف الساعة.

هنا استشعر عمر الأمان تجاه أمجد؛ فتوجه به تجاه المكان الذي كانت تقبع فيه فريدة تراقب ما يحدث وعلى الفور بداوا في التوجه إلى مشرحة زينهم.

الحركة شديدة الصعوبة في زحام القاهرة، ولكن لا وقت لديهم فهناك معتوه يحلم بامتلاك العالم ولا يدرى ما سيفعله بالبلاد أو العباد.

وصلوا ثلاثتهم إلى مشرحة زينهم، بينما طلب أمجد من عمر ألا ينزل معه إلى المشرحة وأن يبقى هو وفريدة في السيارة حتى يذهب هو لملاقاة الطبيب الشرعي لعله ينجح في الإتيان بتلك المادة العجيبة التي باتت تمثِّل سلاح الردع الوحيد لمطامع أيمن.

ترجَّل أمجد من السيارة وتوجه في خفة وسرعة شديدة إلى مبنى المشرحة، وهناك صعد إلى الطابق الأول حيث لقى هناك الطبيب المكلَّف بتشريح جثة الدكتور مدحت، وبدأ أمجد في الحديث إليه أنه يحتاج إلى مساعدته بأمر شخصي، فرحَّب الطبيب الشرعي أيما ترحيب، ولكن سأل عما يستطيع به مساعدته، فسأله أمجد هل فرغ من تشريح جثة مدحت؟ أجابه بأنه بالكاد انتهى، والوفاة نتيجة جرح قطعي في الرقبة، ولكن هنا عاجله أمجد بأن هذا ليس هو سبب الوفاة، وسأله هل فتح أمعاء مدحت، أجابه الطبيب أن لا حاجة له لفعل ذلك بزميله؛ فالقضية واضحة والجرح القطعي هو سبب

الوفاة ولا داعي لامتهان جثة زميله أكثر من هذا، لكن امجد اخبره أن سبب الوفاة هو مادة لُقِّمَ بها في فمه وهي مادة سامة شديدة التعقيد، والدليل على ذلك أنه لو قام معه الآن إلى الجثة ففتح أمعاءها سيجد هذه المادة.

بالفعل قام الطبيب وهو متشكك في كل ما يسمع ولا يكاد يصدق منه شيئًا، لكنه أراد أن يثبت لأمجد أن ما في رأسه هذه أوهام لا أساس لها من الصحة.

توجة الطبيب إلى الثلاجة التي يحفظ فيها الموتى وأخرج جثمان مدحت، وبدأ يخرج أمعاءه ويفتحها ليجد فيها مادة سوداء غريبة الشكل لم يعهد أن يراها ولا يعرف ما هي، أجابه أمجد: "المادة دي هي اللي قتلت مدحت وانا عايزك تديهالي."

نظر الطبيب إلى أمجد مستنكرًا تمامًا طلبه هذا فأجاب بحزم:" أنا لازم احلل المادة دي عشان اعرف هي إيه وارفقها في التقرير بتاعي انها هي سبب الوفاة." لكن أمجد عارضه بأن التقرير قد صاغه وانتهى منه وسبب الوفاة لن يقدِّم أو يؤخر في شيء بالنسبة للدكتور مدحت، لكن هذه المادة يجب أن تكون بحوذته لتمنع كارثة كبرى قد لا تتحملها مصر وقد لا يتحملها العالم، تعجب الطبيب من كلامه الذي بات غامضًا؛ فهو إما جنون أو كارثة حقيقية؛ فأمجد لا تعهد عليه المبلاغة قَط، ولكنه أصر على رفضه بينما حاول أمجد أن يقنعه فطلب إليه أن يفهم ما الذي يجري فأجابه أمجد أن هذا يصعب الآن فلا وقت لديه، ويجب أن ياخذ هذه المادة في أسرع وقت ممكن وينصرف. وتحت إلحاح شديد من أمجد وصدق بدا واضحًا في كلامه وثقة سابقة بين الطبيب الشرعي وأمجد، أعطاه المادة في زجاجة وطلب إليه أن يرجعها إليه حال ما يكون ذلك ممكنًا حتى يمكنه تغير التقرير ووضع

السبب الرئيسي في وفاة زميله مرفقًا به تحليل كمِّي وكيفي لتلك المادة العجيبة.

أخذ أمجد المادة وقد توجه إليه بشُكرٍ حار وثناء بالغ ونزل إلى رواق المشرحة مسرعًا وتوجه إلى سيارته ليجد فيها الدكتور عمر ومعه فريدة في انتظاره ليأتي إليهم بخلاص العالم الذي هو قابع في أحشاء الموتى، وبينما هم في الطريق متوجهين إلى المتحف المصري؛ ليكونوا في انتظار هذا المجنون الذي يريد أن يعصف بالعالم، رنَّ شيء في أذن عمر كأنما هاتف قرع خاطره، فقال متسائلًا بصوت عالٍ:

- بس أيمن عشان يقدر يحقق هدفه من تحريك الشياطين ومردة الجن لازم يقرا التعويذة اللي في الكتاب اللي معاه على مومياء نيتاؤر، ساعتها هتظهر التعويذة الأصلية اللي كانت اتكتبت على جسم الفرعون، وهنا هيقدر ينقلها على جسمه، هو بس دا لازم يتم كتابة التعويذة بدم طفل من أهله وريشة غراب هيجيب منين الطفل؟

رنَّ هذا السؤال في أذن أمجد والذي وقع على مسمعه كالصاعقة فقال:

- انت قلت لي إن نيتاؤر قتل اخوه وامه كتبت بدم الطفل الصغير على جسمه صح؟

أجاب عمر:

- هي اللي قتلته "تيا" دا اللي موجود في مخطوطة جدي.

قال أمجد في ذعر شديد:

- ابن أيمن اتخطف من يومين ومش عارفين هو فين، أنا خايف ليكون هيدبح ابنه ويكتب بدمه على جسمه.

فزعت فريدة لهذا الذي تسمع واتسعت عيناها في ذعر شديد وهى تقول:

- مستحيل في إنسان كده.

رد عمر:

- يبقى لازم نلحقه قبل ما ينفّذ اللي بيحلم بيه، دا شخص مختل لحسن يكون مفكر نفسه هيقدم ابنه قربان بشري، بس المرة دي هيهدي هذا القربان البشري إلى الشيطان نفسه.

وقع الكلام على مسمع فريدة التي كاد يطير عقلها، أما أمجد فقد كان لا يكاد يصدق نفسه ويسأل نفسه هل هذا هو الضابط أيمن الذي قضيت معه سنين خدمتي في الداخلية؟ كيف يفعل هذا بولده؟ عاجله عمر:

- المُلك يا صديقي والسلطان ودا مش أي سلطان، دا سلطان العالم يبدأ من سيطرة المردة والشياطين على مصر ومنها ينطلق ليحكم قبضته على العالم.

- كدا بقى يبقى في شخص لازم يكون معانا دلوقتي دا من حقه.

تعجب عمر:

- انت بتتكلم عن مين؟ ومفيش وقت.

- لازم نكلم نهى مرات أيمن وام أحمد اللي منعرفش مصيره إيه دلوقتي، لازم تيجي معانا يمكن نلحق ننقذ ابنها دا لو مكنش قتله فعلًا. "

* * *

تجلس نهى في بيتها على أريكتها ودموعها لا تكاد تجف من خوفها على ولدها وقلقها على زوجها؛ فلا تعلم ما الذي يجري وماذا يمكنها أن تفعل وإذ بجرس الهاتف يصدع برقم أمجد. رفعت الهاتف:"ألو أيوة يا أمجد وصلتوا لحاجة؟" رد أمجد بصوتٍ مرتعش: "احنا تقريبًا عرفنا أحمد مين اللي خطفه ويارب نلحقه دلوقتي قبل اللي خطفه ما يعمل فيه حاجة.

أجابت وقد قفزت من مكانها في فزع بالغ:

- مين اللي خطفه وممكن يعمل فيه إيه؟

-اللي خطفه أبوه يا نهى، وممكن يقتله لو ملحقناهوش.

أجابت في فزع كاد يصل بها حد الجنون:

- أبوه ازاي؟ أبوه يخطفه؟! أنا مش فاهمة حاجة ويقتل ابنه ليه انت اتجننت. أجاب أمجد: "مفيش وقت يا نهى تعالي لنا على المتحف المصري فورًا هناك هتفهمي كل حاجة. "

قفزت نهى من أريكتها ووضعت نفسها في ثيابها بغير تفكير ثم خرجت في جنون متوجهة إلى سيارتها لتستقلها في اندفاع كبير، وخرجت من الفيلا وتوجهت صوب المتحف المصري في ميدان التحرير بخوف يكاد يطير بالسيارة وهلع تجمع فيه هلع كل أمهات الدنيا على أبنائهن.

بينما كان أمجد يسير في أقصى سرعة متوجهًا صوب المتحف المصري ويمر في ذهنه شريط أيام خدمته مع صديق عمره المقدِّم أيمن، كان عمر يفكر كيف سيمكنه منعه من هذا الذي يحلم به، كانت فريدة تفكر ماذا سيكون مصير هذا الطفل البريء الذي لا جريرة له سوى أن والده رجل هوسه الملك والسيطرة على العالم.

* * *

- 42 -

يدخل أيمن إلى قاعة بهو المومياوات ممسكًا بيده ولده الذي بات في حالة من الهلع والذعر الشديدين، والطفل يصرخ، ولكن ما من مجيبٍ؛ فقد كمم أبوه فمه وأخذ يجره، والمكان خالٍ لا أحد فيه ممسك في يده سكينًا حادًا غريب الشكل يبدو قديمًا من آلاف السنين؛ فقد كان هذا السكين هو الذي ذبح به رمسيس الثالث وهو نفس النصل الذي ذبحت الملكة "تيا" به شقيق ولدها؛ حتى يكتب بدمه على جسده تلك التعويذة اللعينة. وكان قد سرق هذه السكين الدكتور سلمان من مقبرة الكاهن الأكبر لما دخلها بعد الدكتور كامل فقد عثر عليها بين مقتنيات الكاهن الأكبر وبقيت معه ينتظر اليوم الذي يحقق فيه هذا المجد الأبدي، وقد ورّثها لأبنائه واحدًا بعد الآخر حتى كان اليوم الذي هي فيه على وشك أن تستعمل لذبح هذا الطفل الصغير وتقديم هذا القربان البشري للشيطان الرجيم.

يمشي أيمن ممسكًا بولده وقد ارتدى "برنص" يغطي جسده العاري، وفي يمناه السكين المقدَّس وفي يسراه ولده الذي أتى به قربانًا للشيطان، وقد حلق شعره حتى بدا أصلع الرأس، أقبل حتى وقف بمحاذاة مومياء الفرعون اللعين نيتاؤر ذلك الفرعون الصارخ.

جثا على ركبيته أمام جثمان الفرعون وقد سجد له، وقال: أسجد لك أيها الإله الأبدي"، ثم أخذ يفك الشاش عن مومياء الفرعون ويزيل هذا القماش ثم من بعده وجد أمامه جلد الماعز الذي بقي يغلِّف هذا الجثمان آلاف السنين فلم يفكه أحد غير الدكتور كامل حين أخرج من أمعائه تلك

المادة السحرية التي وُضِعَت في فمه لتقضي على أسطورته، وها هو الآن يفك جلد الماعز واحدة تلو الأخرى وهو يتلو صلوات كان قد تركها جده سلمان فيها كل معالم الكفر بالله والامتثال للشيطان الرجيم عبودية وتمجيدًا حتى أتمَّ إزالة لفافة جلد الماعز وبقي أمامه الفرعون مشقوق البطن والصدر أمعاؤه ممزقة وجلده بدا غضا كان يضع أيمن مخطوطة الدكتور كامل تحت البرنص بجوار جسده العاري، أخرج المخطوطة وفتح الصفحة الأخيرة حيث التعويذة التي ستُتلى على الفرعون الصارخ فتظهر على جسده التعويذة الأصلية التي ستخضع له مُلك العالم ومردة العالم من جن وشياطين والطفل في حالة من الهلع لا يدري هل هذا والده أم ماذا فهو لا يفهم شيئًا ولا يدري ماذا يجري، وبدأ أيمن في قراءة التعويذة التي كانت قد طلبتها الملكة تيا من قرين الشيطان أن يصنعها لها وأخذ يقرأها ويتلو صلوات الشيطان ممجِّدًا إياه في سفليته. وبينما هو يقرأ التعويذة وبدنه يرتعش وعينه تزوغ وبدأ الدم ينزل من أنفه وهو يتم القراءة على المومياء التي بدأت ترتجف والمكان حوله كله بات كأنما يدور، لمع جسد الفرعون وظهرت أمامه التعويذة الأصلية التي لو نقشها على جسده لصار يملك الدنيا ومن فيها، فلما لمعت أحرف الكلمات أمام عينه أنزل ولده تحت قدميه وجره بجذبة عنيفة جعل وجهه إليه وأمسك بالسكين وهو يتلو طلاسم قربان الشيطان ويقول: "لك وحدك يا صاحب المجد السفلي"، والطفل يصرخ والهلع بدا من عينيه وهو لم تحركه شفقة على ولده ولا رحمة تجاهه، ثم رفع الخنجر وهوي به إلى صدر ولده فقد طعنه في صدره وانفجر الدم من صدر الصبي ليغرق السكين والطفل يصرخ صرخات محبوسة ففي هذا المشهد تذبح كل مشاعر الأبوة، تحدقت عينا الولد وأغمضت وخرج الدم من صدره ليسيل أمامه دم القربان البشري.

* * *

- 43 -

وصل الرائد أمجد ومعه الدكتور عمر والدكتورة فريدة إلى المتحف المصري بالتحرير وهرعوا إلى رجال أمن المتحف يسألون عن غرفة المومياوات هل بها أحد وأنهم يودون دخولها والتي كانت موصدة ولا يسمح لأحد أن يدخلها سوى كبار الزوار، وبالفعل صعدوا سلالم المتحف متوجهين مارين عبر الرواق الذي ملء بتماثيل ونقوش أبهرت العالم عبر قرون، ولكن عمر الذي ما كان يدخل هذا المكان أبدًا إلا ويتوه في أروقته كالطفل الذي يلعب في حديقة مليئة بالزهور، بات اليوم يدخل وهو يرى أمامه أشباح تلك القوى التي على وشك أن تخرج من رقادها لتدمر العالم.

انطلقوا ثلاثتهم إلى غرفة المومياوات، اعترض الحارس على السماح لهم بالدخول حتى أخرج له أمجد كارنية الشرطة فأذن لهم بالدخول، ولكن العجيب أنهم لم يجدوا أيمن في بهو غرفة المومياوات وتوجه عمر إلى مكان المومياء الصارخة التي اعتاد أن يجدها فيه وينظر إليها محملقًا إلى هذا الرعب الذي شاهدته قبل أن تلقى مصيرها في الجحيم، ولكن المفاجأة عقدت ألسنتهم جميعًا؛ لم تكن المومياء في مكانها والصندوق الزجاجي الذي كانت توضع فيه فارغٌ.

أجفل عمر ووضع يده فوق رأسه، بينما وقف أمجد يتلفت في المكان: "فين المومياء يا دكتور مكتوب على الصندوق المومياء الصارخة فين الموميا؟"

توجه عمر بالسؤال إلى حارس الغرفة: "هي فين موميا الفرعون الصارخ كانت هنا؟" اجاب الحارس "اتنقلت يا فندم هي وكل مقتنيات الملك رمسيس الثالث" توجه عمر سائلًا: "اتنقلت فين؟" أجاب في بداهة شديدة: "اتنقلت للمتحف المصري الكبير اللي في سفح الهرم اللي بيتبني جديد ده ياباشا، ولسه مفتتحناهوش." وقعت الكلمات على عمر وفريدة كأنما سقطا من مكان مرتفعٍ إلى مكان سحيق بينما أمجد أسند ظهره إلى الحائط قائلًا: "مفيش وقت، لازم نجري دلوقتي للمتحف المصري الكبير."

خرجوا ثلاثتهم مسرعين يشقون أفواج السياح التي أتت لتشاهد عظمة مصر المتجسدة منذ آلاف السنين، تلك الحضارة التي علمت التاريخ وقت أن كان التاريخ عاجزًا عن الكتابة، كانت مصر تكتب للدنيا تاريخًا مجيدًا.

بينما هم في طريق خروجهم التقوا بنهى زوجة أيمن قد وصلت لتوّها فلما رأت عمر قالت: "مش هو ده القاتل اقبض عليه يا أمجد." أجاب أمجد: "هفهمك كل حاجة بعدين تعالي ورانا بسرعة احنا طالعين على المتحف المصرى الكبير اللي في الهرم." لم تكن نهى تفهم شيئًا ولا حتى يمكنها أن تتوقع أو تخمن ما يحدث فما يحدث يفوق الأساطير.

استقل أمجد سيارته ومعه عمر وفريدة، بينما استقلت نهى سيارتها ولحقت بهم تشق عباب زحام القاهرة المعتجة بملايين البشر وآلاف السيارات. كانت فريدة تنظر إلى نهى بمنتهى الشفقة والحنو فهي تتساءل في داخلها ترى ماذا سيكون مصير ولدها وكيف لو لم ندركه وقتله هذا المجنون؟كيف لها أن تتقبل تلك الصدمة، كان الله في عونها .

كل هذا كان يدور في خلد فريدة فهي لم تنبس ببنت شفة، ولكنها كانت تفيض قلقًا على هذا الطفل المسكين الذي لا جُرم له سوى أن هذا المعتوه هو والده.

في تلك الأثناء كان الرائد دياب قد فاق من غيبوبته وقص لرجال الشرطة حوله مادار بينهم، وبات واضحًا لدى الجميع أن الذي يفعل هذا كله هو أيمن، ولكن أين أيمن الآن، وكيف لهم أن يصلوا إليه فقد أجرى مدير أمن الأقصر اتصالًا بمدير أمن القاهرة أطلعه فيه على مستجدات التحقيق وأن أيمن هو الشخص المطلوب فورًا.

وعلى الفور توجه مدير الأمن بنشرة عاجلة إلى كل الوحدات الشرطية بسرعة القبض على المقدم أيمن فورًا. وبالفعل صدح الهاتف النقال الخاص بالرائد أمجد؛ فقد كان السيد مدير الأمن يخبره أن أيمن هو من وجَّه الرصاصة إلى قلب دياب والذي أفاق قليلًا أول الأمر ونطق باسم أيمن، لكنهم ظنوا أول الأمر أنه يريد أن يقول كلامًا آخر وأن هذا من علامات الموت، لكنه أفاق الآن وتكلم بكلام واضح يبين فيه من الذي فعل هذا وقصَّ على مسامعهم كلامًا غريبًا مما قد سمعه وهو بين الحياة والموت ينزف دمه في أرض معبد رمسيس الثالث في مدينة هابو. أخبر أمجد السيد مدير الأمن أن أيمن الآن غالبًا في المتحف المصري الكبير في الهرم هذا المكان الذي لم يفتتح إلى الآن وليس فيه أحد سوى بعض المنقولات الأثرية التي نقلت إلى المكان وجمع من المومياوات.

وعلى الفور أمر مدير الأمن بتحريك القوات إلى سفح الهرم الأكبر حيث يقبع المتحف المصري الكبير والمطلوب هو إحضار المقدم أيمن بأي ثمن.

* * *

- 44 -

انبجس الدم من صدر الصبي وسال على نصل السجين المقدسة، وبدأ أيمن في خلع البرنص وكتابة الطلاسم التي على جسد المومياء على جسده هو وهو يتلو تعاليم إبليس اللعين ويعلن له تقديم القربان البشري.. يذبح ولده من أجل المجد والخلود، فدموع الطفل كانت قد سبقت دماءه وخرجت تغطي صدره الصغير وأيمن لا يفتأ يكمل كتابة الطلاسم على جسده وهو يردد هذه التعاويذ حتى بات على وشك أن يكملها.

في تلك اللحظة كان قد وصل أمجد وعمر وفريدة إلى ساحة المتحف ليجدوا الحراس مقتولين فيدخل أمجد ومعه عمر وفريدة في خفة وسرعة إلى بهو المتحف الذي لم يكن مألوفًا لدى عمر ليعرف أين يقع حجرة المومياوات غير أنهم أبصروا خريطة على حائط المتحف تخبر بمواقع الغرف الهامة داخل المتحف.

توجه عمر وفريدة يتبعهما الضابط أمجد الذي تجهز لملاقاة زميله ورفيقه ولكنه الآن مجرم قاتل يريد أن يوقع البشرية كلها في أتون معركة لا يعلم مداها إلا الله.

كانت نهى قد لحقتهم ودخلت خلفهم، بينما توجهوا إلى مقصورة المومياوات ليجدوا المكان كأنما يحركه زلزال ضخم، علم عمر أنه بالفعل في مقصورة المومياوات وأنه بدا على وشك إتمام التعويذة على جسده وتحريك أساطين الجن وشراره، اندفعوا جميعًا يفتحون الباب ليجدوا أيمن عاري الثياب

تمامًا قد نقش على جسده نقوشًا عجيبة على وشك أن تكتمل، والطفل أحمد مطعون بخنجر ذهبي في صدره يلفظ أنفاسه الأخيرة، هرعت الأم ومعها فريدة إلى الطفل وهي لا تكاد تصدق ما تراه؛ زوجها كأنه شيطان رجيم عاري الثياب على جسده نقوش وطلاسم، بينما عقدت المفاجأة لسانها فولدها الآن مقتول بخنجر في صدره، صاحت صارخة بينما كان أيمن لا يأبه لقدومهم نحوه فهو مشغول في نقل بقيه التعويذة والتي بالفعل اكتملت على جسده، وبدأت قوى الشر تتحرك من كل مكان بدأت مردة الشياطين تخرج من كل حدب وصوب وصرخ الشيطان هذا رسولي هذا نبي إلى بني البشر، إنه ابني الأبدي، كانت هذه التعويذة قدأعطت قوة لأيمن تمكِّنه من مجابهة جيش بأكلمه، توجه إليه عمر وأمجد قد حمل سلاحه ووجهه صوبه وطلب إليه أن يسلِّم نفسه بينما لم يأبه أيمن لهذا الكلام حتى أطلق عليه أمجد طلقة من مسدسه، ولكنها لم تقتله فقد باتت له قوة عجيبة.

أخذت نهى الطفل هي وفريدة تحاول أن تنزع عن صدره الخنجر وتكتم الدماء المندفعة من صدره وأقبل عليه عمر يقاتله، ولكنه كان يرد له اللكمة تطيح به بعيدًا بينما حاول أمجد الوقوف أمامه وقتاله، ولكن بلا جدوى؛ حينها قبض أيمن بيده على عنق أمجد الذي كان يسدد له ضربات متتالية ولكن بلا جدوى؛ فقد أمسك عنقه ولواه بحركة عنيفة كسرت عنقه فسقط على الأرض قتيلًا ثم أعطى ظهره لهم متوجهًا إلى مومياء الفرعون صارخًا: الآن ارتَح يا جدي فستعبد من خلالي بدأت الشياطين تقبل من كل حدب وصوب، ولكن في هذه الأثناء كان عمر قد توجَّه إلى أمجد يتفحصه؛ فوجده قد فارق الحياة بينما في جيبه زجاجة المادة السحرية التي استخرجوها من أمعاء الدكتور مدحت.

التفت أيمن خلفه ليرى عمر قد وقف بمحاذاته موجّهًا له لكمة قوية لم تؤثر فيه بينما أمسك هو بتلابيب عمر وكاد أن يخنقه في هذه اللحظة طعن أيمن في ظهره طعنة قوية فالتفت ليجد أمامه زوجته نهى قد نزعت الخنجر من صدر ولدها وجعلته في ظهر هذا الزوج المعتوه، فتح حينها أيمن فمه ليجد عمر الفرصة سانحة فادخل في فمه المادة السحرية التي ستبطل أثر هذه التعويذة اللعينة ليجد نفسه أمام نفس مصير الفرعون نيتاؤر ذلك الخائن، وجد أيمن نفسه وقد دخلت المادة في حلقه وهو يصرخ فقد رأى أمامه الجحيم؛ راى ألسنة اللهب والنيران، ووجد نفسه في العالم السفلي الذي اختاره لنفسه، وجد الحيّات والأفاعي مقبلة عليه، فأخذ يصرخ: "أنا الفرعون، أنا الإله الأبدي والرب العلي فلعنتي لكم لا خلاص منها" بينما جحظت عيناه وبدت أسنانه وجسده الذي امتلأ بالطلاسم بدا مرعبًا، سقط على الأرض وقد رأى الذعر الذي رآه نيتاؤر الخائن، سقط واندحرت كل رسل الدمار التي حركها من كل أنحاء العالم عادت جميعها خائبة حاسرة قد قضى على لعنتهم وقد سقط أيمن ليلقى نفس مصير ضحاياه ويعاين ما عاينوه جميعًا.

* * *

الخاتمة

وصل رجال الشرطة ليجدوا أمجد مقتولًا بكسر في رقبته وأيمن على حالة عجيبة لم يفهموا ما حدث حتى قصه عليهم عمر وفريدة، ولكن نهى كانت تبكي في حالة من الهلع والهيستريا، بينما كانت الحياة لم تفارق أحمد؛ فالطعنة كانت شديدة القرب من القلب، لكنه بقي ينزف كثيرًا. استدعى رجال الشرطة الإسعاف التي أتت مسرعة لتأخذ كل من أحمد ونهى وعمر الذي عانى من جروح كثيرة من جراء قتاله مع أيمن.

استطاع رجال الإسعاف إيقاف النزيف الذي كان يسيل من صدر الصبي، وقد نقل إلى المستشفى ليقبع تحت العناية المركزة فاحتمال أن يبقى حيًّا ضئيلٌ جدًّا، لكن أمه كانت بجواره تدعو ربها أن يفرج عن ولدها.

مرت الأربع وعشرين ساعة التالية والتي هي مرحلة الخطر بالنسبة لأحمد وأمه بجواره. وهنا تذكرت نهى التي بدأت الآن تربط الأحداث في رأسها أن ولدها حينما أفاق من الغيبوبة كان يصرخ باسم والده خوفًا منه لأنه رآه وهو يقتل الرجل المسن، بينما لم يره أيمن، لكنه في الصباح ذهب إلى المكان الذي رأى أباه قد خبَّأ فيه الجثة وأخذ يصرخ من المنظر الذي رآه؛ ولذلك دخل الولد في حالة من الانهيار العصبي أطاحت بأعصابه، فلما أتى أيمن ليزوره في المستشفى كان الولد لا يريد أن ينظر إلى أبيه، وهنا فهم أيمن أن ولده ربما قد رآه لذا بات لزامًا عليه أن ياخذه من المستشفى دون أن يراه أحد حتى يستطيع أن يتم خطته الإبليسية التي كان يضحي فيها بولده

وزوجته وصديقه بل والدنيا جميعها من أجل مجد زائف في إخضاع قوى الشر له .

بينما هي على ذلك، فتح أحمد عينه علامة أنه قد عادت إليه الحياة، ولكنه سيحتاج علاجًا طويلًا؛ فقد كانت الطعنة نافذة بجوار القلب وسيحتاج إلى مجهود شاق من رجال الطب.

أما عمر فقد استفاق ليجد حبيبته بجواره قد نزلت دموعها خوفًا عليه وهي تحمل بين ما تنزله من عينيها كل معاني الحب والخوف عليه.

أفاق عمر وقد اعتدل لها وأراد أن يتكلم، فوضعت يدها على فمه قائلة: "هتجوزك غصب عنك هتجوزك ورحمة أمي لاتجوزك."

تعانقا عناقًا حارًا الآن ولاول مرة يشعر عمر أن للحياة معنى؛ فقد أنارتها فريدة بوجودها.. وبينما هي بين ذراعيه وقد أطبق عليها يديه، قال مداعبًا: "مكنتش اعرف انك طرية أوي كده" أجابت في تدلل عذب" أنا اللي مكنتش اعرف أن دراعاتك جامدين أوي كده. " وقد رمقته بنظرة نضحت أنوثة وحياة، فقال ضاحكًا "هو المأذون مبيجيش مستشفيات؟" ضحكت بصوتٍ عالٍ..

وهناك في أغوار مشرحة زينهم قبع جثمان أيمن وبدأ الدكتور سامر الطبيب الشرعي الجديد المكلَّف بتشريح الجثة في عمله فيها حتى اقترب إلى أمعائه وفتحها ليجد مادة سوداء لا يعرف ما هي ولا تركيبها ليسأل نفسه ترى ما هذه المادة؟؟؟

تمَّت بحمدِ الله

* * *

المراجع

1. موسوعة الفراعنة الأسماء-الأماكن-الموضوعات تأليف باسكال فيرنوس وجان يويوت ترجمة دكتور محمود ماهر طه.

2. أشهر الملكات الفرعونية المولف إسماعيل حامد.

3. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

4. المجمل في تاريخ مصر للدكتور ناصر الأنصاري.

5. تاريخ الحضارة المصرية تأليف نخبة من العلماء.



50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

0225622743 /01221064663